وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية التربية
قسم التاريخ

المستشرق الألماني فون أوبنهايم دراسة تاريخية ١٨٦٠-١٩٤٦م

رسالة تقدم بها الطالب

مصطفى حيدر محسن الذبحاوي

إلى مجلس كلية التربية / جامعة القادسية

وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

فرقان فيصل جدعان الغانمي

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الحشر

الآية : (٢١)

إقرار المُشرف

اشهد إن اعداد هذه الرسالة الموسومة (**المستشرق الالماني فون اوبنهايم دراسة تاريخية ١٨٦٠ – ١٩٤٦**) والمقدمة من طالب الماجستير (مصطفى حيدر محسن) قد جرى تحت اشرافي في قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة القادسية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر .

التوقيع :

المشرف : أ . م. د. فرقان فيصل الغانمي

كلية التربية / قسم التاريخ / جامعة القادسية

التاريخ : ١٦ / ٣ / ٢٠١٧

توجيه رئيس قسم التاريخ :

بناءً على التوصيات المتوفرة ارشح هذه الرسالة الى لجنة المناقشة لدراستها وبيان الرأي فيها .

التوقيع :

الاسم : أ . م. د. عباس خميس الزبيدي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ : ١٦ / ٣ / ٢٠١٧

اقرار المقوم اللغوي

اشهد ان رسالة الماجستير الموسومة بـ (المستشرق الالماني فون اوبنهايم دراسة تاريخية ١٨٦٠ – ١٩٤٦) للطالب (مصطفى حيدر محسن) قد تمت مراجعتها من الناحية اللغوية بإشرافي وهي سليمة من الناحية اللغوية والنحوية ولأجله وقعت .

التوقيع :

الاسم : م . د. علي عبد الحسين جبير

التاريخ : ١٧ / ٤ / ٢٠١٧

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة: (المستشرق الألماني فون أوبنهايم دراسة تاريخية ١٨٦٠ – ١٩٤٦)، والمقدمة من طالب الماجستير (مصطفى حيدر محسن)، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها، وإنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بتقدير (جيد جداً عالي

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. كفاح أحمد محمد

عضواً

التاريخ: ٦/ ١١/ ٢٠١٧

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. حيدر جاسم عبد

عضواً

التاريخ: ٨/ ١١/ ٢٠١٧

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. فرقان فيصل جدعان

عضواً و مشرفاً

التاريخ: / / ٢٠١٧

التوقيع:

الاسم: أ. د. ربيع حيدر طاهر

رئيساً

التاريخ: ٦ / ١٢ / ٢٠١٧

مصادقة عمادة كلية التربية– جامعة القادسية على قرار لجنة المناقشة .

التوقيع:

الأستاذ الدكتور. خالد جواد العادلي

عميد كلية التربية – جامعة القادسية

التاريخ: ٢٠/ ١٢ /٢٠١٧

الإهـــــــــــداء

إلى .....

أبي وأمي وأخوتي .

إلى .....

وطني العراق .

حُباً و وفاءاً .

مصطفى

شـكر وعرفـان

أحمدُ الله تعالى وأشكره على جميع نعمه، وأشكر نبينا الكريم وأهل بيته الطيبين الطاهرين. ثم أتقدم بالشكر الجزيل الى أبي وأمي وأخوتي وأخواتي الذين لم يبخلوا علي بالدعم المعنوي والمادي لإتمام عملي البحثي. والشكر موصول الى مشرفي الأستاذ المساعد الدكتور فرقان فيصل الغانمي الذي وجهني بما ينفعني في رسالتي، كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ الدكتور محمود عبد الواحد القيسي في كلية الآداب – جامعة بغداد الذي أمّدني بمصادر قَّيمة أغنت جوانب مهمة من الرسالة، وأشكر الاستاذة الدكتورة الهام محمود كاظم من كلية التربية للبنات – جامعة الكوفة لما أبدته من ملاحظات وتوجيهات.

وأشكر جميع أساتذتي في المرحلة التحضيرية، لا سيما من تفضل بإبداء المشورة العلمية التي أفادتني في خطوات الرسالة، كل من: الأستاذ المساعد الدكتور عبد الكريم حسين الشباني، الأستاذ المساعد الدكتور عمار محمد الطائي، الأستاذ المساعد الدكتور عاصم حاكم الجبوري والأستاذ المساعد الدكتور سامي ناظم المنصوري.

وأشكر كل من ساندني من زملائي وزميلاتي، طلاب الماجستير والدكتوراه في قسم التاريخ – جامعة القادسية الذين أبدوا مشورتهم العلمية بشأن الرسالة وأخص بالذكر الأخ عدنان الخالدي، والأخت مريم الياسري.

وأتوجه بشكري وتقديري الى كل من سهل لي مهمة البحث العلمي من العاملين في المكتبات بدءاً بالعاملين في مكتبة جامعة القادسية المركزية، ومكتبة الديوانية العامة، والمكتبات في جامعة بغداد والجامعة المستنصرية، ودار الكتب والوثائق الوطنية، وأخص بالشكر الموظفون العاملون في مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف لتعاونهم الكبير مع طلبة العلم .

الباحث

قائـــمة المختـــصرات

ت	المختـــصر	معـــناه
١	ج	جزء
٢	ص	صفحة
٣	ط	طبعة
٤	د. ك	دون مكان
٥	د. ت	دون تاريخ
٦	مج	مجلد
٧	P	صفحة (بالإنجليزية)
٨	S	صفحة (بالألمانية والتركية)
٩	Ibid	المصدر نفسه (بالإنجليزية)
	Op. Cit	المصدر السابق
١٠	Ebd	المصدر نفسه (بالألمانية)
١١	V أو Vol	جزء (بالإنجليزية)
١٢	No أو N	عدد
١٣	Bd	جزء (بالألمانية)

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	
إقرار المشرف	
إقرار المقوم اللغوي	
إقرار الخبير العلمي	
إقرار لجنة المناقشة	
الإهـــــداء	
شكـر وعرفــان	
قائمة المختصرات	
قائمة المـحتويات	
المقدمـــــــة	(١-٧)
الفصل الاول: **ماكس فون اوبنهايم**: (**نشأته ورحلاته العلمية ١٨٦٠- ١٨٩٥**)	(٨- ٥٥)
المبحث الأول: ولادته - نشأته - دراسته ١٨٦٠ ــ ١٨٩٣ .	(٨-١٨)
المبحث الثاني: رحلة اوبنهايم إلى لبنان، سورية، وديار شمّر ١٨٩٣م	(١٩-٣٥)
المبحث الثالث: رحلة اوبنهايم إلى العراق والخليج العربي واستانبول	(٣٦-٥٥)
أولاً: رحلة اوبنهايم من الموصل إلى بومباي	(٣٦-٤٦)
ثانياً: نهاية رحلته والعودة الى ألمانيا ١٨٩٤	(٤٦-٤٩)
ثالثاً: رحلة اوبنهايم الى استانبول عام ١٨٩٥.	(٤٩- ٥٥)
الفصل الثاني: **نشاط اوبنهايم السياسي والآثاري** (**١٨٩٦-١٩١٣**).	(٥٦-٩٤)
المبحث الأول: دوره في القنصلية الالمانية في القاهرة.	(٥٦- ٧٢)

المبحث الثاني: دور اوبنهايم الرسمي في مشروع سكة حديد برلين – بغداد والتنقيب في تل حلف ١٩٠٢- ١٩١٣ .	(٧٣-٩٤)
أولاً: تطور عمل اوبنهايم في القاهرة ونتائجه .	(٧٣-٨٨)
ثانياً: التنقيب في آثار تل حلف .	(٨٩-٩٤)
الفصل الثالث: **دور اوبنهايم في الدعاية الالمانية خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨)**	(٩٥- ١٥٦)
المبحث الأول: مقترحات اوبنهايم وخططه لنشر الدعاية الألمانية ١٩١٤.	(٩٥- ١٢٢)
أولاً: ظروف وأسباب اختيار اوبنهايم لتولي مهام الدعاية	(٩٥-١٠٦)
ثانياً: مذكرة اوبنهايم الى الحكومة الالمانية في تشرين الاول ١٩١٤	(١٠٦-١١٠)
ثالثاً: إعلان الجهاد العثماني وتطور عمل اوبنهايم	(١١٠- ١١٤)
رابعاً: دور اوبنهايم في عمل البعثات الألمانية الى العالم الإسلامي	(١١٥-١٢٢)
المبحث الثاني: دور وكالة أخبار الشرق في نشر الدعاية الألمانية.	(١٢٣-١٣٤)
أولاً: التنظيم الداخلي لوكالة أخبار الشرق .	(١٢٣-١٢٧)
ثانياً: نشاطات ومهام الوكالة .	(١٢٧-١٣٤)
المبحث الثالث: دور أوبنهايم في الدعاية للحرب المقدسة ١٩١٥- ١٩١٨ .	(١٣٥- ١٥٦)
أولاً: لقاء اوبنهايم مع الأمير فيصل بن الحسين ١٩١٥م .	(١٣٥-١٤١)
ثانياً: رحلة اوبنهايم الى بلاد الشام ومصير الدعاية الألمانية حتى عام ١٩١٨.	(١٤٢- ١٥٦)
الفصل الرابع: **نتاجات اوبنهايم الأثرية والعلمية ومواقفه السياسية ١٩١٨-١٩٤٦**	(١٥٧- ١٨٩)
المبحث الأول: إنجازات اوبنهايم الأثرية والعلمية في ظل المتغيرات السياسية ١٩١٨-١٩٣٩.	(١٥٧-١٧٠)
المبحث الثاني: دور اوبنهايم في رسم سياسة المانيا النازية تجاه الشرق الاوسط .	(١٧١- ١٨٩)
أولاً: مقترحاته تجاه الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية.	(١٧١- ١٨٨)
ثانياً: وفاته .	(١٨٨- ١٨٩)

الخاتمـــــــــــــــة	(١٩٠- ١٩٣)
المـلاحـــــــــق	(١٩٤-٢٠٢)
قائمة المصـــــــــــــادر	(٢٠٣- ٢١٦)
(Abstract)	(A - B)

المقـــــدمـــة

المقـــدمـة

نطاق البحث وتحليل المصادر :

إن الاستشراق هو اهتمام فكري وحضاري بعالم الشرق، تأسس بوصفه مؤسسة فكرية بعد أن فشلت الحروب الصليبية، إذ تعززت قناعة رجال السياسة والكنيسة في الغرب بأن العالم الاسلامي لا يمكن إخضاعه بالقوة فلجأوا الى دراسة أحوال المسلمين والعالم الشرقي عموماً، وقد تنوعت اتجاهات المستشرقين بتنوع المراكز التي انطلقوا منها وإحدى تلك المراكز ألمانيا، التي لم يبدأ الاستشراق بدايته الحقيقية فيها إلا أوائل القرن الثامن عشر، بعد أن انفرد بمميزات لم تتوفر لدى الاستشراق في البلدان الغربية الأخرى، فالمستشرقون الألمان على الأغلب لم تسيطر عليهم أهداف استعمارية أو تبشيرية، ولم يتصفوا بالعداء تجاه الإسلام والمسلمين، كما عرفوا باندفاعهم نحو الأدب العربي وحبهم لتعلم اللغة العربية، إلا أن تطورات منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين جعلت للاستشراق الألماني دوافع اقتصادية بدايةً ثم سياسية وعسكرية، إذ دخلت ألمانيا في سباق تنافسي مع بريطانيا وفرنسا، وهذا ما جعل للاستشراق الألماني وجهاً آخر، فكان خير مثال على تلك المرحلة المستشرق ماكس فون اوبنهايم.

ومن هذا المنطلق جاء اختيار شخصية المستشرق اوبنهايم موضوعاً للدراسة المعنونة (المستشرق الالماني فون اوبنهايم ١٨٦٠ – ١٩٤٦ دراسة تاريخية)، لما احتلته هذه الشخصية من موقع بارز في الاستشراق الألماني من جهة، والتأثير المباشر على السياسة الألمانية خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية من جهة أخرى. فضلاً عن نشاطه وحماسه من أجل توثيق ودراسة المجتمع الشرقي ونقل مشاهداته وتجاربه الشخصية في الشرق الى العالم الغربي.

وتحاول إشكالية الرسالة تبيان التالي : كيف وظف المستشرق اوبنهايم حبه للشرق ورحلاته العلمية، واكتشافاته، وجهوده الاستخباراتية في خدمة مصالح ألمانيا الاستعمارية المتنوعة في تلك المرحلة ؟ و كيف استخدم العقيدة الدينية والانتماء القومي في الشرق سلاحاً ضد أعداء ألمانيا ؟. و حاول الباحث الإجابة على هذه الأسئلة من خلال الرسالة.

تكونت الرسالة من مقدمة وأربعة فصول، أعقبها خاتمة وقائمة للمصادر .

تناول الفصل الأول: (ماكس فون اوبنهايم: نشأته و رحلاته العلمية ١٨٦٠ – ١٨٩٥). وجاء على ثلاثة مباحث، قدم المبحث الأول: ولادته – نشأته – دراسته١٨٦٠ – ١٨٩٣، وركز المبحث الثاني على: رحلة اوبنهايم الى لبنان، سورية، ديار شمّر ١٨٩٣ ، وجاء المبحث الثالث: رحلة اوبنهايم الى العراق والخليج العربي واستانبول، وتضمن ثلاث نقاط، أولاً: رحلة أوبنهايم من الموصل الى بومباي، ثانياً: نهاية رحلته والعودة الى ألمانيا، ثالثاً: رحلة اوبنهايم الى استانبول ١٨٩٥ .

تضمن الفصل الثاني المعنون: (نشاط أوبنهايم السياسي والآثاري ١٨٩٦–١٩١٣)، مبحثين، درس المبحث الأول: دوره في القنصلية الألمانية في القاهرة، وتضمن المبحث الثاني: دور اوبنهايم الرسمي في مشروع سكة حديد بغداد– برلين والتنقيب في تل حلف ١٩٠٢– ١٩١٣، وجاء هذا المبحث على نقطتين، أولاً: تطور عمل اوبنهايم في القاهرة ونتائجه، ثانياً: التنقيب في آثار تل حلف.

جاء الفصل الثالث بعنوان: (دور اوبنهايم في الدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤–١٩١٨)، ويقع في ثلاثة مباحث. تناول المبحث الاول: مقترحات اوبنهايم وخططه لنشر الدعاية الألمانية ١٩١٤، وتضمن ثلاثة نقاط. أولاً: ظروف وأسباب اختيار اوبنهايم لتولي مهام الدعاية، ثانياً: مذكرة اوبنهايم الى الحكومة الألمانية في تشرين الأول ١٩١٤، ثالثاً: إعلان الجهاد العثماني وتطور عمل اوبنهايم، رابعاً: دور اوبنهايم في عمل البعثات الألمانية الى العالم الإسلامي. أما المبحث الثاني: دور وكالة أخبار الشرق في نشر الدعاية الألمانية، جاء في نقطتين، أولاً: التنظيم الداخلي لوكالة أخبار الشرق، ثانياً: نشاطات ومهام الوكالة. وتضمن المبحث الثالث: دور اوبنهايم في الدعاية للحرب المقدسة ١٩١٥– ١٩١٨ وجاء في نقطتين، أولاً: لقاء اوبنهايم مع الأمير فيصل بن الحسين ١٩١٥، ثانياً: رحلة اوبنهايم الى بلاد الشام ومصير الدعاية الألمانية حتى عام ١٩١٨.

تناول الفصل الرابع: (نتاجات أوبنهايم الأثرية والعلمية ومواقفه السياسية ١٩١٨–١٩٤٦)، تضمن مبحثين: تناول المبحث الأول : إنجازات اوبنهايم الأثرية والعلمية في ظل المتغيرات السياسية ١٩١٨–١٩٣٩، وركز المبحث الثاني على: دور اوبنهايم في رسم سياسة ألمانيا النازية

تجاه الشرق الأوسط، وجاء في نقطتين: أولاً: مقترحاته تجاه الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية، ثانياً: وفاته .

تحليل المصادر:

إعتمدت الرسالة في محتوياتها على عدد من المصادر، تنوعت بحسب مقتضيات فصولها، يأتي في مقدمتها الكتب الأجنبية ومن أبرزها: كتاب المؤرخ الاسكتلندي ليونيل غوسمان (Lionel Gossman) المعنون:

(The Passion of Max von Oppenheim: Archaeology and Intrigue in the Middle East from Wilhelm II to Hitler)

(شغف ماكس فون اوبنهايم: علم الآثار و التآمر في الشرق الأوسط من فيلهلم الثاني الى هتلر).

وهو كتاب باللغة الانجليزية أفادت منه الرسالة بشكل أساسي لاحتوائه على معلومات تاريخية وثائقية، تفصيلية قيَّمة ودقيقة عن سيرة حياة ماكس فون اوبنهايم (١٨٦٠-١٩٤٦) بوصفه من أبرز الشخصيات التي أحبت الشرق واهتمت بثقافاته، ثم انصاعت الى الرغبات والمصالح الرسمية الألمانية في بلاد الشرق، وقد غلب على هذا الكتاب طرح بعض المعلومات التاريخية بصورة أدبية نوعاً ما، وبالرغم من المعلومات الغنية التي ذكرها الكتاب عن اوبنهايم والتي استقى المؤلف أغلبها من وثائق أرشيف وزارة الخارجية الالمانية، لكنه لم يذكر الكثير من تفاصيل حياة اوبنهايم و أدواره السياسية، وقد أفاد الباحث من هذا الكتاب بشكل أساسي وكبير في ثنايا الرسالة.

كما أفادت الرسالة بشكل كبير من كتاب المؤرخ الأمريكي شين مكميكن (Sean McMeekin) المعنون :

(The Berlin –Baghdad express : the Ottoman empire and Germany's bid for world war) (سكة حديد برلين – بغداد: رهان الامبراطورية العثمانية وألمانيا لحرب عالمية)

وقد اعتمد الكتاب على الوثائق المهمة من الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية، و العديد من الكتب الوثائقية وغيرها من البحوث التي تعود الى مدة الحرب العالمية الاولى، وتتركز فحوى الكتاب حول الدور الذي قام اوبنهايم بتأديته لخدمة مصالح الامبراطورية الألمانية في

الشرق، ومن أبرزها المصالح الاقتصادية التي تمثلت في محاولات إنجاح مشروع سكة حديد برلين بغداد .

أما كتاب فيلفريد لوث و مارك هانش (Wilfried Loth und Marc Hanisch) المعنون:

(Erster Weltkrieg und Dschihad: Die Deutschen und die Revolutionierung des Orient).

(الحرب العالمية والجهاد: الألمان والثورة في الشرق).

كتاب باللغة الالمانية، فقد جمع عدداً من البحوث الوثائقية التي قام بإعدادها مؤرخون ألمان، وتعددت مواضيع تلك البحوث التي ركزت على (الجهاد على الطريقة الالمانية في الحرب، ودور ماكس فون اوبنهايم في اشعال الثورة الاسلامية في المناطق الخاضعة للدول الاستعمارية في الحرب، وبحث اخر عن الحرب المقدسة ورحلة الكابتن فريتز كلاين في العراق وبلاد فارس بوصفه مبعوثاً المانياً، وبحث تناول دور المستشرق والمترجم كيرت بروفر صديق اوبنهايم) واعتمد على عدد من وثائق وملفات وزارة الخارجية الالمانية والكتب النادرة التي تعود الى مدة الحرب العالمية الاولى وما بعدها .

وبالنسبة لكتاب دونالد. ام. مكال (Donald M. Mckale) المؤرخ البروفيسور في العلوم الانسانية، المعنون: (War by revolution: Germany and great Britain in the Middle east in the era of world war I).

(الحرب عن طريق الثورة: ألمانيا وبريطانيا العظمى في الشرق الأوسط في عهد الحرب العالمية الأولى).

أفادت منه الرسالة بشكل كبير وأساسي فهو دراسة شاملة عن التنافس في الحرب العالمية الاولى بين ألمانيا وبريطانيا في ميادين الشرق الاوسط، درس فيه المؤلف كيف خاضت الدولتان الحرب عن طريق الثورة، أي محاولة تحريض السكان الأصليين على الثورة ضد الدولة الاخرى المتسلطة عليهم، وركز على أفكار القادة الألمان وأبرزهم اوبنهايم حول إمكانية استغلال الوحدة الاسلامية في حالة نشوب الحرب، من خلال التأثير على السلطان العثماني لأجل مناشدة كل

المسلمين في العالم للنهوض بالثورة ضد البريطانيين في مصر والهند والهاب المشاعر المعادية لهم في البلاد الاسلامية الأخرى وصولاً الى ليبيا والحبشة وبلاد فارس وأفغانستان .

أما المصادر العربية والمترجمة فلا نخفي عدم العثور على مصدر عربي أو مترجم يتعرض لسيرة المستشرق اوبنهايم بشكل منفرد وخاص، و من الجدير بالذكر أن أهم كتاب عربي وثائقي درس بشكل ضمني جزءاً من العمل السياسي والدبلوماسي لاوبنهايم، هو كتاب (ألمانيا والاسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين) للمؤلف عبد الرؤوف سنو، الأستاذ في الجامعة اللبنانية، وتعود أهمية الكتاب الى اعتماد المؤلف الوثائق المهمة من ملفات وتقارير فون اوبنهايم الموجودة في الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الالمانية .

أفادت الرسالة من الفصل الثاني في الكتاب إذ ركز على الاسلام في الدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الاولى، والنشاط المؤسساتي للدعاية وتقنياتها ومضامينها، ومن أبرز مؤسساتها هي وكالة استخبارات الشرق برئاسة اوبنهايم، كما تناول موقف الفكر السياسي العربي وردود الأفعال الشعبية من تلك الدعاية .

أما الكتاب المترجم (السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الاسلامي) للمؤلف التركي قيصر أ. فرح فصدر باللغة التركية عام ٢٠٠٨م، ثم بالطبعة العربية عام ٢٠١٢م، فقد ركز الكتاب على عدد من المواضيع المهمة التي أفادت منها الرسالة، أبرزها سياسة ألمانيا والامبراطور فيلهلم الثاني المؤيدة للإسلام من خلال التقرب من السلطان العثماني وكسب صداقته بصفته خليفةً للمسلمين، كما درس الكتاب الخطط الألمانية لحشد العالم الاسلامي ضد دول الوفاق و أهمها خطة اوبنهايم، ودور العديد من المستشرقين والعلماء الالمان في خدمة الدعاية الالمانية .

أفادت الرسالة من عدد من مؤلفات المستشرق فون أوبنهايم، التي توفرت للباحث، أهمها كتاب (من البحر المتوسط الى الخليج) المكون من جزئين، والمترجم من اللغة الالمانية الى اللغة العربية، وهو عبارة عن مذكرات كتبها المؤلف عن رحلته في عام ١٨٩٣ التي تنقل فيها بين ارجاء العالم العربي والاسلامي انطلاقاً من لبنان وسورية، وصولاً الى العراق والخليج ثم الهند، أغناه بالمعلومات التي سجلها اوبنهايم عن أحوال البلاد والناس هناك، وعن تنقلاته المدروسة واهتماماته التاريخية والاثرية والجغرافية، وعلاقات الصداقة التي أقامها مع الشخصيات القبلية المعروفة، والشخصيات الحكومية العثمانية، والدبلوماسيين الاوروبيين، وغيرها من المعلومات المهمة والشيّقة.

قامت دار الوراق للنشر بإصدار أجزاء من كتاب الرحلة على شكل كتب منفصلة أفاد الباحث منها كل على حدةٍ:

الكتاب الأول (الدروز)، نظراً للأهمية التاريخية الكبيرة التي قامت بها تلك الطائفة في لبنان وسورية، ولكون ديانتهم ديانة سرية نشأت حولها حكايات وإتهامات كثيرة، أما الكتاب الثاني (رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة)، تضمن زيارة اوبنهايم لديار قبيلة شمر العربية، وعلاقته مع فارس باشا زعيم القبيلة، وركز الكتاب الثالث المعنون (رحلة إلى مسقط عبر الخليج)، على المراحل الأخيرة من رحلة أوبنهايم عام ١٨٩٣ بعد مغادرته للبصرة ومروره بالخليج العربي وصولاً الى مدينة مسقط العمانية، وعبوره الى الهند ثم الى مستعمرة شرق أفريقيا الالمانية.

أما الكتاب الآخر لأوبنهايم بعنوان (البدو) المترجم عن اللغة الالمانية، والذي اعتبره اوبنهايم حصيلة لأربعين عاماً من العمل في الشرق. فقد أفادت الرسالة من هذا المؤلف الضخم، لإحتوائه على سيرة موجزة وشيقّة عن حياة اوبنهايم كتبها بنفسه، فضلاً عن كونه موسوعة شاملة تناول فيها المؤلف وصف التكوين الاجتماعي للقبائل العربية في العراق وسوريا وفلسطين والأردن، وأحوال القبائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وعلاقاتها مع الحكومة العثمانية، وموقفها من الدول الاستعمارية المتنفذة مثل بريطانيا وفرنسا، وهو عبارة عن أربعة مجلدات ضخمة ألحق بها مجلداً خامساً يحتوي على الخرائط والصور التي أعدها المؤلف خلال أعوام من البحث والتوثيق.

أما الكتاب الثالث للمؤلف اوبنهايم بعنوان" رابح ومنطقة بحيرة تشاد " " Rabeh Und Das Tschadseegebiet "، الذي صدر في برلين باللغة الالمانية عام ١٩٠٢، وهو عبارة عن تقرير مفصل رفعه اوبنهايم الى وزارة الخارجية الالمانية عن أحد قادة المقاومة الافريقية الأمير السوداني (رابح)، وركز الكتاب على تلك الشخصية ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وأوضاع منطقة تشاد وممالكها، وتكون الكتاب من مجموعة مباحث حول الأمير السوداني الزبير باشا رحمة معلم رابح، وبدايات ظهور رابح على مسرح الأحداث السياسية، وغزواته في منطقة تشاد، وانشائه لإمبراطورية قوية هناك، وصراعه مع الاحتلال الفرنسي، ثم عرج المؤلف على وفاة رابح وتفكك مملكته وإقتسامها بين الدول الاوروبية، ونجاح المانيا في الاستحواذ على حصتها من تلك المملكة، ثم ذكر المؤلف وصفاً موجزاً لمدن بحيرة تشاد وهي دارفور، سلطنة وداي، كانيم، باغيرمي، برونو وسوكوتو.

ساهمت الدراسات الاكاديمية في إغناء مادة الرسالة، وأذكر منها أطروحة دكتوراه باللغة الالمانية، للطالب سلفادور اوبرهاوس (Salvador Oberhaus)، المعنونة: (السياسة الالمانية في مصر من ١٩١٤ الى ١٩١٨ جزء من تاريخ الدعاية في الحرب العالمية الاولى)

(Die deutsche Ägyptenpolitik 1914 bis 1918 Ein Beitrag zur Propagandageschichte des Ersten Weltkrieges)

وأطروحة باللغة الانجليزية للطالب التركي (Secil Deren) بعنوان: (أفكار وتوقعات المانيا للتوسع في الشرق الادنى ١٨٩٠ – ١٩١٥م) .

(German ideas and expectations on expansion the near east 1890–1915)

الى جانب رسائل أخرى باللغة الانجليزية، و المقالات والبحوث، سواء ما نشر منها باللغة العربية أو اللغات الاجنبية التي تعرضت لجوانب مختلفة حول موضوع الرسالة، كما ذُيلت الرسالة بعدد من الملاحق المتنوعة التي ضمت وثائق منشورة، وجدول، وخرائط وصور توضيحية.

في البداية واجه الباحث بعض الصعوبات، منها عدم الحصول على مصادر عربية درست شخصية فون اوبنهايم، واعتماد الباحث بشكل تام على المصادر الأجنبية، التي لم يكن من السهل الحصول عليها وترجمتها، فالأمر لم يخلو من صعوبة صياغة المادة المترجمة بأسلوب تأريخي، وهذا ما تطلب وقتاً وجهداً إضافيين، إلا أن الباحث تمكن بفضل الله وتوفيقه من تجاوز تلك الصعوبات وإظهار الرسالة بالشكل المناسب.

أخيراً لا أزعم إني قدمت دراسة متكاملة فالكمال لله سبحانه وتعالى، ولكن يحدوني الأمل أن تكون هذه الرسالة قد بينت الجوانب التي نراها جديرة بالإهتمام، وألتمس العذر إن اخطأت من غير قصد، وحسبي إني حاولت إضافة خطوة جديدة في طريق البحث الأكاديمي من أجل الوصول الى الحقيقة التاريخية، وأضع هذا الجهد بين يدَي أساتذتي الأفاضل شاكراً لهم جهودهم في إبداء ملاحظاتهم لتعزيز القيمة العلمية للرسالة، والله تعالى ولي التوفيق.

الباحث .

الفصل الأول

ماكس فون اوبنهايم: (نشأته ورحلاته العلمية ١٨٦٠- ١٨٩٥م).

- **المبحث الأول: ولادته – نشأته – دراسته ١٨٦٠ – ١٨٩٣.**

- **المبحث الثاني: رحلة أوبنهايم إلى لبنان، سورية، وديار شمّر ١٨٩٣م.**

- **المبحث الثالث: رحلة أوبنهايم إلى العراق والخليج العربي واستانبول.**

أولاً: رحلة أوبنهايم من الموصل إلى بومباي.

ثانياً: نهاية رحلته والعودة إلى ألمانيا ١٨٩٤.

ثالثاً: رحلة أوبنهايم إلى استانبول عام ١٨٩٥.

المبحث الأول: ولادته – نشأته – دراسته ١٨٦٠ - ١٨٩٣:

وُلد ماكس فون اوبنهايم (Max Von Oppenheim) في الخامس عشر من تموز ١٨٦٠م لعائلة ذات أُصول يهودية مشهورة بالثراء في مدينة كولونيا (Koln)[١] الألمانية، وعُرف أجداده الأوائل بتجارة الحرير في مدينة فرانكفورت (Frankfurt)[٢] خلال القرن السادس عشر للميلاد، سطع نجم العائلة أكثر عندما برز أحد أبنائها وهو سليمان اوبنهايم Salomon (Oppenheim) الذي أصبح الوكيل القانوني الرسمي لتجارة العائلة، وانتقل على إثر ذلك إلى مدينة بون (Bonn) عام ١٧٤٠م لتوسيع المشاريع التجارية وتطويرها، وبمرور الأعوام ازدادت ثروات تلك العائلة ونشط أبنائها في ميدان التجارة والمال، فأسست أحد المصارف الاستثمارية المهمة في ألمانيا وهو مصرف (سليمان اوبنهايم الأصغر وشركائه) (Sal.Oppenheim jr.& Cie) عام١٧٨٩، على يد أحد أفرادها الشباب ويدعى سليمان اوبنهايم (١٧٧٢م– ١٨٢٨) في كولونيا ونقل أعماله الى تلك المدينة عام ١٧٩٨م [٣] .

كان لسليمان ولدين هما سيمون (Simon) (١٨٠٣–١٨٨٠) و ابراهام (Abraham) (١٨٠٤–١٨٧٨م)، وقد تمكنا بمساعدة والدتهما تيريز (Therese) من إدارة مصرف العائلة بعد وفاة الأب وتحول بجهودهم الى أكثر المصارف شهرة وأهمية آنذاك في أوروبا عموماً، ثم شاركوا

---

(١) كولونيا: تقع غرب ألمانيا على نهر الراين بين مدينتي بون و دوسلدورف (Dusseldorf)، تعود شهرتها الى الصرح الديني المسيحي الذي يسمى بكاتدرائية كولونيا التي بدأت أعمال إنشائها في ١٢٤٨م ولم تنتهي إلا في ١٨٨٠م، للمزيد ينظر:
مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٣، بيروت، ١٩٩٤م، ص ١١١ .

(٢) فرانكفورت: إحدى المدن الألمانية التي تمثلت أهميتها بمكانتها التجارية، ففي عام ١٢٤٠م أقيم فيها المعرض التجاري الأول في مقاطعة رومبرغ، وأصبحت مركزاً للمؤسسات المصرفية، واقترن إسمها فيما بعد بعدد من الأحداث السياسية الهامة في تاريخ ألمانيا ومنها قيام (برلمان فرانكفورت) وهو برلمان شعبي انبثق من خلال الثورة الشعبية الالمانية لعام ١٨٤٨م، والذي دعا الى انتخابات في عموم ألمانيا والنمسا يشارك فيها جميع الذكور البالغين بعيداً عن الاعتبارات الطبقية، للمزيد ينظر:
المصدر نفسه، ج٣، ص ص ١٠٩- ١١٠ .

(3) Lionel Gossman, The passion of max von Oppenheim: Archaeology and Intrigue in the Middle East from Wilhelm II to Hitler, Lightning source for open book publisher, Cambridge, p. 4 .

أعمالهم المصرفية مع عائلة روتشيلد (Rothschild) [١] وارتبطوا بعلاقات مصاهرةٍ معها، فأصبح مصرف سليمان اوبنهايم من الجهات الرأسمالية الكبيرة، بعد مساهمته في تمويل الشركات الصناعية الالمانية التي عُنيت بتنفيذ مشاريع عديدة منها بناء السكك الحديدية ووسائل النقل النهري ومختلف الصناعات [٢] .

سعت عائلة أوبنهايم من خلال ثروتها الى مساعدة أبناء مجتمعها من المسيحيين واليهود على حد سواء، وحرصوا على ذلك أكثر بعد أن أوصت الأم تيريز عند وفاتها بأن تشمل عطايا العائلة الكثير من المحتاجين، فواصلوا إنفاق التبرعات على الفقراء من ضحايا الفيضانات والحوادث الصناعية، والعمال والمحاربين القدامى، كما ساهمت العائلة بمبالغ كبيرة لدعم المنح الدراسية في جامعة بون الألمانية، ودعم الموهوبين من أبناء الأسر الفقيرة كما أنشأت العائلة معهداً للصم والبكم وداراً للأيتام، الى جانب اهتمامها بالمؤسسات الثقافية فقد كانت تيريز وابنيها من بين الأعضاء المؤسسين لرابطة الفن في كولونيا عام ١٨٣٩، و من أوائل الداعمين لجمعية بناء الكاتدرائية التي أنشأت عام ١٨٤٢م للتمويل والإشراف على أحد المشاريع الوطنية لإستكمال بناء كاتدرائية كولونيا الكبيرة [٣] .

ترك سيمون ولدين هما إدوارد (Edward) (١٨٣١-١٩٠٩م)، وألبرت (Albert) (١٨٣٤م-١٩١٢م) [٤]، ومع تسلمهما أمور العائلة ازداد الاهتمام بمحاولة إثبات الولاء للأسرة

---

(١) آل روتشيلد: استقر جد هذه العائلة الصائغ اليهودي آمشل موسى باور في مدينة فرانكفورت الألمانية عام ١٧٥٠م، حيث افتتح محل للصرافة هناك سرعان ما تحول الى مؤسسة مالية كبرى وفوق بابها وبيته كان يعلق درعاً احمر يقرأ باللغة الألمانية" روتشيلد"، وعندما توفي الأب آمشل ترك ابنه مائير باور الذي بدأ حياته كاتباً في مصرف اوبنهايم، ولم تمض فترة طويلة حتى أظهر عبقريته في الصرافة والأنشطة الربوية، مما دفع مصرف اوبنهايم لاستغلال نشاطه وجعله شريكاً، ويعتبر مائير باور الذي عرف فيما بعد بإسم مائير روتشيلد وعاش في الفترة بين ١٧٤٣-١٨١٢، وزوجته اليهودية "جوتا شنابير"، هما المؤسسان الحقيقيان لآل روتشيلد أشهر أباطرة المال والنفوذ، للمزيد ينظر:
مجدي كامل، آل روتشيلد : المال عندما يخلق دولة من العدم الدرس الذي لم يتعلمه العرب، دار الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ص١١-١٢ .

(2) Gossman, Op. Cit, p. 5 .
(3) Ibid, p. 6 .

(٤) أدى إدوارد دورا رئيسياً في إنشاء حديقة حيوانات مدينة كولونيا، أما ألبرت فقد عمل في مجلس محافظي مدينة كولونيا لخمسين عاماً (١٨٦٠-١٩١٠م) ورئيساً للمجلس ذاته خلال (١٨٩٨م – ١٩١٠م)، للمزيد ينظر :
- Ibid, p. 7 .

الامبراطورية الحاكمة من خلال تقديم الهدايا ودعم المشاريع الإنشائية والمساهمة في تشييد الآثار تكريماً لرموز ألمانيا وأبطالها الوطنيون، وتجسيداً للأحداث المهمة في تاريخها [١] .

لم يكن كل من إدوارد وألبرت متعصبَّين لليهودية، فقد كانوا أكثر تقبلاً وانفتاحاً مع مجتمعهم، ونلاحظ ذلك من خلال اهتمامهما بتعزيز العلاقات مع المجتمع المسيحي، فقد قرر كلاهما الزواج من مسيحيتين، فتزوج إدوارد فتاة بروتستانتية مسيحية من كولونيا واعتنق ديانتها وقد أنجبت له ولداً هو سيمون الفريد (Simon Alfred)(١٨٦٤-١٩٣٢)، كما تزوج ألبرت من فتاة كاثوليكية مسيحية من كولونيا أيضاً تدعى باولين انجل (Pauline Engel) بعد أن اعتنق المسيحية على المذهب الكاثوليكي، فأنجبت ماكس فون أوبنهايم في الخامس عشر من تموز ١٨٦٠م، وبما أن كل من إدوارد وألبرت هما الوريثان الوحيدان لعائلة أوبنهايم وكلاهما اعتنق المسيحية فقد انتهى إرتباط العائلة من حيث المبدأ بالأصول اليهودية [٢] .

ولد أوبنهايم في كولونيا و تم تعميده حسب تعاليم الديانة المسيحية الكاثوليكية، وعاش في ظل أسرته الثرية المعروفة بالجاه والسمعة [٣]، وتحت رعاية والديه اللذَين كان لهما من الإهتمام والإشراف عليه وتربيته بما ينمي اهتماماته وميوله، فأصبح منذ صباه شغوفاً بقراءة القصص الغريبة والاطلاع على رحلات الأوروبيين إلى بلاد الشرق، و زاد إندفاعه وحماسه عندما أُهديت له طبعة مصورة من رواية ألف ليلة وليلة العربية في عيد ميلاده، حيث أيقظت فيه– الحكايات والصور الغريبة في الرواية – حب المغامرة والسفر إلى الشرق[٤]، وليس بالشيء الغريب تأثره بالرواية فقد سبقه العديد من المستشرقين الأوروبيين[٥] في حب الاكتشاف لثقافات الشرق والعالم

(1) Gossman, Op. Cit , p. 7 .
(2) Ibid , p. 11 .
(3) Ibid , p. 12 .

(٤) ماكس فون اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ترجمة محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٤م، ص ٧ .

(٥) أبرزهم الشاعر الألماني فولفغانغ غوته (W.Goethe) قد تأثر كثيراً بترجمة الرواية، وتأثر بالشرق وبدأ ينشغل بتجلياته وإبداعاته فكانت دافعاً له لكتابة ديوانه الشعري المعروف بالديوان الغربي الشرقي، بالإضافة الى الشاعر الالماني فريدريش روكرت (F . Ruckert) (١٧٨٨-١٨٦٦) الذي افتتن بمعرفة الشرق واللغة العربية فترجم بنفسه الكثير من المؤلفات الى اللغة الألمانية، وقد خصصت المستشرقة الألمانية آنا ماري شميل في =

الاسلامي من خلالها بعد أن قام المستشرق الفرنسي انطوان غالان (Gallan)[١] بترجمتها فقد أثرت بمجموعات كبيرة من المثقفين الاوروبيين منذ القرن الثامن عشر [٢] .

كان من المقرر لاوبنهايم بوصفه أكبر أفراد عائلته أن يُعد لتعلم أصول العمل المصرفي، ليكون مهيئً لإستلام زمام إدارة مصرف العائلة حينما يأتي الوقت المناسب، إلا أنه لم يكن مهتماً بالأمر وطور اهتماماً خفياً بالشرق والعالم الاسلامي، وتابع بحماس سبل تحقيق حلم صباه بتكريس حياته لدراسة شعوب وحضارات المشرق، ما فسح المجال أمام ابن عمه سيمون الفريد في إدارة مصرف العائلة لعدة أعوام [٣] .

كان اوبنهايم يرى مستقبله وطموحاته تكمن في الشرق، على الرغم من محاولات والديه لتغيير قناعته، ولإسترضاء والده التحق بكلية القانون بعد إكماله الخدمة العسكرية في الحرس الامبراطوري [٤]، فكانت دراسته لعام واحد في جامعة ستراسبورغ (Strasbourg) عام ١٨٧٩م ثم أكمل الدراسة في جامعة برلين بين عامي (١٨٨١- ١٨٨٣م) وفي شهر شباط عام ١٨٨٣م تخرج

=كتابها (أوروبا في مواجهة العالم الاسلامي) فصلاً مهماً حول آثار رواية ألف ليلة وليلة على الأوروبيين، فقد رأت بأن ترجمة غالان لها قد أحدثت تغييراً واضحاً في نظرة الجمهور الاوروبي الى الشرق الاسلامي، فالنظرة التي كانت قائمة على أساس أن الشرق الإسلامي هو موطن العداء للمسيح قد تغيرت، وأصبح هو العالم البهيج والمحاط بالغموض والأسرار، وقد فتحت الرواية أمام القراء الغربيين الباب إلى عالم من الإفتتان والجمال الذي لا يمكن إيجاده في أعمال ادبية عربية رصينة ومكتوبة باللغة العربية الفصحى، وإن التأثير الذي أحدثته الرواية على الأدب الاوروبي كان تأثيراً غير منظور تقريباً، فلقد تحولت تلك الحكايات الى مادة استلهم منها الشعراء والرسامون والموسيقيون أفكار إبداعاتهم الأدبية، للمزيد ينظر:

رضوان السيد، المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر، ط ٢، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠١٦م، ص ١٦؛ آنا ماري شميل، أوروبا في مواجهة العالم الإسلامي، ترجمة: محمد نبيل خلف، دار السيد للنشر، الرياض، ٢٠١٠م، ص ص ٥٩-٦٠ .

(١) أنطوان غالان (١٦٤٦-١٧١٥): مستشرق وباحث فرنسي، درس في المعاهد الفرنسية، أصبح سفيراً في الدولة العثمانية عام ١٦٧٠ للبحث عن الآثار والنقوش، ثم قام برحلة على نفقته، ولما عاد الى فرنسا عُين أستاذاً للغة العربية في معهد فرنسا عام ١٧٠٩، وتم انتخابه عضواً في مجامع علمية كثيرة، ومن آثاره المهمة أنه أول من ترجم رواية ألف ليلة وليلة الى اللغة الفرسية. للمزيد ينظر:

نجيب العقيقي، المستشرقون، ج١، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٧٤ .

(٢) رضوان السيد، المصدر السابق، ص ١٦.

(3) Gossman , Op. Cit , p. 13 .

(4) Sean McMeekin, The Berlin – Baghdad Express: The Ottoman empire and Germany’s bid for world power, Penguin Books Ltd, London, 2010 , p. 18 .

من الجامعة بعد أن نجح في إمتحان الدولة الذي يؤهله للعمل في الدوائر الرسمية، وبعد مرور مدة من الوقت حصل على شهادة عليا في القانون من جامعة غوتنغن (Gottingen) الألمانية [١] .

بدأ اوبنهايم بالبحث عن موقع له في عالم الاستشراق حيث صنع نفسه بنفسه فقد اهتم منذ سنوات مبكرة بدراسة اللغة العربية تحت إشراف مدرسين خاصين وكان أحد هؤلاء هو فريدريخ فيلهلم مولر(Friedrich Wilhelm Muller) الذي أبدى اهتماماً كبيراً بتعليمه اللغة العربية، وكان أحد الملهمين والمشجعين له للمضي قدماً في تحقيق طموحه، ولما كان تعلم اللغات الشرقية عاملاً أساسياً لنجاح وتطوير اهتمامات الرحالة و المستشرقين بثقافات وأحوال الشعوب الشرقية والاسلامية فإن تعلم اوبنهايم للغة العربية وان لم يكن تعلماً تاماً، إلا أنه كان عاملاً مشجعاً لإنتقاله من مرحلة الشغف والإطلاع غير المباشر على ثقافات الشرق من خلال الكتب والدراسات، إلى مرحلة الإهتمام الشخصي والبحث العلمي من خلال الرغبة في السفر الى الشرق [٢].

بعد أن اقتنع والده بأنه معرض تماماً عن العمل في إدارة مصرف العائلة وأن الإدارة آلت بطبيعة الحال الى ابن أخيه سيمون الفريد، وافق على دعمه مالياً للقيام برحلته الأولى الى الشرق[٣] وذلك عام ١٨٨٣م برفقة عمه إدوارد وقد وصلوا الى أزمير[٤] ثم أثينا ثم استانبول، وكانت تلك أولى رحلاته الى الشرق [٥]، و اهتم اوبنهايم خلالها بأزياء المرأة الشرقية، وفي محاولة منه لفهم ثقافة المجتمع الشرقي والارتباط الثقافي بين مكان وآخر في الشرق، قام بجمع نماذج منها وبقيت تشغل حيزاً من اهتماماته التي واصل تطويرها، حتى عقد العزم بعد ثلاثة أعوام على القيام

---

(١) اوبنهايم، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٧ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٨ .

(3) Gossman , Op. Cit , p. 29 .

(٤) أطلق المصدر على تلك المدينة تسمية (سميرنا)، وهي مدينة اغريقية قديمة يعود تأسيسها الى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، تقع في الساحل الغربي للأناضول (تركيا) على البحر المتوسط، ويذكر أن سبب التسمية يعود الى إحدى النساء ثم تم تغيير الاسم ليصبح (زمورنا) و (زمورنايوس)، واشتق من الاسم الأخير اسم المدينة الحديث (أزمير)، للمزيد ينظر:

مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٢٩.

(5) Dan Diner, Enzyklopädie jüdischer Geschichte und Kultur, Band 6, Stuttgart - Weimar, 2015, S. 59 .

برحلة أخرى الى المغرب في شمال افريقيا عام ١٨٨٦ [١]، وكانت أكثر طموحاً وجرأة من سابقتها حيث نجح أثناء تواجده في مدينة فاس المغربية في إقامة علاقات إجتماعية واتخاذ بعض المساعدين له من السكان المحليين، من أجل زيارة الأماكن ومعرفة اللهجات والعادات والحياة العامة، كما تواجد في الأسواق الشعبية وشاهد عن كثب معاملات البيع والشراء وأنواع السلع، كما سجل ملاحظاته عن أسواق النخاسة المحلية الممتلئة بالرقيق [٢] .

شكلت رحلَتَي أوبنهايم إلى الشرق على الرغم من قصر مدتهما، دافعاً مهماً لتطوير طموحاته وأهدافه حيث سعى للحصول على وظيفة حكومية تمكنه من تنفيذ أسفاره بصفة رسمية وتتيح له العمل تحت جناح الدوائر الحكومية الالمانية، ولا سيما وزارة الخارجية، مستفيداً من شهرة عائلته المالية، فبادر عام ١٨٨٧ بتقديم طلب رسمي إلى الوزارة للحصول على وظيفة في السلك الدبلوماسي الالماني، إلا أن طلبه رُفض من قبل وزير الخارجية الألمانية هيربرت فون بسمارك (Herbert von Bismarck) [٣] لأسباب تتعلق بأصوله اليهودية[٤].

وبرر بسمارك موقفه بالقول:

" أنا ضد هذا الشيء لأن اليهود حتى وان كانوا موهوبين فانهم يصبحون عديمي اللباقة وملحين إن حصلوا على مناصب مرموقة أما اسمه فهو مشهور بأنه سامي (يهودي)، فضلاً

---

(1) Kadir Kon, Almanya'nin Islam Stratejisi mimarlarindan Max Von Oppenheim Vebu Konudaki ÜÇ memorandumu, Tarih Dergisi, Sayı 53, İstanbul, 2012, S. 218 .

(2) McMeekin, Op. Cit , p.p. 18 - 19 .

(٣) هربرت فون بسمارك (١٨٤٩-١٩٠٤): ابن زعيم الوحدة الالمانية أوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck)، ولدَ في كانون الأول ١٨٤٩م، وأصبح الى حد بعيد متأثراً بوالده، وتلميذاً له، وانظم في وقت مبكر من شبابه إلى الخدمة في وزارة الخارجية عام ١٨٧٤م، وكان متمسكاً بتعليمات والده بدقة، دخل في حب جنوني مع الأميرة أليزابيث كارولاث بيوثن (Elisabeth von Corolath Beuthen) (١٨٣٩ – ١٩١٤)، واحدة من الشخصيات الأذكى والأجمل والأكثر شعبية في المجتمع الراقي في برلين، وشغل منصب وزير خارجية ألمانيا للمدة (١٨٨٦-١٨٩٠). للمزيد ينظر :

Jonathan Steinberg, Bismarck a Life, Oxford University Press, Oxford, 2011, p. 32.

(4) Gossman, Op. Cit, p. 33 .

عن إن بقية أعضاء هيئتنا الدبلوماسية التي أسعى دوماً للحفاظ عليها لن يكونوا سعداء إن أضفت يهودياً بين صفوفهم فقط لأن أباه بارعاً استطاع جمع الكثير من المال " [١] .

اتضح من ذلك أن مسألة الأصل اليهودي شكلت عائقاً أمام أوبنهايم للوصول الى طموحاته، ذلك لأن الإتجاه الذي كان سائداً في تلك المرحلة هو معاداة اليهودية (السامية) [٢]، وعلى الرغم من نشأته الكاثوليكية، إلا أن إبعاد ذوي الأصول اليهودية عن المناصب الرسمية كان مبدأً أساسياً من مبادئ العمل التي إنتهجتها وزارة الخارجية والدوائر الألمانية الرسمية بشكل عام.

إن فشل محاولته الأولى في الحصول على وظيفة دبلوماسية و تزامناً مع مزاولته للعمل القانوني الذي لم يكن منقطعاً اليه كثيراً، لم يثنه عن إندفاعه وشغفه للشرق ومعرفة حضاراته وثقافاته، فأخذ على عاتقه توسيع دراساته والإهتمام بمجالات أخرى منها دراسات تاريخ الشعوب البدائية، والتاريخ القديم ومن ضمنها الدراسات الآشورية التي جعلت منه عالماً ضليعاً في الثقافات المتنوعة، وهيأ له الحصول على عضوية المتحف الملكي في برلين، وعضوية الجمعية الجغرافية، وجمعية التاريخ البدائي وكلا الجمعيتين مقرهما في برلين أيضاً [٣] .

---

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit, p. 33 .

(٢) معاداة السامية: نُسبت لليهود في العصر الحديث صفات لا يمكنهم التخلص منها، فبينما كان بوسع اليهودي في الماضي أن يتخلص من هويته تماماً عن طريق التنصر ودخول الكنيسة التي كانت تفتح له دائماً ذراعيها، فإن هذا البديل لم يعد مطروحاً في العصر الحديث مع ظهور النظريات المادية التفسيرية للإنسان و الكون والتي أخذت تنظر الى اليهودي بأن سماته وخصائصه أصبحت وراثية ذات جذور مادية عرقية لا يمكنه الفكاك منها مهما بذل من جهود، وقد تحول كره اليهود الى حركات سياسية، ويعود التاريخ الحديث لمعاداة اليهود على أساس عرقي الى عام ١٨٧٣م في وسط أوروبا وذلك مع انهيار البورصة التي كان لبعض الممولين اليهود ضلع فيها، ومع الصعوبات الإقتصادية التي أخذت تطل برأسها. وقد أسس قس البلاط الألماني أدولف ستوكر حزباً مسيحياً اجتماعياً عام ١٨٧٨م وتوجه الى البرجوازية الصغيرة وكذلك الى المهنيين الذين كانوا يتصورون أنهم ضحية هيمنة الرأسمالية اليهودية على الاقتصاد، وطرح ذلك الحزب مفهوماً عضوياً للقومية يستبعد اليهود ويراهم خطراً على الأمن، كما أسست في برلين عام ١٨٨٠م عصبة المعادين لليهود، قدمت عريضة للحكومة الألمانية طلبت وقف جميع أشكال الهجرة اليهودية التي كانت تتدفق من جهة بولندا وأن تصدر تشريعات لإستبعاد اليهود، وقد عُقد أول مؤتمر دولي لمعاداة اليهود عام ١٨٨٢، للمزيد ينظر:
عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٤٦.

(٣) اوبنهايم، المصدر السابق، ج١ ، ص ٧ .

لم يتوانَ أوبنهايم عن إعادة محاولته في دخول السلك الدبلوماسي الألماني، فقدم طلباً آخر الى وزارة الخارجية عام ١٨٩١، وقد واجه إعتراضاً مشابهاً لسابقه على الرغم من قوة الدعم الذي حظي به من الكونت بول غراف فون هاتزفلد (Paul Graf Von Hatzfeld)[١] سفير ألمانيا في بريطانيا آنذاك، ووالد صديقه المقرب هيرمان فون هاتزفلد (Hermann G. Von Hatzfeld)، إلا أن طلبه رُفض أيضاً، لأن مسؤولي وزارة الخارجية ورئيس الدائرة السياسية في الوزارة فريدريخ فون هولشتاين (Friedrich Von Holstein) [٢]، رأوا بأن قبول اوبنهايم للخدمة الدبلوماسية سيفتح الأبواب ويشجع آخرين من العرق نفسه للتقديم [٣].

فكتب هولشتاين إلى هاتزفلد حول أسباب الرفض قائلاً :

" **أوبنهايم لديه صفتان تميزه عن غيره كانتا سبباً في عدم تأهله لهذا المنصب، الأولى أنه يهودي من أبوين ذوي أصول يهودية، ونحن يعمل لدينا الكثير من اليهود ولكنهم يختلفون عنه اذ أن أباهم او أمهم يهودي وليس كليهما، أما الصفة الثانية أن رب عائلة اوبنهايم صاحب**

---

(١) غراف فون هاتزفلد (١٨٣١-١٩٠١): شغل منصب سفير ألمانيا في استانبول من ١٨٧٤- ١٨٨٢، وقد أقنع السلطان عبد الحميد الثاني بتعيين عدد من الضباط الألمان في الدولة العثمانية، فتم إرسال عدد من الضباط الألمان الى استانبول كما أدى دوراً في إقناع اوتو فون بسمارك لتأييده في تلك الخطوة، لأن بسمارك كان رافضاً للتدخل في المسائل الخارجية ولا سيما مسألة الدولة العثمانية لكن هاتزفلد أقنعه بأن إرسال البعثات العسكرية الألمانية الى الدولة العثمانية سيعود بالنفع الكبير على ألمانيا وستصبح الدولة العثمانية سوقاً عسكرياً لألمانيا، ينظر:
زينب عبد المطلب طاهر، دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ دراسة في الظروف والأسباب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، المستنصرية، ٢٠١٤م ، ص ١٥١ .

(٢) فريدريخ فون هولشتاين (١٨٣٧-١٩٠٩): ولد في ٢٤ نيسان ١٨٣٧م في بلدة شفيدت الألمانية شمال شرق برلين، وكان الابن الوحيد لوالدين مسنين، حيث كان والده في السادسة والثلاثين من عمره ووالدته في الخامسة والأربعين حين ولادته، قضت عائلته كثيراً من حياتها في السفر، وقد أجاد في شبابه عدة لغات، وبعد دراسته للقانون في جامعة برلين، انظم الى القسم القانوني في الحكومة البروسية، وقد أصبح عضواً في وزارة الخارجية منذ عام ١٨٧٦م دون انقطاع، وكان من صناع السياسة الخارجية الالمانية الأكثر تأثيراً في عهد الامبراطور فيلهلم الثاني ولم يصبح وزيراً للخارجية لكنه مارس سلطة كبيرة من وراء الستار، للمزيد ينظر:
- Norman Rich, Friedrich Von Holstein: Politics and Diplomacy in the Era of Bismarck and Wilhelm II, London, 1965, p. 3 . ;
- Helmut Rogge, Friedrich von Holstein German statesman, Encyclopedia Britannica, 2009. https://www.britannica.com/biography/Friedrich-August-von-Holstein.

(3) Gossman , Op. Cit , p. 34 .

مصرف، ونحن نحصل على طلبات كثيرة من هكذا فئة من المجتمع فإذا حصل استثناء لأوبنهايم فإن ذلك سوف يسبب مشكلة " [١].

وعلى الرغم من تلك المعوقات إلا أن أوبنهايم طور عمله الأكاديمي وانتمائه للمؤسسات العلمية في بلده، ولم يتراجع عن مساعيه للقيام برحلات بحثية فعلية الى الشرق، وفي سبيل ذلك استقال من العمل في المحاماة عام ١٨٩٢م ليبدأ بعمله البحثي في الشرق على نطاق أكبر، فأعد العدة للإنطلاق في رحلته البحثية خلال العام نفسه فجمع فريقاً صغيراً من العلماء المختصين في مجالات متنوعة كالآثار والجغرافية، وعدد من المهتمين بالثقافات الشرقية، والمترجمين، وعقد العزم على تذوق مباهج الشرق والتعرف على آثاره الثقافية والدينية [٢] .

قرر أوبنهايم في النصف الأول من عام ١٨٩٢ أن تكون بداية رحلته للشرق بالتوجه إلى القاهرة [٣]، وكان إختياره لتلك المدينة مدروساً، نظراً لما تمتعت به من شهرة تاريخية بصفتها أحد أبرز عواصم الحضارة العربية والاسلامية، ومن أهم مراكز التأثير الديني والثقافي في المشرق، فإنطلق نحو إسبانيا، وعبر الى المغرب وزار بعض مدنها ثم انتقل الى وهران في الجزائر، ثم انتقل الى تونس، كما واصل رحلته فوصل الى طرابلس التي كان لها أهمية وجاذبية خاصة بالنسبة له، ثم افترق عن بعض العلماء الذين رافقهم في الرحلة وأكمل طريقه نحو مصر فوصل الى الاسكندرية[٤]، ثم استقر في القاهرة طوال سبعة أشهر وسكن بيتاً في حي شعبي، وعاش كما يعيش المسلمون المحليون، لكي يعزز معرفته باللغة العربية وليدرس روح الإسلام وعادات وتقاليد أبناء المدينة، وليعد نفسه إعداداً أفضل لبعثات أخرى قُيض لها أن تقوده الى مشرق العالم العربي [٥] .

---

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit, p. 34 .
(2) McMeekin, Op. Cit , p. 19 .
(3) Eugene Rogan, The fall of the ottomans: the great war in the Middle East 1914-1920, London, 2015 , p. 26 .
(4) Wilhelm Treue, Max Freiherr von Oppenheim: Der Archäologe und die Politik, Historische Zeitschrift, Bd. 209, Oldenbourg, 1969, S. 44
(٥) ماكس فون اوبنهايم، البدو، ج١، ترجمة: ميشيل كيلو و محمود كبيبو، تحقيق: ماجد شبر، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٤م، ص ٥٢ .

إعتمد تمويل الرحلة على مساعدة مالية من والده الذي فقد الأمل في أن يتولى إدارة مصرف عائلته، فطلب منه أن يؤدي دوراً في نشاطات فتح الباب للاستعمار الألماني، حيث توجهت البيوت المالية الكبيرة آنذاك للمساهمة بنفسها في مجال التوسع خارج القارة الأوروبية، بعد أن كانت سياسة الحكومة الالمانية لفترة طويلة هي سياسة العزلة [١] وإغلاق الأبواب أمام الاستعمار للتفرغ لحل المشكلات السياسية في اوروبا [٢]، تلك السياسة التي انتهجها اوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck) [٣]، وهو ما دفع بالرأسمالية الالمانية لمحاولة دعم المصالح المالية الالمانية، إذ كانت سياسة الابتعاد عن الدخول في مجال الاستعمار هي المسيطرة قبيل ترك بسمارك مقاليد الأمور [٤] .

حرص أوبنهايم في القاهرة على بناء علاقات صداقة متينة مع أبرز الشخصيات العربية والإسلامية فقد التقى مع المصلح الكبير الشيخ محمد عبده [٥]، وكان للشيخ دوراً كبيراً في إظهار

---

(١) حافظ بسمارك حتى إقصائه عن السلطة عام ١٨٩٠ على سياسة تقوم على تجنب الدخول في الصراع حول المسألة الشرقية (مسألة الدولة العثمانية وأراضيها) وتركها ملهاة لتنافس الدول الاستعمارية الأخرى وخصوصاً بريطانيا وفرنسا، بدلاً من ذلك ركز جهوده من أجل التغلغل السلمي في الدولة العثمانية في المجالات التجارية والاقتصادية والثقافية، ولكنه في الوقت نفسه كان حريصاً على أن لا يتزعزع مركز السلطان عبد الحميد الثاني في أعقاب سقوط تونس ومصر بأيدي الفرنسيين والبريطانيين، وقام بتوظيف نفوذ السلطان لتسهيل تغلغل المانيا في زنجبار عام ١٨٨٦ ومناهضة نفوذ فرنسا في شمال افريقيا بين عامي ١٨٨٥ و ١٨٨٧م ، للمزيد ينظر:
عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الفرات، بيروت، ٢٠٠٧، ص ص ١٥٢- ١٥٣ .

(٢) عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥-١٩٧٠، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١١٧ .

(٣) اوتو فون بسمارك (١٨١٥- ١٨٩٨م): ولد في نيسان ١٨١٥، في مقاطعة براندنبورغ (Brandenburg) الى الشرق من برلين، وهو الابن الرابع للإقطاعي فرديناند فون بسمارك، اشتهر في كونه قائد الوحدة الالمانية، وأول مستشار للإمبراطورية الألمانية بعد قيامها في عام ١٨٧١، بعد انتصاره على فرنسا وإسقاط إمبراطوريتها، و دمج الولايات الألمانية الجنوبية مع مملكة بروسيا، وأصبح ملك بروسيا إمبراطوراً لألمانيا باسم فيلهلم الأول، للمزيد ينظر :
- J. Ellis Barker, Modern Germany: her political and economic problems, her foreign and domestic policy, her ambitions, and the causes of her success, London, 1909, p. 23; Steinberg, Op. Cit, p. 12 .

(٤) فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا، الخليج العربي دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٩٢.

(٥) محمد عبده (١٨٤٩م – ١٩٠٥م): ولد في إحدى البلدات المصرية وتسمى (حصة شبشير)، إتجه الى الجامع الأزهر، فبرزت شخصيته وإستقلاله الفكري في سنه المبكرة، فلم يقتنع بالعلوم الدينية واللغوية بل أضاف اليها =

الجانب المشرق والحضاري للإسلام، ومن خلاله إستطاع أوبنهايم تكوين الكثير من أفكاره تجاه الدين الاسلامي وعقائده [١]، كما حاول كسب ثقة وزارة الخارجية الألمانية، فقام بإستغلال صداقته لرفيقه المختص في الدراسات الأفريقية جيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs) [٢]، وأكد له استعداده لخدمة المصالح الوطنية الألمانية بأي شكل من الأشكال قدر إستطاعته[٣]، وسعى من خلاله الى إقامة علاقات وثيقة مع عدد من المسؤولين والدبلوماسيين المؤثرين في الوزارة أملاً في ترشيحه للسلك الدبلوماسي الألماني، ليضيف لرحلاته البحثية الصفة الرسمية، وقد تمكن على أثر ذلك من كسب الصداقة مع العديد من الشخصيات، مثل باول كايزر (Paul Kayser) مدير قسم المستعمرات في وزارة الخارجية الألمانية، مما سهل له الطريق للقيام برحلات أخرى أكثر أهمية إلى الشرق، أراد من خلالها تطوير خبرته بشؤون العالم الشرقي وإعداد دراساته العلمية من جهة، وخدمة المصالح الألمانية من خلال إعداد التقارير عن أوضاع العالم العربي والإسلامي، لتكون سبباً في إعجاب وزارة الخارجية الالمانية بعمله ومن ثَّم قبوله في السلك الدبلوماسي الألماني بشكل رسمي من جهة أخرى [٤].

= العلوم الطبيعية، فأصبح مدرساً في مدرسة دار العلوم في مصر، كما إتجه إلى الصحافة وتولى أمر صحيفة الوقائع المصرية، التي أصبحت على يديه صحيفة رأي وابتكار وتجديد، ومن مبادئه الإصلاحية الدعوة إلى التجديد ومتابعة متطلبات العصر ومقتضياته، و دعا بشدة إلى الانفتاح على الثقافة الأوروبية، للمزيد ينظر :
محمد عبدة، مذكرات الإمام محمد عبده، تحقيق: طاهر الطناحي، دار الهلال، القاهرة، د ت، ص ص٢١- ٢٤.

(1) Donald M. Mckale, War by Revolution: Germany and great Britain in the Middle East of world war 1,The kent state university press, Ohio, 1998 , p. 13 .

(٢) جيرهارد رولفس (١٨٣١-١٨٩٦م): رحالة وطبيب ألماني عرف باكتشافاته في إفريقيا وحضاراتها، عمل في المدة (١٨٥٥م – ١٨٦٠م) طبيباً في الجزائر، ثم قام بين عامي (١٨٦٥م – ١٨٦٧م) باجتياز ربوع شمال إفريقيا ونزل في واحة كفرة شمال طرابلس ، وعند اندلاع الحرب الفرنسية- البروسية ١٨٧٠م تم إرساله من قبل برلين للقيام بمهمة تجسس من أهدافها تحريض الجزائريين على الثورة ضد السلطة الاستعمارية الفرنسية وبالتالي إشغال الجيش الفرنسي في أفريقيا عن المشاركة في الحرب القائمة، ولكنه اعتقل في تونس قبل أن يتمكن من العبور الى الجزائر، للمزيد ينظر :
مصطفى ماهر و كمال رضوان، ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه، دار صادر، بيروت، د . ت، ص ٣٠٤؛ سنو، المصدر السابق، ص ٢٢٣ .

(3) Anthony Sattin, Young Lawrence: A portrait of the legend as a young man, London, 2014 , p. 61 .

(4) M. Mckale , Op. Cit , p. 11 .

المبحث الثاني: رحلة أوبنهايم إلى لبنان، سورية وديار شمّر عام ١٨٩٣ :

رسم أوبنهايم في القاهرة خريطة رحلته بوصفها أهم رحلة استكشافية علمية له في غرب آسيا بفريقه العلمي المتخصص، و قرر أن تكون بيروت هي المحطة الأولى للرحلة ثم تمر بحوران والبادية السورية وبلاد ما بين النهرين ثم تصل إلى بغداد لتنتهي في الخليج العربي [١]، وحرص على يكون ملاحظاً دقيقاً يقوم بتتبع التطور التاريخي للبلاد التي يمر بها وأصول مجتمعاتها وانتماءاتها العرقية والدينية، واضعاً في ذهنه فكرة إعداد التقارير الموسعة عن الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية والعسكرية، ومجريات الأحداث في تلك البلاد منها العلاقة بين العثمانيين والعرب، والسيطرة الفعلية للدولة العثمانية على الأراضي العربية، ودور الحاميات العسكرية في تطبيق القوانين وحماية الولايات، لتكون تلك التقارير سبباً في إعجاب المسؤولين في وزارة الخارجية برحلاته وعاملاً مهماً في قبوله في السلك الدبلوماسي الألماني[٢] .

كان لنزول أوبنهايم في بيروت بداية عام ١٨٩٣م عند القنصل الألماني العام بول شرودر **(Paul Schroeder)**[٣]، دوراً كبيراً في نجاح رحلته، فقد تلقى منه العديد من المعلومات التي تخص أوضاع المنطقة الجغرافية والسياسية والاقتصادية، والتقى بأميرة زنجبار من عائلة برغش العربية الحاكمة في شرق افريقيا التي حظيت بمكانة هامة لدى الألمان من الناحية السياسية[٤]،

---

(١) خريطة رحلة اوبنهايم عام ١٨٩٣ من البحر المتوسط الى الخليج العربي، ينظر: ملحق رقم (٣) .

(2) M. Mckale, Op. Cit, p. 11 .

(٣) شرودر: وهو من أبرز القناصل الألمان الذي قاموا بدور نشط في الترويج للتجارة الألمانية ودعم مصالحها في الشرق منذ قيام الوحدة الالمانية عام ١٨٧١، ونظراً للنشاط الملحوظ الذي قام به في تعزيز التجارة الألمانية في سورية بشكل عام فقد منحته الحكومة الالمانية عام ١٨٩٥م وسام النبلاء تقديراً لخدماته، للمزيد ينظر:
- سنو، المصدر السابق، ص ٣١٦ .

(٤) تمكنت بريطانيا من وضع برغش بن سعيد حاكم زنجبار العربي (١٨٧٠-١٨٨٨) شأنه شأن سلاطين تلك المنطقة تحت إشرافها السياسي والعسكري، لكن جمعية الاستعمار الالمانية بدأت مشاريعها الاستعمارية في المناطق الخاضعة لسيطرة برغش، مما أدى الى خشية بريطانيا من أن تضع ألمانيا زنجبار نفسها تحت حمايتها مما يشكل تهديداً لمصالحها في الهند، فسارعت الى الحصول على تعهد من برغش بأن لا يقبل حماية أي دولة، لكن سرعان ما تغيرت تلك السياسة تجاه شرق إفريقيا وزنجبار تحديداً بعد وصول حزب المحافظين في بريطانيا بقيادة ساليزبوري الى السلطة عام ١٨٨٥م، فأصبحت زنجبار أقل أهمية بالنسبة لبريطانيا، رغبة في تحسين العلاقات مع ألمانيا وتنسيق سياستها الاوروبية ولا سيما تجاه الدولة العثمانية، للمزيد ينظر:
سنو، المصدر السابق، ص ص ١٨٨-١٩٠ .

وقد عرض خطط رحلته وأهدافها على القنصل فلقيت قبوله وتشجيعه، كما تمكن من الإطلاع على العلاقات المتينة بين القنصلية الألمانية والعديد من وجهاء ومشايخ القبائل العربية المختلفة مما أتاح له التعرف على بعضهم ولا سيما الأمير محمد بن الأمير مصطفى أرسلان[١]، الذي اصطحبه الى بيت والده الأمير مصطفى فقام الأخير بإعطائه توصيةً الى عائلة الأطرش الدرزية في منطقة حوران لتسهيل رحلته عبر أراضيها وحمايته من مخاطر الطريق وتزويده بما يحتاجه من المؤن[٢].

وكجزء من اهتماماته الأثرية والتاريخ القديم فقد زار أوبنهايم مدينة بعلبك[٣] لمشاهدة المعالم التاريخية مثل هيكل (باخوس) أو معبد الشمس[٤]، وأخذ يدون وصفه الدقيق للمنطقة وآثارها وأوضاعها الإدارية ومن الواضح أنه كان يستقي معلوماته من مصادر رسمية عند مروره بتلك المناطق، فأصبحت لديه معرفة شاملة بالتركيبة الإدارية لبعلبك التي يديرها موظف عثماني برتبة قائمقام تابع لولاية دمشق العثمانية، واطّلع على تركيبتها السكانية المتكونة من عدة قرى في مواقع غير بعيدة عن بعلبك على السفح الشرقي لجبال لبنان الشرقية، كما اهتم بوصف طبيعتها الجغرافية[٥].

كما أولى إهتماماً خاصاً بوصف المدينة ومعابدها الكبيرة والصغيرة مثل معبد جوبيتير الذي يعود بناؤه للعصر الروماني في القرن الثاني للميلاد، ولم يستطع زيارة الآثار إلا مرة واحدة

---

(١) مصطفى أرسلان (١٨٤٨- ١٩١٤): زعيم عائلة آل أرسلان المسلمة، وتعود أصولهم إلى القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ساهموا في الفتوحات العربية في كل من مصر، بلاد الشام، العراق، المغرب، وحتى الاندلس، وانتشروا في مناطق عديدة من الوطن العربي، إلا أن مركز ثقلهم في لبنان، للمزيد ينظر:
يوسف سليم دبيسي، أهل التوحيد: الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية، مج ٤، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٣- ٧٨.

(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٥٩ .

(٣) بعلبك: مدينة لبنانية، عرفت بمواقعها الأثرية، مثل معبد فينوس، ومعبد ميركوري، وتعتبر من أهم المدن السياحية في لبنان، للمزيد ينظر:
حسن عباس نصر الله، تاريخ بعلبك، مج١، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٤، ص ص ٥-٢٠ .

(٤) هيكل باخوس: بني في القرن الثاني الميلادي، ويتميز بكونه من أفضل الهياكل الرومانية حفظاً ومن أبدعها نقشاً وزخرفة، وعلى العكس من هيكل جوبيتر الكبير الذي كان مكرساً لعبادة الثالوث البعلبكي، فان هيكل باخوس الصغير كان مكرساً لإقامة بعض طقوس وعبادات تتمحور حول إله بعلبك الشاب الذي كان يشرف على نمو النبات والقطعان، للمزيد ينظر:
أحمد هريدي، هبة الجبل رحلة الى لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٦٥ .

(٥) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٦١ .

لضيق الوقت وتلبيته لدعوة خاصة في بيت حبيب باشا مطران [١] الذي أقام حفلاً بمناسبة منحه امتياز خط حديدي ومرفأ بيروت من قبل الحكومة العثمانية، ثم عاد بعد ذلك الى بلدة شتورا [٢] ليواصل من هناك رحلته نحو دمشق[٣] .

توقف أوبنهايم في مدينة دمشق، المحطة الثانية لرحلته، فالتقى كما في كل مرة عدداً من الشخصيات الالمانية، من موظفين وتجار ومندوبي شركات تجارية [٤]، كما التقى بأحد شيوخ الطريقة القادرية [٥]، الشيخ الكيلاني، الذي أفاده بمعلومات مهمة عن الطريقة دونَّها في مذكرات رحلته، مقارناً بينها وبين الطريقة السنوسية [٦].

---

(١) حبيب باشا مطران: هو مسيحي من أثرياء سوريا، وله حظوة كبيرة عند السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وأحد المسيحيين القلائل الذين حصلوا على لقب باشا دون أن يكونوا موظفين في الدولة العثمانية، للمزيد ينظر:
اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) شتورا: وهي قرية ومحطة بريد تقع في المنتصف بين بيروت ودمشق، عند نهاية سفوح جبال لبنان الشرقية، وعلى حدود وادي البقاع ، وتبعد عن بعلبك حوالي أربعين ميلاً، للمزيد ينظر :
لورنس اوليفانت، أرض جلعاد (ورحلات في لبنان وسوريا والأردن وفلسطين) ١٨٨٠، ترجمة: أحمد عويدي العابدي، عمّان، ٢٠٠٤م، ص ٤٣٠ .

(٣) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ص ٦٤- ٦٥.

(٤) تعرف الى كل من كونيش و تسابف وهما ممثلي الشركة البيروتية الالمانية (فانكهينل وشيفنر) وقد شرحا له طبيعة الصلات التجارية بين بلاد الشام والمانيا وزوده بمعلومات حول التجار المحليين، كما تعرف الى موظفي شركة (لوتيكه وشركاه) التي يملكها القنصل الالماني لوتيكة(Lutticke) وهو قنصل المانيا في دمشق منذ بداية عام ١٨٩٣م، وبقي في منصبه وصولاً الى عام ١٨٩٨م عندما ذهب القيصر الالماني فيلهلم الثاني خلال رحلته الى دمشق وزار قصره، للمزيد ينظر:
المصدر نفسه، ص ٨٣ ؛ سنو، المصدر السابق، ص ٣٦٠.

(٥) الطريقة القادرية: إحدى الطرق الصوفية الاسلامية تنسب الى الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧١- ٥٦١هـ)، ظهرت في بغداد ثم انتشرت في بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا، تدعوا الطريقة الى تقوى الله تعالى، والالتزام بالكتاب والسنة النبوية، للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ١٣٥٩ .

(٦) أسس السنوسية عام ١٨٣٧م محمد بن علي السنوسي الفقيه الجزائري، تهدف الى إصلاح شأن الاسلام ونشر العقيدة، وقد حرم أتباع هذه الطريقة التضرع بالأولياء وزيارة قبورهم تحريماً تاماً، كما اوجبوا على أنفسهم الامتناع عن شرب القهوة والتدخين، وقد إنتشرت الطريقة من مصر إلى المغرب، وإمتدت الى الواحات والصحراء الكبرى والسودان، ولم يقتصر امتدادها على أفريقيا الشمالية وإنما امتدت الى سنغمبيا والصومال وتشاد وواداي وباجرمي، للمزيد ينظر:
إلهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الاسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (١٨٥٠-١٩١٤) ، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٨م، ص ٣٣ ؛

M. Mckale, Op. Cit, p. 11.

كما زار المواقع الأثرية للمدينة، منها مدينة تدمر[١]، وقد أولى اهتماماً بتلك المواقع، ولأسباب أمنية تمثلت بالحذر من هجمات البدو، قدمت السلطة العثمانية في ولاية دمشق لفريق الرحلة حراسة مسلحة عددها عشرون جندياً، من أجل سلامتهم [٢]، ويعزو الباحث سبب ذلك الإهتمام الى حرص باشا الولاية على عدم تعرض رعايا الحكومة الالمانية الى أذى، مما يخلق أزمة بين الأخيرة والدولة العثمانية.

دَوَّن أوبنهايم مشاهداته للحياة العامة في دمشق وكان يكتب وصفاً دقيقاً لكل مدينة يمر بها ويسجل ما تراه عيناه و يسمعه من مصدر محلي أو موظف حكومي، فوصف أوضاع دمشق، كما تابع اهتمامه القديم بالأزياء الشرقية، فدون ملاحظاته حول الملابس المتنوعة للمسلمين والمسيحيين واليهود من سكان المدينة، فضلاً عن زي الجنود والفلاحون، والبدو القادمون من المناطق المجاورة والتجار الفرنسيون، مبدياً دهشته من الأزياء واختلافها باختلاف المكانة الاجتماعية أو بيئة العيش، وما يزين تلك الأزياء من حلي وألوان مختلفة، فعبر عن إعجابه بالزي العربي ورأى ذلك الزي بصورته الغنية بالألوان أرقى وأجمل من الملابس الأوروبية التي يرتديها التجار المحليون أو الموظفون العثمانيون أو الزوار الغرباء [٣] .

لاحظ اوبنهايم بأن الحدائق العامة تشكل في فصل الصيف عند غروب الشمس نقاط جذب رئيسية للناس، وشاهد الضباط والموظفون العثمانيون الشباب الذين يفضلون الجلوس في المقاهي الموجودة على الطريق المتجهة الى بيروت، ولم تخلوا دمشق من المقاهي العربية التي يقدم فيها أيضاً مغنون ومغنيات عروضهم وقد حظر بنفسه لمشاهدة العروض المسرحية في المقاهي الكبيرة، وقد لاحظ بأن فن المسرحية الموسيقية اكتسب مكانة رفيعة في بلاد الشام بالذات حيث حضر اوبنهايم في دمشق عرضاً لمسرحية موسيقية قدمتها فرقة من الرجال فقط على مسرح لأحد

(١) تدمر: مدينة أثرية تابعة الى محافظة حمص في سورية، وهي عاصمة مملكة تدمر القديمة، تضم آثاراً كثيرةً منها القصور والمعابد، نشأت المدينة في النصف الثاني من القرن الثالث ق.م، وازدهرت بشكل خاص في عهد الملكة زنوبيا (٢٤٠-٢٧٤ ق.م) للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ٥٠٠.

(2) McMeekin, Op. Cit, p. 18

(٣) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٨٣ .

الشخصيات الكاثوليكية[١]، وكان من بين مرافقيه في رحلته أحد أبناء البادية الشيخ منصور نصر[٢]، و نجيب سلوم[٣] الذي كان مفيداً له خلال الرحلة لأنه كان قادراً على كتابة الأسماء بشكل صحيح باللغة العربية وعلى تجفيف النباتات التي اهتم أوبنهايم بجمعها في طريقه [٤] .

لم يكن أوبنهايم راضياً بأي حال من الأحوال عن منصور نصر فقد ثبت له أنه غير صادق ولا يمكن الاعتماد عليه كما أنه لم يكن يعرف سوى الطرف الشمالي الغربي للبادية، وبما أنه لم يكن يعرف الطرق في المناطق الأخرى، وتعريضه الرحلة للخطر بسبب استخفافه بمسألة الماء والمؤن قرر اوبنهايم إهماله وعدم الاعتماد عليه كلياً، وصمم على المسير قدر الإمكان في النهار، من أجل التعرف شخصياً وبشكلٍ جيدٍ على المناطق التي يمر فيها من جهة، ولأن قوافل الغزو البدوية تسير في الصيف غالباً في الليل وهذا ما يعرضه ومرافقيه للسرقة من جهةٍ أخرى، متحملين حرارة الجو، على الرغم من اعتراض مرافقيه ورغبتهم بالسفر ليلاً، فتصرف أوبنهايم بحزم وشدة ليفرض رأيه [٥].

قام السفير الألماني في استانبول آنذاك البارون رادولين(Radulin) والذي تواجد في دمشق خلال صيف١٨٩٣م بتزويد اوبنهايم بتوصيات رسمية من (نظارة الداخلية العثمانية) موجهة الى ولاة المناطق التي قرر أن يمر بها لتسهيل مهمة الرحلة، كما حصل آنذاك من رؤوف باشا[٦] والي

---

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) منصور نصر: خبير في شؤون القبائل البدوية، وهو ابن أخ الشيخ مجول المصرب من قبيلة السبعة (عنزة) الذي اشتهر بزواجه من السيدة البريطانية ديجي، صاحبة المغامرات في بلاطات اوروبا والتي قامت برحلة الى دمشق وتدمر عام ١٨٥٣، للمزيد ينظر :
اوبنهايم، البدو ، ج١، ص ٥٣ .

(٣) نجيب سلوم: طالب في المدرسة الطبية البروتستانتية الامريكية في بيروت وهو مسيحي سوري شاب من مواليد حماه سمح له مديره السيد بليس واستاذه الدكتور بوست بمرافقة اوبنهايم، للمزيد ينظر :
اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٩٣ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٤ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٥ .

(٦) رؤوف باشا: والي دمشق منذ عام ١٨٩٠م ، وقد شهد عهده أحداثاً مهمة كان أبرزها احتراق الجامع الاموي، للمزيد ينظر:
صلاح الدين المنجد، ولاة دمشق في العهد العثماني، دمشق، ١٩٤٩م، ص ٩٤ .

دمشق على كتاب توصية موجه الى متصرف حوران، وهذا الحدث أعطى دليلاً بأن رحلة اوبنهايم أخذت بعين الإعتبار بوصفها بعثة ألمانية رسمية، ما جعل السلطات العثمانية تقدم الدعم والمساندة وتتعامل مع فريق الرحلة بمنتهى اللطف والمودة، إلا أن ذلك لم يكن كافياً في تعامل أوبنهايم مع بعض القبائل العربية غير الملتزمة بالنظام العام، لذا كان مضطراً عند عبوره مناطقهم الى أن يعقد معهم اتفاقيات خاصة بين حين وآخر [١] .

واصل أوبنهايم رحلته وفضل ركوب القطار من محطة حوران غرب دمشق في الساعة الخامسة صباح الرابع و العشرين من حزيران ١٨٩٣م، فوصل الى منطقة الشيخ مسكين[٢] في الساعة العاشرة، وهناك وصله خبر يفيد بأن معركة قد وقعت بين الدروز[٣] قتل فيها إبراهيم باشا الأطرش[٤]، قائمقام السويداء[٥] الذي كان يحمل اليه كتب توصية من الأمير أرسلان الدرزي،

---

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ١٠٠ .

(٢) الشيخ مسكين: إحدى ضواحي حوران وأهم مناطقها، تابعة حالياً لمحافظة درعا السورية، وكان سابقاً من أكبر المراكز الادارية في منطقة سهل حوران، عرفت بعدة تسميات على مر التاريخ، مثل(سمسكين، أسكين) ثم استقرت على هذه التسمية، للمزيد ينظر:
منير ذيب، معجم أسماء المدن والقرى في بلاد الشام الجنوبي: دراسة لغوية تاريخية أثرية حول أسماء المدن والقرى في بلاد الشام الجنوبي، دار العرب، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٤٣.

(٣) تؤكد ديانة الدروز بشكل صارم على وحدانية الله تعالى وهم يسمون أنفسهم موحدون ، وحسب رأيهم تشكل عقيدتهم الصيغة العليا للفلسفة، فيزعمون بأن المدارس الفلسفية الصوفية المختلفة في الاسلام والمفكرين الإغريقيين والهنود والفرس الكبار هم جميعاً اسلاف لأفكارهم، ويأمر الدروز بتعلم القراءة والكتابة كما يعتبر حب الحقيقة والاخلاص للإخوة واجباً على كل درزي، ويعتبر الدروز عرق عربي نقي، حافظوا على نقاوة عرقهم بعدم الإختلاط بالشعوب الأخرى عن طريق الزواج، وهم عرب اقحاح يرجع نسبهم إلى القبائل اليمنية (طي ولخم و جذام)، للمزيد ينظر:
ماكس فون اوبنهايم، الدروز، ترجمة محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٦م ، ص ص ٥٥- ٦٢ ؛ بيجي ده سان بيير، الدولة الدرزية، ترجمة: حافظ أبو مصلح، المكتبة الحديثة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣١ .

(٤) إبراهيم الأطرش: أحد زعماء عائلة الأطرش السورية، قائمقام لحوران ومركزه السويداء، ونشأت أثناء توليه توليه المنصب حركة فلاحية تطالب برفض أحد الأعراف التقليدية الجائرة التي تجبر الفلاح على التخلي عن ثلث المحصول، وقد تزعم الحركة شبلي الأطرش اخو ابراهيم واتخذت الحركة طابعاً ثورياً وطالب الثوار من ابراهيم الاطرش التخلي عن لقب القائمقام والعودة الى لقب شيخ المشايخ، فاضطر إلى الهرب نحو دمشق طالباً الدعم من الحكومة، للمزيد ينظر:
اوبنهايم، الدروز، ص ص ١١٣ - ١١٤ .

(٥) السويداء: إحدى المدن السورية، تقع على بعد ١٠٠كم جنوب دمشق، وتتربع فوق سلسلة جبلية بركانية يطلق يطلق عليها جبل العرب، ويرجع تسميتها لطبيعة أراضيها، وتشتهر المدينة بآثارها الرومانية، منها المدرج الروماني، للمزيد ينظر:
صبحي سليمان، موسوعة المدن العربية، مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٥٢.

ونتيجة لذلك الحادث توقع الناس حدوث حالة من الفوضى التامة في جبل حوران ونصح البعض أوبنهايم بعدم التوجه الى السويداء وأن يغير خطة سيره، لكنه اعتاد على تلك الاعتراضات والتحذيرات، منذ أن كان في دمشق، فغادر منطقة الشيخ مسكين في الساعة الثالثة بعد الظهر متجهاً نحو منطقة بصر الحرير[١] على بعد ٢٢ كم شرقاً وقد نصب خيمته التي تحمل العلم الألماني أما الخيمة الأخرى فتحمل العلم العثماني وأمام الخيام كانت تقف الخيول في صف واحد مربوطة حسب التقليد المحلي بحبل طويل مشترك في قوائمها الأمامية [٢] .

وصل أوبنهايم الى المحطة التالية وهي السويداء مركز قضاء حوران في آخِر شهر حزيران ١٨٩٣م وكان في استقباله أبناء إبراهيم الأطرش الذين قدموا له واجبات الضيافة بمنتهى الود واللطف، وكانت الرسائل الرسمية التي حصل عليها أوبنهايم من المتصرف، وأكثر منها الرسالة التي حصل عليها في بيروت من الأمير مصطفى أرسلان الدرزي قد ضمنتا له استقبالاً ممتازاً، أما كرم الضيافة الذي لقيه من الدروز، أثناء إقامته في حوران فقد كان صادقاً وكبيراً، ففي اليوم الأول من وصوله أُقيمت له مأدبة طعام شارك بها وجهاء البلدة في قاعة الرجال في بيت الأطرش، وقد تمكن خلال وجوده هناك من الحصول على معلومات مهمة عن تاريخ تلك المنطقة وجغرافيتها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية وعلاقة القبائل بالسلطة العثمانية ودور زعمائها في ضمان استقرار الأمن والنظام، وقد ترك الدروز لديه انطباعاً بأنهم فلاحون كرماء وراضون عن حياتهم [٣]، وقبل مغادرة السويداء أقام لأبناء الأطرش وجماعته في مخيمه مأدبة عشاء، ثم غادر في صباح يوم الرابع من تموز ١٨٩٣م [٤]، واهتم أوبنهايم كثيراً بتوثيق تلك اللحظات التي قضاها بجوار شيوخ وزعماء القبائل العربية ولا سيما عائلة أرسلان و الأطرش من خلال التقاطه للصور

(١) بصر الحرير: إحدى ضواحي حوران، تابعة إدارياً لمحافظة درعا السورية، وتقع شمال مدينة درعا الى الجنوب الشرقي من دمشق، ويخترق البلدة طريق يربط كل من بلدة الشيخ مسكين والسويداء وأزرع، وتعتبر مركزاً تجارياً مهماً للقرى المحيطة بها، للمزيد ينظر:
منير ذيب، المصدر السابق، ص ٦٧ .
(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج١ ، ص ١٠٢
(٣) اوبنهايم، الدروز، ص ص ١٤٤ – ١٤٨ .
(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٢ .

الفوتوغرافية بآلة التصوير(الكاميرا) الخاصة به، وقد شكلت صور المدن والأشخاص والمجتمعات مادة مهمة بإعتبارها وثائق رسمية أفاد منها اوبنهايم في تدوين أحداث رحلته بمساعدة مرافقيه من الخبراء والمتخصصين[١] .

ثم وصل اوبنهايم الى بصرى الشام (دمشق القديمة)[٢] ووصفها بأنها "**مدينة ذات اهمية استراتيجية**" ثم انطلق من بصرى الى صلخد[٣] وقد لقي هناك استقبالاً حاراً الى أبعد الحدود حيث استقبله محمد الأطرش أخو إبراهيم باشا وقام معه بواجب الضيافة [٤] .

غادر اوبنهايم صلخد في الشهر ذاته ووصل الى منطقة سالي (سالة)[٥] ووصفها بأنها أهم مدينة في شرقي حوران بأسره وذلك لأن الشيخ الدرزي محمد أفندي نصار[٦]، واسع النفوذ يعيش فيها فيها وقد قام ذلك الشيخ بإستقبال أوبنهايم ورفاقه إستقبالاً حاراً على الرغم من أنه لم يكن مستعداً لزيارة في وقت متأخر من الليل، وخاصة من قبل رجل أوروبي، لاسيما أن تلك البلدة لم تستقبل إلا القليل من الأوروبيين أبرزهم يوهان غوتفريد فتسشتاين (Johann Gottfried Wetzstein) [٧]،

---

(١) اوبنهايم، الدروز، ص ص ١٦٩- ١٨٤.

(٢) بصرى: تبعد عن دمشق ٩٠كم من الجهة الشرقية وعن القدس ١٣٠كم من الجهة الشمالية الشرقية، للمزيد ينظر:
فندي أبو فخر، خليل رفعت الحوراني تاريخ حوران ودعوته النهضوية في أرياف بلاد الشام، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٣٩ .

(٣) صلخد: وهو قضاء تابع الى لواء حوران، ضم ٢٦٠ قرية، منذ عام ١٨٧٠، ويقع قضاء صلخد ضمن منطقة جبل الدروز، للمزيد ينظر:
عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٧٧ .

(٤) أوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١ ، ص ٢٢٤ .

(٥) سالة: إحدى ضواحي السويداء، مدينة قديمة سميت بذلك الاسم نسبة الى إحدى ملكات الرومان، كانت تدعى (سالي)، تبعد المدينة عن مركز السويداء (٢٤كم) باتجاه الشرق، وتمتاز بمواقعها الأثرية، للمزيد ينظر:
منير ذيب، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٦) محمد نصار: كان من وجهاء الدروز وأحد أصدقاء إبراهيم الأطرش قائمقام السويداء، للمزيد ينظر:
اوبنهايم ،الدروز، ص ص ١١٤ - ١٢٢-١٣٢ .

(٧) فتسشتاين (١٨١٥-١٩٠٥): مستشرق ألماني درس اللغات الشرقية في جامعة لايبزيغ ونال منها أستاذية التخصص باللغة العربية عام ١٨٤٧م ثم انطلق الى برلين فإختاره الامبراطور فريدريك فيلهلم الرابع قنصلاً عاماً في دمشق (١٨٤٨-١٨٦٣) فقام بثلاث رحلات علمية الى حوران والصحراء، وقام بأبحاث واستكشافات، كما =

وكانت علاقات الصداقة بين الدروز وعشيرة الغياث[١] قد ساعدت اوبنهايم على تنفيذ رحلته على الطريق التي رسمها فقد وجد الشيخ محمد رجلاً من أسرة شيوخ الغياث إسمه ذبلان بن محمد ليرافق أوبنهايم عبر منطقة الحرة، كما أرسل معه الشيخ ثلاثة رجال من أقربائه [٢] .

كادت رحلة اوبنهايم في مدينة الحرّة أن تفشل بكاملها بسبب تصرف خاطئ قام به فكما اعتاد دائماً تناول طعامه منفرداً بعيداً عن المائدة المشتركة لرفقاء الرحلة، مما أثار حفيظة مرافقيه الجدد، الذين اعتبروا تصرفه مخالف تماماً لقواعد الكرم والضيافة العربية، اذ إن مرافقيه الذين لم يسبق لهم التعامل مع اوروبي أو مع عثماني وجيه أو مع رجل من سكان المدن شعروا بالإهانة من تصرفه هذا، ولأجل استرضائهم بدأ بتناول الطعام من صحونهم، مبيناً لهم أنه أكل في بادئ الأمر على الطريقة الاوروبية، وقد أدى ذلك التصرف الذكي من جانبه الى إعادة العلاقة لوضعها الطبيعي [٣] .

وفي منطقة الضمير [٤]، أعرب ذبلان عن عدم رغبته في إكمال الرحلة، واستأذن أوبنهايم بالانفصال، عاقداً معه وثاق الأخوة، وهي طريقة بدوية تعقد بين شخصين وعدد من الشهود، يكتب فيها الطرفين نص عهد يوثق الأخوة وحفظ النفس والمال، ونص العهد على ما يلي:

= توسط في عقد صلح بين الدروز والحكومة العثمانية، ومن نتاجاته اقتنائه للمخطوطات الثمينة التي زود بها جامعات برلين ولايبزيغ، ويعتبر عارفاً ممتازاً بشؤون سورية وفلسطين، للمزيد ينظر :
نجيب العقيقي، المصدر السابق، ج٢، ص ٧١٧ ؛ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٩٢ .

(١) الغياث: يقال أن أصل تلك العشيرة يعود الى العمور ورأي آخر يرجعها الى شمّر، تكثر مواطنهم في أقصى الجنوب الشرقي من قضاء دوما، على بعد (٧٠كم) عن دمشق، يدعون الغياث أو عرب الصفا، لأنهم يقطنون منطقة بركانية تدعى الصفا تكون شديدة الوحشة والجدب، إلا أن جنوبها سهل يدعى الرحبة وافر العشب وخصب، عرفت تلك العشيرة بقيامها بالغارات والتعرض للقوافل التجارية السائرة من دمشق، تدمر والعراق، ولم تسلم منهم العشائر المجاورة، للمزيد ينظر:
أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، تقديم: أحمد غسان سبانو، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، ص ص ٣٨٧-٣٨٨ .

(٢) أوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٢٣٨ .

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٤٣ .

(٤) الضمير: بلدة تابعة إدارياً الى ريف دمشق، تقع على أطراف بادية الشام الى الشمال الشرقي من دمشق، وتبعد (٤٥كم) عنها، يوجد فيها عدد من الآثار الرومانية مثل المعبد الروماني (الحصن)، للمزيد ينظر:
منير ذيب، المصدر السابق، ص ١٨٥.

" أنا الموقع أدناه ذبلان بن محمد اللافي عقدت مع السيد البارون ماكس أوبنهايم وثاق الأخوة العربية وبذلك أصبحت مسؤولاً أمام الله والشهود الحاضرين عن احترام حقوق الأخوة تجاهه وعن حمايته وحماية أشيائه وأملاكه طالما هو موجود في منطقة الغياث، وأتعهد بأن أقيه من جميع الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها من الغياث الذين أنتمي إليهم ولهذا سلمته هذا المكتوب، التوقيع ذبلان بن محمد اللافي من قبيلة الغياث، (١٨تموز ١٨٩٣م)" [١] .

ثم افترق عن أوبنهايم معرباً عن أمله في أن يزوره مرة أخرى، وبعد استراحة دامت يومين غادرت الرحلة الضمير صباح يوم الثلاثاء العشرين من تموز وقد رافقها بالإضافة الى رجال من قبيلة الغياث، عناصر الحامية المتمركزة في القشلة العسكرية قرب الضمير وعدد من الفلاحين المدججين بالسلاح [٢] .

أما في دير الزور[٣] التي تشكل حلقة هامة بين سورية وبلاد الرافدين، زار أوبنهايم المتصرف عدة مرات في السراي الواقعة في النهاية الجنوبية الشرقية للمدينة القديمة على نهر الفرات مباشرةً، وتعرف الى كبار موظفي دير الزور، ضيوف المتصرف الدائمين، وقد تحاوروا بشأن الأحوال العامة لمنطقة دير الزور وما جاورها وعن علاقات الموظفين العثمانيين بأبناء المجتمع واطلع أوبنهايم على تطبيق القوانين وجباية الضرائب والتبادل التجاري من خلال السجلات الرسمية التي أتيح له الإطلاع عليها بوصفه باحثاً من جهة، ومستشرقاً أوروبياً حظي باهتمام الوجهاء وزعماء القبائل والمسؤولين العثمانيين من جهة أخرى [٤] .

---

(١) نقلاً عن: اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٢٧٣ .

(٢)المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٥ .

(٣) دير الزور: مدينة سورية تقع على نهر الفرات فيذكرها البعض بإسم (محافظة الفرات) يشكل العرب غالبية سكانها، إضافة الى الكرد والأرمن، تمتاز المدينة بنشاطها الزراعي، ويعتبر كل من القمح والقطن المحصولان الأكثر انتاجاً فيها، كما تحتوي على عدد من المواقع الأثرية، للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ٨٣٢.

(٤) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٣٤٩ .

كان أوبنهايم ينوي اجتياز الجزيرة (الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين) في مناطق لم تكن معروفة إلا قليلاً، على امتداد رافد الخابور[١] وبعد ذلك الى الشمال من سنجار حتى الموصل ليدخل العراق، ومما شجعه على تنفيذ خطته هو أن السكان القلائل والقبائل المتنقلة في الجزيرة وفي مناطق الخابور وشمال سنجار باستثناء نصيبين[٢]، كانوا مرتبطين بشكل أو بآخر بقبيلة شمّر[٣] القوية الموجودة هناك والتي تنقسم الى شمر الشمال وشمر الجنوب، متنقلة في أرجاء بلاد ما بين النهرين من أورفة[٤] حتى بغداد، وترتبط بعلاقات حسنة مع الحكومة العثمانية[٥].

أوبنهايم في ضيافة شمّر الزور:

من المعلوم أن عشيرة شمّر ذات تفرعات كثيرة، وقد أورد أوبنهايم الكثير من المعلومات حول ديار شمّر في كتابه رحلة الى ديار شمرّ وبلاد شمال الجزيرة، هنا لابد أن نذكر أن ديار شمّر بين العراق والشام، وأوبنهايم قام بزيارة شمّر الشام، وهم على فرعين شمر الزور أو العمشات، وهو فرع يتزعمه فارس باشا الذي يرتبط بعلاقات سياسية وإدارية مع متصرف دير الزور، مما دعا

---

(١) الخابور: أحد روافد نهر الفرات، ينبع من جنوب تركيا، بالقرب من الحدود السورية، للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ٧٥٠.

(٢) نصيبين: مدينة تاريخية في الجزيرة الفراتية، تقع ضمن حدود تركيا حالياً وهي تابعة إدارياً لمحافظة ماردين، يربطها الموقع مع كل من الرها من جهة وأربيل العراقية من جهة أخرى، للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ١٨٥٣.

(٣) شمَّر: قبيلة عربية ترجع الى قحطان في الأصل، أخرجها أتباع الحركة الوهابية من ديارها في نجد فلجأت الى ولاية بغداد حيث وجدت مأمناً مؤقتاً في جنوب العراق، ثم عبرت العشيرة بعد ذلك نهر الفرات وهاجرت الى الشمال نحو جبل سنجار الذي يحتمل أنها وصلت إليه في شتاء (١٨٠٢-١٨٠٣م)، وشمر العراق قسمان (شمر الجربة) وموطن أكثرها في الجزيرة الكائنة بين دجلة والفرات والخابور، أو البادية المتشعبة من ألوية بغداد، والموصل وحتى الحدود السورية، و(شمر طوكه) وهم في لوائي الكوت وديالى، وترك أبناء هذه العشيرة حياة البداوة وامتهنوا الزراعة، للمزيد ينظر:
جون فريدريك ويليامسون، قبيلة شمَّر العربية مكانتها وتأريخها السياسي ١٨٠٠- ١٩٥٨م، ترجمة: مير بصري، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٩م، ص ص ٥٣ – ٧٠ ؛ عبد الجبار الراوي، البادية، الرافدين، بيروت، ٢٠١٠م، ص ص ١٢٨- ١٤٠.

(٤) أورفة: (مدينة الرها) بالعربية، تقع جنوب شرق تركيا حالياً، مدينة سريانية في الجزيرة الفراتية، كانت عاصمة مملكة الرها، وتعاقب عليها حكام العهد الروماني، والبيزنطي، والفرس، والمسلمون، وكانت تابعة إدارياً لأراضي بلاد الشام حتى معاهدة لوزان ١٩٢٣ التي ضمتها الى تركيا، للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٥) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢، ص ٢٤ .

لتسميته بشمّر الزور، الفرع الثاني شمّر الحدود أو شمّر دهام، المنفصل من شمّر العراق، وكان شيخه فرحان باشا أخو فارس[١] .

التقى أوبنهايم عند متصرف دير الزور كل من كاتب الشيخ فارس وعدد من رجاله، وتعرف اليهم كما لم يمانعوا في مرافقته الى ديارهم مرحبين، وبعد القبول الرسمي للرحلة أصبح من الواجب حمايتها وتأمين سلامتها من البدو الاخرين، لذا أرسل متصرف دير الزور عدداً من الجنود رافقوا قافلة أوبنهايم فشكلت موكباً ضخماً، إضافة إلى ثلاث تجار مسلمين من حلب انظموا اليه في طريقهم الى ولاية الموصل لأسباب تجارية، فغادرت الرحلة دير الزور في الثالث من آب ١٨٩٣م، متجهة إلى ديار شمّر [٢] .

فوجئ أوبنهايم عند مروره بنصيبين بوصول عشرين بدوياً إلى مخيمه أرسلهم الشيخ فارس، يرأسهم أحد أبنائه وبطريقة بدوية لافتة أدّو التحية لأوبنهايم ورفاقه، ثم قدموا له دعوة الشيخ فارس، فاستقبلهم باحترام وأقام لهم وليمة كبيرة [٣]، ورافقهم صباح اليوم التالي إلى مخيم الشيخ فارس فكان مجموعة من البدو يقومون بألعاب الفروسية بحماس كنوع من الترحيب، ورحب الشيخ بضيوفه سيراً على الأقدام أمام خيمته وحوله عدد من رجاله ثم دخل أوبنهايم ومرافقيه إلى جناح الرجال الكبير في خيمة الشيخ باستقبال واحترام كبيرين [٤] .

لم يتعرض أوبنهايم خلال وجوده في ديار شمّر لأي مضايقة أو إزعاج من قبل البدو، بل كانوا دوماً في غاية اللطف والأدب، وطيلة مدة وجوده يتصرفون بمنتهى الهدوء والانضباط، وفي تلك الأثناء جاء كثير من الضيوف من قبائل غريبة و خيام شمر الواقعة في أماكن بعيدة، مما أتاح لأوبنهايم فرصة التعرف عليهم ومراقبة أشكال الإستقبال عن كثب لتسجيل ملاحظاته، أما الشيخ فارس فقد بدا له كأمير يتناقض شخصه الوجيه مع الملابس البدوية البسيطة التي يرتديها،

(١) أحمد وصفي زكريا، المصدر السابق، ص ص ٦١٩-٦٢٠.
(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢ ، ص ٢٥ .
(٣) ماكس فون أوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ط٢، ترجمة : محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٩م، ص ص ١٦ - ١٧.
(٤) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢ ، ص ص ٢٠ - ٢١ .

وعلى الرغم من حمله لقب (صاحب السعادة) إلا أن اللقب لم يكن يلقى أي مراعاة من جانب أبناء العشيرة الذين كانوا يخاطبونه بكل بساطة بكلمة يا شيخ أو يا فارس [١] .

وصف أوبنهايم الشيخ فارس بأنه :

"**متوسط القامة رقبته غليظة يعلوها رأس مزين بلحية مدببة سوداء اللون يتخللها شيب خفيف، لونه أسمر وتعبر تقاسيمه عن مزيج غريب من الطيب والمودة من جهة والصرامة اللامحدودة من جهة اخرى، وكان قميصه قد اتخذ لوناً لا يمكن تحديده دلالة على طول الاستعمال ويرتدي العباءة والعقال وعلى الدوام كان يتقلد على جنبه سيفاً عريضاً منحنياً، وكان كرم ضيافته كبيراً جداً**"[٢] .

عاش أوبنهايم وأصدقائه والجنود العشرون المرافقون لهم وكل ما معهم من دواب على حساب الشيخ، وقد نصبت خيامهم بكل تقدير واحترام بجوار خيمة الشيخ مباشرة[٣]، كما إن حضور أوبنهايم في مجلس الشيخ فارس جعله على اطلاع ومتابعة لمهام شيخ العشيرة، فقد حضر عدد من اللقاءات التي جمعت الشيخ ببعض شيوخ العشائر الأخرى الذين ترددوا الى ديار شمر لترتيب شؤون مواثيق الأخوة والحماية وهي من الأمور المتعارف عليها لدى البدو، ولم يكن الأمر مقتصراً على بدو العرب، بل جاء الى الشيخ بعض الأكراد الذين ارتبطوا معه بمواثيق الأخوة، كما تردد عليه موظفون عثمانيون، ومنهم مأمور العشائر أو المسؤول عن تنظيم شؤونهم لدى الحكومة العثمانية [٤]. فتمكن أوبنهايم بذلك من معرفة طبيعة العلاقات السياسية التي تربط عشائر البدو مع بعضها البعض من جهة ومع الحكومة العثمانية من جهة أخرى .

(١) اوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ص ص ٢١ - ٢٢ .
(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج ٢، ص ٦٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٧ .
(٤) اوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة ، ص ٢٤ .

أما عن علاقة الأخوة المعروفة بين البدو فقد عقد أوبنهايم نفسه أخوة مع الشيخ فارس في مأدبة كبيرة بحضور شهود وقد أعد كاتب العقد بهذا الشأن رسالة ختمها الشيخ بخاتمه الخاص وقد سلم الشيخ الرسالة لأوبنهايم وفيها ما يلي :

" **السلام الى من يقرأ الكتاب ويتفهم الجواب من كافة المحمد وشمر وغيرهم من خصوص ناقل الخط فهو من أشرف الأقران و الأمثال قنصل حاكم قطعة المانيا بارون ماكس اوبنهايم وبادي في طريق السياحة شرق الدولة العلية أيدها رب البرية يتشرف في الولايات المتجاورات موصل وبغداد والبصرة والذي يتعرضه أو يعارضه على غير رضاه فهو المذنب الخاطئ ولا يكسب إلا الغضب من كل الوجوه ولأجل هذا عرضنا النصائح لمن يسمع الكلام وفي الختام المومي اليه كان في بيتي ضيفاً وعقدنا المحبة والصداقة والخوة غير الدين وصار اكرامه من اكرامنا** " موقعة بـ (قائمقام شمر فارس باشا، خاتم : فارس صفوق، ٢ صفر شهر الحظ ١٣١١ الموافق ١٥ آب ١٨٩٣م)[١] .

قضى أوبنهايم خلال اليوم الأخير من أقامته في مخيم شمَّر ساعات طويلة مع الشيخ فارس حيث تناولا في حديث مغلق جميع قضايا البادية والسياسة البدوية، وفي نهاية الحديث طلب الشيخ من أوبنهايم أن يرسل له من الموصل دواءً لعينيه المريضتين، ومن أجل إكمال رحلته نحو الموصل أرسل معه الشيخ رجلين من أقربائه وخادمين من عبيدِهِ[٢] .

غادرَ أوبنهايم مخيم شمر المضياف بعد إقامة دامت ثلاثة أيام، وكان قد قدم الهدايا للشيخ فارس وهي غطاء للرأس وثوباً فاخراً ومعطفاً ثميناً أما الشيخ فارس فقد أهداه حصاناً فتياً قاده الى خيمته بطريقة احتفالية رجلٌ من شمَّر [٣]، وشكل خروجه من مخيم شمر صورة رائعة زاخرة بالألوان فقد أصَر الشيخ على مرافقة المغادرين مع أبنائه وجميع أقربائه وعبيده مسافة ساعة كاملة

(١) نقلاً عن : اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج٢ ، ص ٩١ ؛ ملحق رقم (١) .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .
(٣) المصدر نفسه، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

تكريماً لهم، وعندما راح رجال شمر يتطاردون حولهم ويقومون بألعاب الفروسية وهم يصرخون بأعلى أصواتهم ثارت في نفس الشيخ فارس ولدى فرسه القديم روح الحماس والرغبة في المشاركة، فإندفع وسط الفرسان وراح يكر ويفر وكأنه في عز الشباب، وعندما شعر بالتعب عاد الى جانب أوبنهايم وراح يحدثه عن غزواته و مهارته في الفروسية مادحاً نفسه [١] .

وفي طريق الرحلة الى الموصل مرت بمناطق وقرى عديدة ذات أغلبية كردية، ونزل في قرية قرادة، عند الشيخ عيسى كبير الأكراد وزعيمهم وهو ذو معرفة سابقة بأوبنهايم، قد تعرف عليه عندما جاء مع مجموعة من أفراد عشيرته لزيارة الشيخ فارس باشا فوَعَده أوبنهايم بالزيارة، وقد اعتمد أوبنهايم في خريطة سيره في تلك القرى الكردية على المعلومات التي زوده بها رجال الشيخ فارس المرافقين له، وقد قام عيسى باستقبال أوبنهايم في منزله المصمم على شكل قلعة، وتجمع على أثر ذلك عدد من سكان قريته في المنزل، مما هيأ لأوبنهايم الإطلاع عن كثب على طبيعة رجال تلك القبائل، ومظهرهم الذي يدل على أنهم مقاتلون أقوياء البنية[٢] .

وعلى تلك الوتيرة كان مرور أوبنهايم خلال شهر آب بالقرى التي يسكنها أغلبية كردية[٣]، وفي تلك الأثناء كان يكتب ملاحظاته الدقيقة عن أحوال تلك المناطق الجغرافية من حيث طبيعة مناخها وتلالها و مصبات الأنهار فيها [٤]، إلا أن الخطر لم يكن بعيداً عنه في تلك الرحلة فقد مر بمنطقة تقع بين سلسلة جبال سنجار، كانت تشهد معاركاً دامية بين اليزيديين [٥] والبدو الموالين

(١) أوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢، ١٦٩ .
(٢) أوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ص ص ١٨٠ - ١٨١ .
(٣) حول وصف اوبنهايم للأكراد والتركمان والشركس ومواقعهم وأصولهم التاريخية وعاداتهم، وموقف الدولة العثمانية منهم ، ينظر:
اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج٢، ص ص ٩٩ - ١٠١ .
(٤) للمزيد عن تلك القرى وطبيعتها الجغرافية والسكانية، ينظر :
اوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ص ص ١٨١ - ١٨٥ .
(٥) الأيزيديون: مجموعة عرقية دينية تتمركز في سورية والعراق وتركيا، ومجموعات أصغر في ألمانيا، جورجيا وأرمينيا، ينتمون عرقياً الى أصل كردي ذي جذور هندوراسية، ومتأثرين بمحيطهم المتكون من خليط من الثقافات العربية والسريانية، ويرى الأيزيديون أن شعبهم وديانتهم قد وجدا منذ وجود آدم وحواء على الأرض، ويرى باحثون أن ديانتهم انبثقت عن الديانات البابلية القديمة، بينما رأى باحثون إسلاميون أن الديانة اليزيدية =

للدول العثمانية، وقد انطلقت جحافل من اليزيديين من جبال كردستان، وعبرت نهر دجلة لمناصرة إخوانهم في الدين، ضد القوات الحكومية في مرتفعات سنجار، فوجد أوبنهايم نفسه ومرافقيه محاصرين من قبل مجموعة من الفرسان، من قبيلة جحيش الموالية لشمر، وقد شك هؤلاء الفرسان بأمر اوبنهايم وجماعته وظنوا أنهم يزيديون عازمون على الهجوم أو الغزو، إلا أن مرافقي أوبنهايم استطاعوا إقناعهم بأنهم رجال الشيخ فارس باشا، فعمدوا الى اصطحاب أوبنهايم وجماعته الى ديارهم بشيء من الترحيب، فكان في استقبالهم الشيخ علو الصالح شيخ جحيش، وتبين لأوبنهايم أن أحد أسباب هجوم رجال تلك القبيلة عليهم هو ارتداءه ومساعده نجيب سلوم للعباءة البيضاء لوقاية أنفسهم من أشعة الشمس، لذلك اعتقد المهاجمين أنهم من اليزيديين، فالبدو في تلك المناطق لا يرتدون العباءة البيضاء، لأنه اللون الذي يفضله اليزيديون الذين يكرهون الألوان القاتمة ويحبون الرداء الكردي الابيض القصير على وجه الخصوص [١] .

تابع اوبنهايم خلال شهر آب ١٨٩٣م رحلته ماراً بالكثير من القرى الكردية في طريقه الى الموصل، فحل ضيفاً على آغا عمر المسطي رئيس قرية حاوي زمار[٢]، وكعادته مهتماً بالأحوال الاجتماعية للقرى التي يمر بها، وعادات سكانها البدو وأدائهم للطقوس الدينية [٣] وعند مغادرته استطاع اوبنهايم أن يطلع على سياسة الدولة العثمانية الصارمة تجاه اليزيديين[٤]، ففي الطريق

=منشقة ومنحرفة عن الإسلام وهذا رأي بعيد، واليزيديون يواجهون الشمس في صلواتهم ويؤمنون بتناسخ الأرواح والملائكة ويقدسون جميع الديانات السماوية وأماكن العبادة والكتب السماوية، للمزيد ينظر:
سعد سلوم، مائة وهم عن الأقليات في العراق، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٥م، ص ص ٤٧-٦٣ .

(١) اوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ص ص ١٨٧ - ١٩١ .

(٢) زمار: بلدة تابعة إدارياً لقضاء تلعفر ضمن نينوى، وتعتبر البلدة نقطة وصل بين الحدود السورية ونينوى، للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ٩٢٦.

(٣) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

(٤) من أبرز الأحداث السياسية في تلك المدة (١٨٩٢-١٨٩٣م)، المساعي التي بذلتها الحكومة العثمانية لتحويل اليزيديين الى الاسلام، وكان ذلك مظهراً من مظاهر تطبيق سياسة الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد، فأرسل الفريق عمر وهبي عندما كان عثمان باشا والياً على الموصل، لكي يخضع القبائل اليزيدية الساكنة في الموصل وأطرافها الى تلك السياسة، وفي سنجار اتبع عمر وهبي سياسة شديدة، ولكن سرعان ما تم عزله في منتصف عام ١٨٩٣م، لكن اليزيديين أخذوا يقومون بأعمال انتقامية، ضد القوافل التجارية وغيرها، مما إضطر السلطة العثمانية الى إرسال المزيد من الحملات ضدهم، وتحريض القبائل المسلمة عليهم، للمزيد ينظر :
الأب سهيل قاشا، الموصل في القرن التاسع عشر دراسة سياسية ١٨٣٤- ١٩٠٩، بيروت ، ٢٠١٠م ، ص ص ٧٨- ٩٠ .

صادفتهم مجموعة من الرجال لا يحملون سلاحاً ويشتكون من العطش ادعوا أنهم قادمون من الموصل وانهم قد ضلوا الطريق بعدما هاجمتهم مجموعة من البدو وسلبوا كل ما لديهم من متاع وسلاح، فأرشدهم اوبنهايم ورفاقه الى نبع ماء قريب، لكنهم بعدما غادروا خطرت على بال مرافقي أوبنهايم بأن أولئك الرجال ليسوا إلا يزيديون قد عادوا مهزومين من هجوم على قرية بدوية، فانطلق رجال شمر والشرطة العثمانية الموجودين مع أوبنهايم حاملين أسلحتهم وعازمين على قتل أولئك الرجال في حال ثبت أنهم يزيديون فأنطلق أوبنهايم بدوره ايضاً ولاحظ الاستجواب الشديد الذي مارسه رفاقه على أولئك الرجال من خلال سؤالهم عن ديانتهم، (وعن النبي محمد وعلي والحسن والحسين)، وبعدما نطق كل واحد منهم بالشهادة وأقسموا بأنهم مسلمون، واصلوا طريقهم بسلام[١].

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج٢ ، ص ص ١٩١ - ١٩٢ .

المبحث الثالث: **رحلة اوبنهايم إلى العراق والخليج العربي واستانبول** .

أولاً: **رحلة اوبنهايم من الموصل إلى بومباي**:

حظيَّ دخول قافلة أوبنهايم إلى الموصل باهتمام وتنسيق كبيرين من قبل الحكومتين الألمانية والعثمانية، فقد ألزم والي الموصل عدداً من الفرسان وضابط عثماني بمرافقة الرحلة، وتأمين سلامة مرورها عبر قرى ومدن الموصل، وبادر أوبنهايم عند وصوله بزيارة المبنى الحكومي للوالي عثمان باشا، الذي استقبله بشكل رسمي بوصفه مبعوثاً ألمانياً، وأظهر الإحترام واللطف في التعامل مع مرافقيه [١]، مما يدل على الإعتراف الرسمي من قبل الحكومة الألمانية برحلة أوبنهايم بوصفها بعثة رسمية، وهذا ما أفهمته للسلطات العثمانية التي اعتبرتها فرصة جيدة لتنشيط التعامل الاقتصادي وفتح الباب أمام علاقات تجارية ودبلوماسية أوسع مع ألمانيا، وخير مساعدة يمكن أن تقدمها لتنشيط ذلك التعاون هي السماح للمستشرقين والرحالة بدراسة طبيعة الأراضي التي يمرون بها وتسجيل الملاحظات الجغرافية، الاقتصادية.

تمكن أوبنهايم في الموصل من إرسال خبرٍ برقيٍ إلى ألمانيا، ذلك بعد أن انقطعت برقياته إلى وطنه منذ مغادرته دمشق، ولاحظ أن البريد والبرق في الولاية يعمل بشكل جيد على الرغم من العقبات الأمنية في المنطقة إلا أن رسالة برقية تستغرق يوماً واحداً أو يومين كحد أقصى للوصول إلى ألمانيا [٢]، ثم إنفصل أوبنهايم في الموصل عن رفقاء رحلته أبناء عشيرة شمَّر الذين أمنوا سلامة قافلته، فغادروا إلى ديارهم، حاملين تحياته وسلامه إلى الشيخ فارس مع بعض الأدوية التي أوصى بها الشيخ سابقاً، كما ترك أيضاً الحيوانات التي سافر على متنها، لأنه قرر إكمال رحلته في نهر دجلة، بوصفه الطريق النهري الذي يتيح له زيارة المواقع الأثرية الهامة الموجودة على جانبي النهر دون بذل جهود كبيرة، فأرسل الوالي معه اثنين من الجنود العثمانيين [٣] .

---

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢ ، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .
(٢) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٢٠٦ .
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣١.

كان اوبنهايم ملاحظاً دقيقاً يحرص على تسجيل أسماء المواقع والقرى التي يمر بها أثناء الرحلة في نهر دجلة وكان يحصل على كثير من المعلومات عن تلك المواقع من قادة السفن والصيادين ويقوم بتسجيل أوقات المرور بتلك المواقع وأوقات تجاوزها، كما إستخدم أسلوبه المرن في التعامل مع سكان القرى بقصد ضمان ولائهم وتعاونهم معه لتسهيل مهمته البحثية والحصول على المعلومات المهمة. كما كان شغوفاً باقتناء التحف من البلاد التي يمر بها، فيُذكر أنه اقتنى وعاءاً نحاسياً كبيراً مطعماً بالفضة اشتراه من أسواق الموصل، كما إقتنى ابريقاً فخارياً يحتوي على رسومات وكتابات، فضلاً عن شرائه مسدساً أثرياً له أربع فوهات[١].

وعندما قرر أوبنهايم مغادرة الموصل بقصد الوصول الى بغداد اتخذ التحضيرات اللازمة وانطلق في يوم الأربعاء الموافق الثالث والعشرين من آب ١٨٩٣م عن طريق نهر دجلة مما أتاح له مشاهدة البساتين وحقول الآثار القديمة لمدينة نينوى، وفي اليوم التالي مرَّ بقرية يسكنها عشيرة الجبور العربية، ثم تابع مسيره فتوقف لمشاهدة آثار النمرود وقد قدم الجبور أنفسهم لأوبنهايم على أنهم المسؤولون عن إدارة منطقة الآثار وحمايتها قانونياً، وقد سألوه عن الإذن الذي يمتلكه لزيارة الآثار ولكنه سرعان ما عرفهم بنفسه وعقد معهم أواصر الصداقة [٢] .

توجه أوبنهايم الى مدينة تكريت التابعة إدارياً لقائمقامية سامراء، ولم يلاحظ لتلك المدينة أي أهمية تجارية أو صناعية، وسجل ملاحظاته عن سكانها الذين يكسبون رزقهم بصورة رئيسية من زراعة الحقول ومن العمل في النقل النهري[٣]، وتابع رحلته فتوقف لزيارة مدينة سامراء وقام بتسجيل ملاحظاته عن الآثار والأبنية القديمة مثل قصر المعشوقة أو (العاشق) ومدينة سامراء القديمة التي تحتوي على المأذنة (الملوية) كما سجل وصفاً لضريح الإمامين العسكريّين في الأيام الأخيرة من شهر آب ١٨٩٣م، ثم واصل رحلته باتجاه بغداد [٤] .

---

(١) سجى قحطان محمد قبع، الموصل في كتابات الرحالة في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص ١٩٣ .
(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج، ج٢، ص ص ٢٣٦ – ٢٤٢ .
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٥٧ .
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٨ .

كان وصول رحلة أوبنهايم الى بغداد في الثلاثين من آب ١٨٩٣م متزامناً مع إنتشار مرض الكوليرا إلا أنه أقل شدة من وباء عام ١٨٨٩م، ومع ذلك فقد أثر على الحركة التجارية في بغداد وأصبحت شبه متوقفة، ونزح عدد كبير من السكان عن بيوتهم وتم إسكانهم في خيام أو في أكواخ خشبية نصبت على عجل أمام أبواب المدينة، على الرغم من ذلك قضى أوبنهايم في بغداد ساعات سارة ضيفاً على إبن بلده كارل ريتشاردز **(Karl Richards)**[١]، وعلى الرغم من تجنبه للأماكن الموبوءة وشدة حذره إلا أنه لم يسلم من الإصابة بمرض جلدي معروف تحت اسم (حبة حلب) كان منتشراً على نطاق واسع في بغداد[٢] .

أثر الوباء سلباً على استطلاع أوبنهايم، إلا أنه آثر زيارة ممثلي الدول الأوروبية في بغداد، منهم القنصل العام البريطاني المقدم إدوارد موكلر **(Eduard Mockler)**[٣]، الذي استقبله بالطريقة المعتادة القائمة على الود والانفتاح التي يُعامَل بها أي رحالة أوروبي وفقاً للعرف الذي درج عليه القائمون على خدمة التاج البريطاني في المناطق البعيدة [٤]، ومن خلال اللقاء واستطلاع أوبنهايم، تمكن من معرفة معلومات كثيرة عن موكلر، فهو يرتبط بالسفارة البريطانية في استانبول لكنه يتولى في الوقت نفسه مهمة المندوب السياسي والممثل الرسمي المقيم للحكومة الهندية ويسكن في بيت من أرقى البيوت في بغداد يقع على النهر مباشرة، و لديه حرس شخصي يتألف من خمس وعشرون ملاحاً هندياً، وسفينة مقيمة تابعة للبحرية الهندية يعمل عليها ستون

---

(١) كارل ريتشاردز: كان مبعوثاً ألمانياً يتولى مهام معينة في بغداد ولا صلة له بالخدمات القنصلية الألمانية، حيث لم تكن هناك قنصلية المانية في بغداد وتم تكليف القنصلية البريطانية بالإشراف على مصالح الرعايا الألمان في بغداد منذ ١٨٨٣م، و عندما افتتحت القنصلية الألمانية أصبح ريتشاردز أول قنصل ألماني معين في بغداد في ٢٠ كانون الأول ١٨٩٤، للمزيد ينظر:
ج . ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة: مكتب أمير دولة قطر، د. مك، ١٩١٤م، ص ٣٩٥٧ .
(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .
(٣) إدوارد موكلر: كان يتولى كذلك الإشراف على مواطني الولايات المتحدة الامريكية، بوصفه قائماً بالأعمال، منذ ١٣ اذار ١٨٩١م، لعدم وجود قنصلية امريكية في بغداد، ينظر:
لوريمر، المصدر السابق، ص ٣٩٥٦ .
(٤) فراوكة هيردبي، (التحديات الواقعة والمتخيلة لوضع بريطانيا في الخليج العربي)، بحث منشور في : ندوة كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، مركز جمعة الماجد للثقافات والتراث، دبي، ١٩٩٦، ص ٢٥٦ .

جندي، وكان كارل ريتشاردز قد أرسل لأوبنهايم دعوة الضيافة عن طريق هذا القنصل الذي علم بوصول اوبنهايم المرتقب قبل بعض الوقت بناء على توصيات وصلته بشأنه، كما التقى أوبنهايم في بغداد بالقنصل الفرنسي هنري بونيون **(Henry Bugnion)** [١]، الباحث في العلوم الآشورية[٢] .

أثر الوباء سلباً على استطلاع أوبنهايم حول مدينة بغداد، فلم تمر ليلة إلا ويسمع فيها صوت عويل النساء المنطلق من البيوت المجاورة، دليلاً على أن الوباء قد راح ضحيته شخص آخر، وكان الشخص الذي كلفه القنصل البريطاني بمرافقة أوبنهايم لا يرافقه إلا على مضض، وكان أوبنهايم يقوم بجولاته قبل الظهر وبعده في الأحياء الشعبية التي كانت تعاني بشكل خاص من الوباء، ويلتقي في الغالب بأفواج المشيعين فيما عدا ذلك كانت الشوارع البغدادية شبه خالية، وقد اطلع اوبنهايم على العديد من البيوت التي غادرها أهلها فراراً وعلى عجل وكانت الأوضاع وكأن حرباً قد اندلعت فجأةً في المدينة [٣] .

أثناء وجود أوبنهايم في بغداد حل ميلاد السلطان عبد الحميد الثاني[٤] وعلى الرغم من إضطراب الأوضاع وتدهورها، قررت الشخصيات الحكومية في الدولة العثمانية إقامة إحتفال كبير

---

(١) هنري بونيون (١٨٥٣ – ١٩٢١): عالم آثار ودبلوماسي فرنسي اهتم رغم عمله الدبلوماسي بمتابعة دراسة الآثار وتدوين مؤلفات في التاريخ واللغة، وهو أول من قام بتدريس اللغة الآشورية في مدرسة العلوم العليا عام ١٨٧٨، وتم تعيينه قنصلاً في حلب وبغداد، وتجول في أنحاء العراق وانصرف الى المنحوتة الجبلية بصورة الملك الآشوري سنحاريب في منطقة بافيان (خنس) إحدى القرى اليزيدية الواقعة شمال شرقي الموصل، فدرسها وحل الكتابات المسمارية المنقوشة على وجه الجبل، ونشرها بعنوان (كتابات بافيان) في باريس، للمزيد ينظر : سالم الآلوسي، رواد علم الآثار في العراق، دار الوراق، لندن، ٢٠١٦، ص ص ٧٥-٧٦ .

(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج٢، ص ٣٠٤ .

(٣) المصدر نفسه،ج٢، ص ٣٠٦ .

(٤) عبد الحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨): ولد في ايلول ١٨٤٢م، وهو الابن الثاني للسلطان عبد المجيد بعد السلطان مراد الخامس، أمه هي السيدة تريمو جان ولدت في قفقاسيا من قبيلة شابيغ الجركسية، وقد جاءت مع والدتها وقرنائها الى استانبول واندرجت في سلك نساء السلطان عبد المجيد عام ١٨٣٩م، وكان في سن الحادية عشرة عندما توفي والده عام ١٨٥٣م، فترعرع في كنف زوجة السلطان عبد المجيد التي تدعى برستو، تعلم هو وأخوه مراد الخامس اللغة العثمانية على يد عمر أفندي والفارسية على يد مهدي أفندي، واللغة العربية وعلومها على يد فريد وشريف أفندي، كما درسا التاريخ العثماني والفرنسي، للمزيد ينظر:
سليمان جوقه باش، السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته، ترجمة: عبد الله أحمد ابراهيم، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ص ٣١- ٣٤ .

بالمناسبة، وكان اوبنهايم من بين الحضور وقد تعرف الى والي بغداد حسن رفيق باشا(١٨٩١-١٨٩٦)، ونصرت باشا المرافق العام للسلطان ومفتش الجيش العثماني السادس، وأحد القادة في سلاح الخيالة يدعى كاظم باشا، وشخصيات أخرى أتيح له التعرف عليها مثل محمد باشا الداغستاني الذي كان يتولى منصب قائد في الجيش في بغداد [١] .

أهمية بغداد التجارية حسب رؤية اوبنهايم :

أوجز أوبنهايم في رحلته الكثير من الملاحظات حول أهمية بغداد التجارية قائلاً:

"**أهمية بغداد تعتمد بالدرجة الاولى على موقعها الجغرافي المناسب جداً لحركة المواصلات العالمية ونتيجة لذلك شهدت المدينة نشاطاً تجارياً واسع النطاق، وتنال حصة الأسد من الاستيراد بريطانيا ومستعمرتها في الهند، فجميع المنتوجات القطنية والمعادن الخام والاقمشة الكتانية ومنسوجات الملابس وغيرها تندرج ضمن المستوردات البريطانية وتأتي في المرتبة الثانية النمسا وهنغاريا والمانيا ثم فرنسا**" [٢] .

رأى اوبنهايم إمكانية توسيع النفوذ الاقتصادي الألماني داخل الدولة العثمانية بشكل أكبر عن طريق بغداد قائلاً:

" **يمكن لألمانيا اقتناص الفرصة لمد الخط الحديدي الى بغداد وإذا تمكنت من تحقيق ذلك فعلاً فإنه سيفتح أمام الصناعة الألمانية والتجارة الألمانية وبصورة عامة أمام الروح الالمانية الميالة الى الإقدام وإنشاء المشاريع الجديدة والشركات حقل واسع للنشاط والعمل في بلاد ما بين النهرين..، الألمان مؤهلون للقيام بأعمال مربحة في الشرق، و من المهم جداً في الشرق العثماني على وجه الخصوص لكي يستطيع رجل الأعمال النجاح في العمل أن يكون منتمياً الى أمة تتمتع بسمعة عالية لدى السكان المحليين، أما النفوذ السياسي القوي فليس هو**

---

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢ ، ص ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .
(٢) نقلاً عن: المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٢٩٣ .

الذي يعزز موقف رجل الأعمال الأوروبي في الشرق العثماني بل قد يكون العكس هو الصحيح وهو أن الاطماع السياسية تولد الشكوك تجاه الاجنبي، فالوجاهة والظهور بمظهر محترم يلعبان دوراً أساسياً في تعزيز العلاقة والتعاون مع المجتمع الشرقي"[١].

صور اوبنهايم ألمانيا بأنها الأمة النبيلة التي لا تمتلك مصالح إستعمارية خفية تجاه الدولة العثمانية، ورأى بأن المانيا تُعَد ضيفاً مرحباً به في الدولة العثمانية لأن الجميع هناك بما في ذلك الطبقات الدنيا من المجتمع واثقون من أن ألمانيا لا تبتغي من وراء دخولها منافع إستعمارية، وخير دليل على ذلك زيارة الامبراطور الالماني الأولى الى استانبول عام ١٨٨٩م بوصفها تعبيراً واضحاً عن العلاقات الطيبة القائمة بين الدولتين [٢] .

ولم تفارقه فكرة تطوير المصالح التجارية الالمانية من خلال مد الخط الحديدي، وقام بتدوين ملاحظاته المهمة أملاً في تعزيز وجهات النظر الالمانية حول تنفيذ المشروع، ورأى اوبنهايم بأن:

" **مد الخط الحديدي الى بغداد سيجلب للدولة العثمانية الكثير من المنافع فإلى جانب اهميته الاقتصادية الكبيرة سيكون له دون شك فائدة عظيمة لعاصمة الامبراطورية العثمانية وسيعيد اليها حصة كبيرة من حركة المواصلات بين الشرق والغرب، كما تدرك الحكومة العثمانية القيمة الاستراتيجية السياسية لربط سريع للمركز مع اقصى الحدود الشرقية للإمبراطورية، لأن هذا الربط سيضع في يدها اداة هامة للسيطرة على سكان من مختلف الاجناس والاهواء وبعضهم متمرد رافض لحياة الامن والسلام، وسيصبح الخط الحديدي من اوائل شرايين المواصلات في العالم وخاصة بغداد نفسها سيرفع الخط الحديدي المقترح مكانتها بشكل غير عادي**" [٣] .

---

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢، ص ٣٠١
(٢) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٣٠٢ .
(٣) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٣٠٢ .

قبل مغادرة أوبنهايم مدينة بغداد إنفصل عن مساعده الشخصي نجيب سلوم وعن خادمه المطيع طنوس اللذين عادا الى سورية، وفي وقت متأخر من مساء يوم العاشر من أيلول ١٨٩٣م صعد أوبنهايم على متن السفينة البخارية البريطانية تدعى "خليفة" وبشيء من الحزن راح يراقب مآذن بغداد وقببها الملونة وهي تختفي شيئاً فشيئاً خلف بساتين النخيل التي تحيط بضفاف دجلة من الجانبين، ماراً قرب المخيمات الضخمة التي كان ثلث سكان بغداد قد لجأوا اليها خوفاً من وباء الكوليرا، وقد إستغرقت رحلة السفينة أربعة أيام نحو البصرة، وكان عناصر العمل والخدمة في السفينة يتألفون كما في بقية السفن البخارية النهرية البريطانية والعثمانية من مسيحيين كلدان، حرص أوبنهايم على تسجيل الملاحظات الدقيقة أثناء الرحلة فقد كون صورة عن عمال السفن البريطانيين آنذاك بأنهم رجال ذوو أجسام كبيرة وبنية قوية وفي غاية الطيبة ينحدرون في الأصل من المناطق الجبلية الواقعة شمال الموصل، أما قادة السفينة وملاحوها فكانوا من العرب المسلمين، أما بقية الضباط فكانوا من البريطانيين [١].

بعد سفر ساعات قليلة تجاوزت السفينة مصب نهر ديالى ثم شاهد اوبنهايم الآثار الضخمة لطاق كسرى وهي البقية الوحيدة من مدينة المدائن المدينة الملكية الفارسية القديمة [٢]، وفي صباح يوم الثاني عشر من أيلول وصل اوبنهايم الى مدينة الكوت، ثم واصل رحلته في الثالث عشر من أيلول الى مدينة العمارة الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة والتابعة إدارياً لولاية البصرة وتعد المدينة مقر المتصرف وفيها حامية عسكرية مؤلفة من كتيبتي مشاة وقد رأى بأنها مدينة حديثة العهد جداً لأنه لم يلاحظ لها وجوداً على الخرائط البريطانية لنهر دجلة آنذاك، وفي صباح يوم الرابع عشر من أيلول وصل الى قلعة صالح، والشطرة، ومزار العزيز (ضريح النبي عزرا) [٣] .

ترافق وصول اوبنهايم الى البصرة مع موسم جني التمور فلاحظ بأن المدينة تعج بحركة تجارية نشيطة بشكل خاص، واطلع على طبيعة المواصلات بين البصرة وألمانيا، ولاحظ بأنها

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢، ص ص ٣٣١ - ٣٣٢ .
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣٣ .
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

معقدة جداً إذ أن البضائع تنقل بسفن بريطانية الى بومباي أو كراتشي الهنديتين، وتُشحن على متن سفن نمساوية الى ايطاليا هذا إذا لم يكن أصحابها يفضلون شحنها على بواخر مباشرة عن طريق بريطانيا، كلا الطريقين يستغرقان شهرين من الزمن، لذا فقد سجل أوبنهايم مقترحاته بهذا الشأن، واقترح فتح خط ملاحي منتظم الى الخليج والبصرة بإشراف الحكومة الألمانية ولو اقتصرت الحركة على هذا الخط في بادئ الأمر على سفينة واحدةٍ كل شهر عندئذٍ سيكون لألمانيا حصة رابحة من الحركة التجارية المتزايدة عاما بعد عام في منطقة الخليج الحيوية، وعلى الرغم من الأهمية التجارية الكبيرة للبصرة فقد لاحظ أوبنهايم وجود قنصلين رسميين فقط فيها أحدهما بريطاني[١] والآخر وفارسي، فضلاً عن وكيل للقنصل الفرنسي [٢] .

زار أوبنهايم في البصرة شيخ فرقة الرفاعيين سيد رجب الذي شغل منصب (النقيب) وهو أعلى منصب ديني في المدينة، والتقى في بيته بقائد عثماني يدعى أمين بك [٣]، ثم غادر اوبنهايم البصرة يوم ١الخامس عشر من أيلول ١٨٩٣م على متن الباخرة (البمبا) [٤]، و تمكن خلال رحلته عبر شط العرب من الاطلاع على أراضي النخيل التي تحيط بالنهر، ثم توقفت الباخرة أمام قصر الشيخ خزعل (١٨٦١-١٩٣٦) أمير المحمرة الذي كان يحظى لدى بريطانيا بتقدير كبير، لذلك فقد لاحظ اوبنهايم قيام كل باخرة تابعة للشركة البريطانية الهندية بإطلاق طلقة مدفعية أمام قصر الشيخ تحيةً واحتراماً[٥] .

---

(١) وقد شغل منصب المعتمد السياسي أو القنصل البريطاني في البصرة في المدة المنحصرة بين ٤ آب ١٨٩٢م الى ٢٠ تشرين الثاني ١٨٩٤م، النقيب ف لا ج . (بيفيل)، ينظر:
لوريمر، المصدر السابق، ص ٣٩٤٥ .

(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢ ، ص ٣٤٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٧ .

(٤) البمبا: هي باخرة تابعة للشركة البريطانية الهندية للملاحة البخارية، وتنقل هذه الباخرة وغيرها البريد من الهند وتقوم برحلة الى البصرة كل اسبوع، وترسوا في ذهابها وإيابها بالتناوب في مسقط او في جزر البحرين، وتستغرق رحلة اجتياز شط العرب على متنها قرابة يوم كامل ، وتمثل مدينة بومباي نقطة نهاية هذا الخط في بلاد الهند، وفي الاراضي الهندية تقصد تلك البواخر مدينة كراتشي اولاً، للمزيد عن تلك البواخر التي تستعملها الشركة البريطانية الهندية في الخليج ينظر:
ماكس فون اوبنهايم، رحلة الى مسقط عبر الخليج، ط ٢، ترجمة ومراجعة وتدقيق: محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٩م ، ص ص ١٢ - ١٣ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥ .

وصل اوبنهايم لميناء بوشهر على الخليج العربي يوم السابع عشر من ايلول ١٨٩٣م وفي ضوء رحلته من البصرة الى بوشهر رصد عدة ملاحظات على الملاحة في الخليج، ورغم وصوله لبوشهر لم يسمح له بدخولها إلا بعد قضاء يوم كامل في الميناء من أجل الكشف الطبي، وهي طريقة تستخدم كنوع من الحجر الصحي، ووصف أوبنهايم ميناء بوشهر بأنه لا يصلح لرسو السفن البخارية ولا حتى القديم منها مثل الباخرة التي جاء على متنها، لكن كان على السفينة أن تبقى في عرض الخليج وينقل الركاب منها للميناء بالسفن الشراعية في رحلة استغرقت نصف ساعة [١]، وقد تمكن من الحصول على معلومات عن النشاط التجاري الألماني وكيف بدأ بخط ملاحي بين بوشهر وبريمن في المانيا، كما زار المقيمية البريطانية في بوشهر وقابل العديد من موظفيها لكنه لم يفعل ذلك مع الالمان لعدم وجود ممثلية قنصلية ألمانية[٢] .

كما التقى أوبنهايم الميرزا اسماعيل خان حاكم لنجة [٣]، في قصره وهو عبارة عن قلعة برتغالية قديمة ذات جدران عالية وأبواب ضخمة، واسماعيل تابع ادارياً لحكومة بوشهر، وقد لاحظ أوبنهايم أن مضيفه ذو دراية بثقافة وأسلوب الضيافة الغربية فقد وضع له بعض الكراسي، وأكرمه حسب العادات الأوروبية[٤]، وتمكن اوبنهايم من تدوين ملاحظات ومعلومات مهمة عن عدد سكان لنجة من خلال الاحصائيات التي أطلعه عليها الشيخ أحمد الهندي مدير البريد البريطاني وهو رجل مسلم، كما زود اوبنهايم بمعلومات عن ديانات سكان لنجة ومذاهبهم وتنوع جنسياتهم [٥]، كما كما نزل اوبنهايم خلال الشهر ذاته في ميناء بندر عباس، وقد إستقبله الحاكم محمد حسن خان[٦]، وخلال تجواله القصير سجل معلومات مهمة عن الأحوال العامة وأبرزها التجارة الاوروبية الممثلة

(١) يحيى محمد محمود، (الخليج العربي في الأدبيات الألمانية في مطلع القرن العشرين كتابات ماكس فون اوبنهايم نموذجاً)، بحث منشور في مؤتمر: الشرق في عيون الغرب، جامعة الكويت - كلية الآداب، ٢٠١٣م، ص ٢٠٣.

(٢) افتتح الدكتور روبرت هوك وكالة قنصلية ألمانية في بوشهر في تشرين الثاني ١٨٩٧م ، ينظر:
لوريمر، المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٩٥٠ ؛ يحيى محمد، المصدر السابق، ص ٢٠٥ .

(٣) لنجة: مدينة ساحلية على الضفاف الشرقية للخليج العربي، في الجانب الفارسي، تابعة ادارياً لمحافظة هرمزغان الايرانية حالياً. للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ١٥٦٤ .

(٤) اوبنهايم، رحلة الى مسقط عبر الخليج، ص ٣٨ .

(٥) يحيى محمد محمود، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٨ .

بشركة هوتز (Hotz) الهولندية، الى جانب الممثلية التجارية البريطانية المتمثلة بشخص يدعى مارشال (Marshal)، ولاحظ بأن الميناء يمثل محطةً للبريد، كما إطلع عن كثب على الأحوال السياسية المضطربة، بين بعض القبائل العربية المقيمة هناك وبين الحكومة الفارسية الذي استوجب إرسال بعض القوات العسكرية الى بندر عباس كما لاحظ اوبنهايم [١] .

خلال رحلة اوبنهايم من البصرة حتى بندر عباس قام بتسجيل ملاحظاته حول الجانب الشرقي للخليج العربي عدا محطته الأخيرة في مسقط، مدوناً مشاهدات ومعلومات مهمة قدمها الى الحكومة الالمانية كما سنذكر لاحقاً، أما الجانب الغربي وسواحل شبه الجزيرة العربية المطلة على الخليج فانه لم يحط بمعلوماتها بشكلٍ وافٍ، ربما بسبب اختياره لطريق التلغراف والبريد قرب تلك الموانئ، أو أنه رغب بالاطلاع عن كثب على سيطرة الملاحة البريطانية في منطقة الخليج العربي وحتى الهند، من أجل معرفة نوع شكل الدور الذي سيتوجب على الحكومة الالمانية القيام به من أجل النهوض الاقتصادي، وتعزيز صلاتها الاقتصادية بتلك المناطق.

كانت المحطة الأخيرة لرحلة اوبنهايم في الخليج العربي هي نزوله ضيفاً على الشيخ فيصل بن تركي(١٨٦٤-١٩١٣) حاكم مسقط، الذي استقبله استقبالاً لائقاً في قصره[٢]، وأطلعه على شؤون مسقط، مستفسراً حول سبب تأخر الحكومة الالمانية عن إنشاء قنصلية فيها، كما تواصل اوبنهايم مع الضابط سيرجيون جاياكار (Surgeon Yayakar) [٣]، القنصل البريطاني والوكيل السياسي والساعد الأيمن للوكالة التجارية في مسقط، وقد سلمه اوبنهايم رسالة من القنصل البريطاني العام في بغداد موكلر، كما قام اوبنهايم ايضاً بزيارة القنصل الامريكي ماكردي (Macredy) [٤]، وقد سجل اوبنهايم اعتماداً على أولئك الأشخاص في مسقط ملاحظاته عن البيوت وحركة الأسواق النشيطة التي تعج ببيع الأسلحة مثل السيوف والبنادق المصنوعة من

(١) اوبنهايم، رحلة الى مسقط عبر الخليج، ص ٤٤ .
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨.
(٣) هيردبي، المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .
(٤) ماكردي: تاجر بريطاني، تولى مهام القنصلية الأمريكية في مسقط، وكان سلفه فيها تاجر بريطاني ايضاً، يدعى لويس ماجوير، ينظر:
لوريمر، المصدر السابق، ص ٣٩٥١ ؛ اوبنهايم، رحلة الى مسقط عبر الخليج، ص ص ٥١ ـ ٥٢.

الذهب والفضة، كما تمكن من خلال تلك العلاقات الحصول على معلومات عن أوضاع الخليج العربي والحركة التجارية عبر مياهه وتعرف على علاقة القناصل الأوروبيين بحكام وأمراء الخليج، كما اطلع على السجلات الخاصة بتنوع الأعراق والمذاهب المختلفة وأعداد معتنقيها هناك، مما جعله يكون صورة مهمة حول المجتمع الخليجي ورأى بأنه خليط يستحق الدراسة والإهتمام [١] .

أقام أوبنهايم في مسقط مدة قصيرة ثم غادر الخليج العربي على متن الباخرة بمبا متوجهاً الى جوادر[٢] على ساحل مكران، إلا أنه فضل البقاء في الباخرة، وسجل معلوماته حول جوادر بوصفها مدينة بائسة يمتهن سكانها صيد الأسماك، وعندما وصل الى كراتشي ودع اوبنهايم موظفي الباخرة ليكمل طريقه براً عبر الاراضي الهندية، فكان في استقباله القنصل الالماني (تولة)، ومدير تلغراف الخليج بوسمان (Bosman) [٣]، الوكيل السياسي الألماني في جنوب بلوشستان، وبذلك تكون رحلة اوبنهايم قد وصلت الى نهايتها[٤] .

ثانياً: **نهاية رحلته والعودة الى ألمانيا ١٨٩٤م**:

أكمل أوبنهايم طريقه الى بومباي براً، عبر الأراضي الاسلامية في شمال الهند، ثم بحراً من ميناء بومباي الى زنجبار، والتقى حاكمها علي بن سعيد (١٨٩٠-١٨٩٣) وسلمه رسالة من إبن عمه فيصل حاكم مسقط، ومن زنجبار إنتقل الى (اوسمبرة) المستعمرة الألمانية في شرق افريقيا والتقى هناك حاكم المستعمرة البارون (فون شيله) الذي سهل مرور اوبنهايم الى المناطق

---

(١) للتفاصيل عن مساكن مسقط وأسواقها وسكانها، وتجارتها والملاحة فيها، ينظر:
اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ص ص ٥٢ -٥٧.

(٢) جوادر: ميناء يقع على الساحل الغربي لبلوشستان التابعة إدارياً لإقليم مكران الباكستاني، كانت جوادر خاضعة للحكم العماني العربي (١٧٩٧-١٩٥٨). للمزيد ينظر:
عبد الله سراج عمر، جوادر بين السيادة العمانية والتنازل عام ١٩٥٨: دراسة وثائقية، مج٨، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٠، ص ص ٨- ٢٤ .

(٣) بوسمان: تولى منصب مدير تلغراف الخليج مرات عديدة، المرة الاولى كانت من ٩ نيسان ١٨٩٠- ٨ تموز ١٨٩٠، والثانية من ١٣ آيار ١٨٩١ الى ٢٨ تشرين الثاني ١٨٩١م، والمرة الثالثة من نيسان ١٨٩٣م الى ٦ نيسان ١٨٩٦م، للمزيد ينظر:
لوريمر، المصدر السابق، ص ص ٣٩٣٦- ٣٩٣٧ .

(٤) اوبنهايم، رحلة الى مسقط عبر الخليج، ص ١٣٩ .

الداخلية فيها ومن خلال عمله البحثي واهتمامه بالنباتات [١]، تأكد له أن الغابات الرائعة في المستعمرة الالمانية تفوق في جمالها ما رآه في حياته وأن خصوبة الأرض هناك وكثافة الغطاء النباتي لا تقل أهمية عما هي عليه في الهند وبلاد ما بين النهرين[٢] .

وصل اوبنهايم الى القاهرة في طريق العودة قادماً من أراضي شرق إفريقيا الالمانية وقد التقى هناك، بقائد سوداني يدعى زبير باشا [٣]، شعر الحكام المصريون بخطر نفوذه فقاموا باستدراجه الى القاهرة وفرض الاقامة الجبرية عليه، وقد حصل منه اوبنهايم على معلومات مهمة حول أحد معاونيه الميدانيين واسمه رابح[٤] كان قد رفض الاستسلام للمصريين ورحل مع عدد كبير من جنوده وعائلاتهم باتجاه المناطق الواقعة الى الغرب من نهر النيل، وعندما عاد اوبنهايم الى ألمانيا كتب تقريراً حول رابح وحول معلومات أخرى عن منطقة بحيرة تشاد [٥]، وعن الطريقة

---

(١) اهتم اوبنهايم بجمع النباتات الصيفية وتجفيفها أثناء مروره في سورية وبلاد ما بين النهرين، ووضع فهرساً بأنواعها، و الأسماء العربية المعتمدة في أماكن وجودها والأغراض التي تستعمل لها تلك النباتات، للمزيد ينظر: اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج ٢ ، ص ٤٣٧ .

(٢) اوبنهايم، رحلة الى مسقط عبر الخليج، ص ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) الزبير باشا رحمة (١٨٣١-١٩١٣): ولد هذا الزعيم السوداني في ٨ تموز عام ١٨٣١م في جزيرة واواسي شمالي الخرطوم، كانت السودان في ذلك الوقت خاضعة لحكم محمد علي باشا والي مصر، ونشأ الزبير نشأة علمية، كما عمل في التجارة في جنوب السودان وقام برحلات كثيرة الى بلاد غريبة منها بلاد قولو وبلاد النيام نيام عام ١٨٥٨ م لكثرة خيراتها وخاصة العاج، كافأته حكومة الخديوي اسماعيل المصرية على ولائه لها وخدماته، بمنحه لقب بك وتوليته أمر مديرية مناطق بحر الغزال وشكا عام ١٨٧٤م، للمزيد من التفاصيل ينظر :
عز الدين إسماعيل، الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م .

(٤) رابح (١٨٤٢-١٩٠٠): زعيم سوداني، ولد في الخرطوم وعمل في سلاح الفرسان المصري(غير النظاميين)، قاوم الاستعمار الاوروبي في أفريقيا، وأقام مملكة إسلامية في تشاد متخذاً من ديكو عاصمة لها، للمزيد ينظر:
محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: التاريخ المعاصر شرقي افريقيا، ج١٦، ط٢، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٣٤.

(٥) أصدر اوبنهايم كتابه(رابح ومنطقة بحيرة تشاد) باللغة الالمانية (Rabeh Und Das Tschadseegebiet) في برلين عام ١٩٠٢، أشار في مقدمة الكتاب الى جانب المعلومات التي جمعها عن رابح وبحيرة تشاد خلال بعثته عام ١٨٩٤م، أنه منذ عام ١٨٩٦م وبعد أن أصبحت القاهرة مكاناً لمراقبة كافة العالم الاسلامي ومن خلال التعامل مع عناصر من مختلف البلدان الافريقية، فقد حصل على أنباء فورية عن الأوضاع الداخلية في منطقة بحيرة تشاد، وعن أخبار سابقة بشأن قوة رابح، الذي كان قادراً في غضون سنوات قليلة على إنشاء امبراطورية تمتد من حدود منطقة المهدية في أعالي النيل حتى سوكوتو الكبرى واتسعت في الجنوب حتى الكونغو تقريباً وانتهت في شمال وداي والصحراء، كما ذكر في المقدمة أن الكثير من معلومات الكتاب قد حصل عليها أثناء وجوده في القاهرة من التجار المسلمين والحجاج الى مكة المكرمة، والمجموعات القادمة من وسط افريقيا الى القاهرة للدراسات الدينية في الأزهر الذي يعتبر أكبر جامعة دينية في العالم الاسلامي، أو الذين يبحثون في أمور=

الصوفية السنوسية التي لم تكن على قدر كبير من الأهمية الدينية وحسب بل كانت مهمة جداً من الناحية السياسية أيضاً [١] .

ومن الواضح أن تقارير الرحلة والتقارير التي تتعلق برابح ومنطقة بحيرة تشاد قد حظيت بإعجاب وتقدير كبيرين في ألمانيا ولاسيما في وزارة الخارجية التي قررت الإستفادة من خبرته لتحقيق مصالحها وتوسيع نفوذها الاستعماري في افريقيا، ونتيجة لأهمية تلك التقارير عرضت وزارة الخارجية عليه ترأس بعثة الى عمق أراضي الكاميرون تكون مهمتها تثبيت النفوذ على المنطقة الواقعة بين الكاميرون و بحيرة تشاد لصالح المانيا، وهذا يدل على تغير موقف وزارة الخارجية حول اوبنهايم فقد أثبت بتقاريره ونشاطه الداعم للنفوذ الالماني في البلاد الاخرى، بعد نظرته لمصالح الامبراطورية، فما كان من الخارجية إلا دعم جهوده وتكليفه ببعثة دبلوماسية رسمية[٢] .

وافق اوبنهايم على قيادة البعثة وكان من المقرر أن يرافقه فيها عدد من الشخصيات الالمانية، منهم غراف تسيش(Graf Tciec) (صار لاحقاً حاكماً لمستعمرة توغو الالمانية)، وفون سيفريد(Von Svrid) الذي قام بالمسوح الجغرافية في غرب أفريقيا بتكليف من المكتب الإستعماري الالماني، والدكتور فولهبورن(Wohlhporn) (مدير المعهد الصحي الالماني في هامبورغ لاحقاً)[٣].

لكن بعثة اوبنهايم تعطلت لأن رابح إستغل التنافس الاوروبي الفرنسي البريطاني الالماني على تلك المناطق وانطلق حسب وصف اوبنهايم كأنه (نابليون أسود) في مسيرة انتصارات قادته

= السحر بقصد الشفاء أو تعلم فنون الكهانة في أرض النيل، كما إستقى الكثير من معلومات الكتاب من المستكشفين الألمان في وسط افريقيا، وبالنسبة للمعارك التي خاضها رابح وابنه فضل الله ضد الفرنسيين فقد تمكن اوبنهايم من استخدام المعلومات الواردة في تقارير البعثات الفرنسية الى تشاد، للمزيد ينظر:

- Max Von Oppenheim, Rabeh Und Das Tschadseegebiet , Dietrich Reimer Verlag, Berlin , 1902 .

(١) اوبنهايم، البدو ، ج١ ، ص ٥٤ .

(2) M.Mckale, Op. Cit , p. 11 .

(٣) اوبنهايم، البدو، ج١ ، ص ٥٤ .

من السودان المصري إكتسح خلالها الاراضي الواقعة جنوب الوادي وممالك باغيرمي وبرونو الافرقيتين، لكن سيطرة رابح هناك كانت قصيرة العمر اذ سقط في معركةٍ ضدَ الفرنسيين وانهارت المملكة التي أسسها وعند اقتسام مملكته على يد القوى الاوروبية، استغلت ألمانيا بعثة اوبنهايم التي كانت مستعدة للانطلاق، لضمان حصتها من تلك المملكة، وقد تمكنت بعثته فعلاً منتصف عام ١٨٩٤م من تثبيت النفوذ الالماني في ما يسمى قبعة أو ممر كابريفي(Caprivi) [١] بوصفها مستعمرة كاميرونية لصالح المانيا وذلك بالتنسيق مع السلطات البريطانية وخبرائها المتواجدين هناك، وضمت تلك المستعمرة أقساماً واسعة من باغيرمي و برونو مع منفذ الى بحيرة تشاد[٢] .

ثالثاً: **رحلة اوبنهايم الى استانبول عام ١٨٩٥م** :

ذهب اوبنهايم عام ١٨٩٥م إنطلاقاً من ألمانيا في رحلة الى استانبول وفيها سُمح له بلقاء السلطان عبد الحميد الثاني بشكل خاص [٣]، مما يعني إعتراف السلطان به كمستشرق و مبعوث ألماني رسمي حيث استقبله جمهور غفير عند وصوله الى استانبول وقام السلطان باستضافته في قصره [٤] .

إستطاع اوبنهايم خلال وجوده في استانبول أن يبني علاقات جيدة مع السلطان ونال إهتمامه وثقته، لاسيما عندما ذكر رحلته الى ديار شمّر ولقاءه زعيمها الشيخ فارس وعلاقة الخوة والصداقة التي جمعت بينهما، ذاكراً مديح وتمجيد وإحترام الشيخ لشخص السلطان، بوصفه خليفة

---

(١) ممر كابريفي: ويمتد على طول نهر شوبي في جنوب غرب افريقيا، ويربط الممر جنوب غرب أفريقيا الالمانية بنهر الزمبيزي عبر الممتلكات البريطانية، وقد سمحت بريطانيا لألمانيا بالحصول عليه تنفيذاً لاتفاقية ١تموز ١٨٩٠، في عهد المستشار الالماني جورج ليوبولد فون كابريفي (١٨٩٠- ١٨٩٤م) وبموجب الاتفاقية تخلت المانيا عن مطامعها في زنجبار والساحل الشرقي من ويتو الى قسمايو، مقابل اعتراف بريطانية بالسيادة الالمانية على جزء من شرق افريقيا يمتد من بحيرة فكتوريا الى أراضي الكونغو ومن بحيرة نياسا الى بحيرة تنجانيقيا، ينظر:
إلهام محمد علي ذهني، بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٣٩٦ ؛ سنو، المصدر السابق، ص٢٠١ .
(٢) اوبنهايم، البدو، ج١، ص ٥٥ .
(٣) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج١ ، ص ٨.
(4) M. Mckale , Op. Cit , p. 11 .

المسلمين وولي أمرهم، وقد استأنس السلطان عبد الحميد لسماعه ذلك الحديث، لأنه يعلم أن أبناء الصحراء شأنهم شأن أغلب العرب يكرهون الحكم العثماني من صميم قلوبهم ويحتملون سيطرته عليهم مكرهين [١].

التقى اوبنهايم في مجلس السلطان عبد الحميد الثاني، الشريف حسين بن علي[٢]ونجله الأمير فيصل، وارتبط مع عائلة الشريف بعلاقة طيبة، وخلال مدة إقامته في استانبول كان يتردد على قصرهم وهناك توثقت علاقته بعدد من الشخصيات العربية ومنهم، عزت باشا العابد[٣]، أحد مؤسسي مشروع سكة حديد الحجاز[٤]، والشيخ أبو الهدى الصيادي، من أصحاب الرأي المقربين للسلطان، الذي كان شأنه شأن عزت باشا و أدى دوراً مهماً في الباب العالي[٥].

---

(١) اوبنهايم، البدو، ج١، ص ص ٥٥-٥٦.

(٢) الشريف حسين (١٨٥٣-١٩٣١): ولد في استانبول، ثم عين جده محمد بن عبد المعين للمرة الثانية أميراً على مكة المكرمة، فغادروا الى الحجاز، وبقي الحسين بن علي في مكة منكباً على طلب العلم، دعاه السلطان عبد الحميد الثاني، الى استانبول لخدمة الدولة، فقد عينه عضواً في شورى الدولة، لكن هناك رأي يقول بأنه أُخذ الى استانبول نفياً وتغريباً بناءً على معارضته لسياسة الظلم بالحجاز وأخذ الاموال الطائلة من الحجاج بشتى الأسباب، تلك السياسة التي اختطها ولاة الحجاز والأمير عون الرفيق، واستمرت إقامته في استانبول ستة عشر عاماً (١٨٩٣ – ١٩٠٨م)، للمزيد ينظر :
أسامة يوسف شهاب، الاتجاه الاسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، مركز اللغات – الجامعة الاردنية، ١٩٩٥م، ص ص ٤٢- ٥٧ .

(٣) عزت باشا العابد (١٨٥٥-١٩٠٨): ولد في دمشق وتعلم هناك على بعض كبار العلماء ودرس النحو والفقه وأصول الحديث، وتعلم مبادئ اللغتين التركية والفرنسية وتقلد العديد من المناصب القضائية، وفي عام ١٨٩١م أصبح عضوا لدائرة التنظيمات في مجلس شورى الدولة وفي عام ١٨٩٥م عينه السلطان عبد الحميد الثاني أمين سر له ثم عهد إليه بعضوية جميع اللجان المالية وعينه رئيس للجنة المهاجرين إلى الدولة العثمانية، وأمين سره، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٠٨، للمزيد ينظر :
فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية ، ج٢ ، دار صادر، بيروت، ١٩١٣، ص ص ٢١٥-٢٢٠.

(٤) فكر السلطان عبد الحميد بإنشاء مشروع سكة حديد الحجاز، وكان المشروع بمثابة أحد أمنياته وقد أشار إلى ذلك بقوله " كان انشاء الخط الحديد الحجازي أحد أمنياتي منذ زمن فبدأت هذه الامنية بالتحقق"، وكان يهدف من وراء إنشاء السكة تحقيق العديد من الاهداف منها تعزيز قوة الدولة واظهار قابليتها على التطور والتجديد وتحقيق أهداف سياسية وعسكرية كبيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، فضلاً عن تحقيق التضامن الاسلامي، ومن جهة أخرى استهدف المشروع، تخفيف الأعباء والمشاق التي كانت تعترض حجاج بيت الله الحرام أثناء ذهابهم وإيابهم من دمشق إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، ومنها التعرض الى هجمات البدو التي تلحق بهم خسائر كبيرة في الأموال والأمتعة، والترويج لمشروع الجامعة الاسلامية بين الحجاج، للمزيد ينظر:
طالب عبد الغني جار الله الجبوري، مشروع سكة حديد الحجاز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م ، ص ص ٢٩ - ٣١.

(٥) اوبنهايم، البدو، ج١، ص ٥٧ .

تكررت زيارة أوبنهايم إلى قصر السلطان عبد الحميد فقد طلب منه السلطان معاودة تلك الزيارة طيلة وجوده في استانبول، وهذا ما التزم به اوبنهايم بانتظام[١]، كما أن اهتمام السلطان به كان واضحاً من خلال تقديمه لرجال الدولة، والتباحث معه حول تشييد سكة حديد الحجاز، وما تقديمه الى عزت باشا وأبو الهدى إلا حرصاً واهتماماً بتوثيق العلاقات الاقتصادية مع المانيا، من خلال وضع خطط مشتركة لتنفيذ المشاريع، لاسيما أن اوبنهايم امتلك تصوراً كاملاً حول طبيعة الولايات العثمانية، من خلال رحلته وتجواله في أرجائها، ما جعله يضع مقترحات حول إمكانية ربط أراضي الدولة العثمانية بأراضي الامبراطورية الالمانية، من خلال تنفيذ مشروع سكة حديد برلين – بغداد، وقد شجع السلطان المشروع، مبدياً ثقته بأوبنهايم، وبمهمته التي يؤديها في تطوير العلاقات بين الدولتين.

بلغت مكانة أوبنهايم من الأهمية لدى السلطان عبد الحميد الثاني درجة كبيرة إستطاع معها أن يمارس اهتماماته البحثية ودراسته لطبيعة العلاقة بين الحكومة العثمانية وبين رعاياها بتنوعهم القومي و الديني والمذهبي، وتباين هذا التنوع من حيث العادات والتقاليد، كما زاد اطلاعه على سياسة الحكومة العثمانية المتبعة تجاه القبائل من أجل ترسيخ مفهوم مركزية الدولة بينهم وإذابة النظام العشائري، ومن أبرز خطواتها في ذلك المجال قيام السلطان عبد الحميد الثاني بإطلاق فكرة إنشاء مدرسة العشائر (عشيرت مكتبي) ١٨٩٢م، والإهتمام بها شخصياً، وهدفها الرئيسي حمل القبائل البدوية على المدنية و التحضر[٢]، تمشياً مع أهداف السلطان في غرس الثقافة العثمانية لدى أبناء شيوخ القبائل بوصفهم زعماء قبائل المستقبل [٣] .

ومن أجل تطبيق فكرة مدرسة العشائر، حرص السلطان عبد الحميد الثاني على صياغة مجموعة أساسية من الأنظمة، وتحديد المنهاج المتبع في الأعوام الأولى من مراحلها الدراسية الخمس، وتمت الموافقة على ذلك من قبل مجلس وزراء الدولة العثمانية في نهاية شهر تموز

(١) أوبنهايم، البدو، ص ٥٦ .
(٢) أوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ص ٧٨ .
(3) Murat Ozyuksel, The Hejaz railway and Ottoman empire , I. B. Tauris , London, 2014 , p. 55 .

١٨٩٢م، وأُختير قصر أسما سلطان (Esma Sultan Saray) في مقاطعة كبطاش (Kabatas) إحدى ضواحي استانبول ليكون مقراً للمدرسة، وخمسة بيوت متجاورة في المقاطعة ذاتها، سكناً للطلبة، وقد عكست بعض مواد التنظيمات الخاصة بالمدرسة البرنامج الكامن وراء تحقيق ولاء رجال القبائل للدولة، فقد حرص النظام على تعلم اللغة العربية والعثمانية، وتدريس مواد دينية تدعو الى طاعة السلطان بوصفه ولي أمر المسلمين وخليفتهم، ولضمان ولائهم تم اتباع أسلوب التلقين، فقد نصت تلك المواد على :

" **إن الهدف الأساسي من إنشاء المدرسة جاء من أجل تمكين أبناء القبائل من المشاركة في الازدهار المنبثق من المعرفة والثقافة، وإلى مضاعفة معرفتهم بالميل الفطري نحو حب الخلافة الاسلامية العظيمة، والسلطنة العثمانية المعظمة، فضلاً عن تقوية وتعزيز الولاء الجدي تجاه الدولة والواجبات الدينية الملقاة على عاتقهم من خلال الشريعة والقوانين المدنية ... وعند الانتهاء تسلم الشهادة، ومن ثم عودة الطلبة إلى قبائلهم، فإنهم سوف يعملون بصفتهم معلمين في المدارس التي يعتزم فتحها في بيئاتهم، أو في بعض من الخدمات المناسبة التي سيغدو تأجيرها وفقاً للخدمات المدنية التي تتولاها الدولة** " [١] .

ونتيجة لإهتمام السلطان عبد الحميد الثاني بتطوير المدرسة فقد شكلت نموذجاً حياً وواضحاً لمعرفة المعضلة العشائرية الحكومية، طُبق من خلالها تلقين رجال القبائل قيم الدولة عبر التعليم الرسمي، فقد هدفت الحكومة العثمانية إلى نقل هذه القيم الى مجتمعات الخريجين وقبائلهم لتحظى بالمقبولية من خلال الطرح الأمثل وأسلوب الإقناع، الذي سبق وأن قاوموه حتى ذلك الوقت حينما أُكرهوا عليه والمتمثل بالخضوع للأمر القانوني الذي تمثله الدولة [٢] .

ولم يتوانَ السلطان عبد الحميد الثاني عن تطوير مدرسة العشائر وتوفير المستلزمات الضرورية لطلبتها وإدخال المناهج العلمية فيها كالقرآن الكريم والحساب والجغرافيا واللغات وأبرزها

(١) نقلاً عن: يوجين ال. روغان، مدرسة العشائر في اسطنبول: (مدرسة السلطان عبد الحميد الثاني للعشائر ١٨٩٢ – ١٩٠٧م)، ترجمة وإعداد : نهار محمد نوري، دار الوراق، لندن، ٢٠١٤م ، ص ص ٢٤ - ٢٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ص ٨٢ - ٨٣ .

اللغة الفرنسية [١]، كما لم يقتصر هدفه على أن تنال تلك المدرسة استحسان العشائر لإرسال أبنائها إليها فقط، بل توخى من إهتمامه بها أهدافاً أخرى أبرزها لفت انتباه أوروبا الى التقدم الذي أحرزته الدولة العثمانية في عهده وتقدم العلم والتعليم، ومن أجل تحقيق ذلك فقد أوعز السلطان إلى مصوره الخاص عبد الله فريرس بالتقاط صورٍ للطلبة كجزء مما سمي (الصور السلطانية الخاصة)، حيث قام السلطان عبد الحميد بتقديمها بوصفها هدية إلى المكتبات الوطنية في فرنسا والولايات المتحدة الامريكية، وبريطانيا، ومن الغريب أن بعض الصور التقطت للطلاب وهم يرتدون زيهم العربي المحلي، بينما التقطت صور أخرى لمجموعة من الطلبة أمام مدرستهم مرتدين زيهم المدرسي ذا النمط الاوروبي والمكون من المعاطف الطويلة التي تصل لغاية الفخذ مع خمسة أزرار مثبتة بإحكام لغاية الرقبة وتغطي البنطلون المتكون من القماش الداكن ذاته، فضلاً عن رمز الأفندي الممثل بالطربوش (غطاء الرأس)[٢] .

لذلك استغل السلطان عبد الحميد الثاني وجود اوبنهايم في استانبول عام ١٨٩٥م وطلب منه شخصياً زيارة المدرسة [٣]، بوصفه أحد مبعوثي الحكومة الألمانية نظراً لما اشتهر به اوبنهايم من اهتمام كبير بالشرق وتطوراته ولا سيما الدولة العثمانية ومواطنيها، كما عُرف عنه تصويره للأماكن التي مر بها والآثار التاريخية التي شاهدها، لذلك فهو الشخص الملائم لنقل الصورة الجيدة الى الحكومة والرأي العام الألماني عن التقدم الذي شهدته الدولة العثمانية وخطواتها الإصلاحية نحو التحضر ونبذ الحياة البدوية، مما يؤدي الى تعزيز الثقة الألمانية بمساعي السلطان عبد الحميد الرامية الى تعزيز التعاون الاقتصادي والثقافي بين الدولتين .

زار اوبنهايم مدرسة العشائر ودون ملاحظاته عنها، فقد وجد أن كل شيء فيها يدل على النظافة والنظام، و أنها تتحمل جميع مصاريف الطلبة بما في ذلك مصاريف العودة الى مواطنهم في العطل، وتوفر العناية التامة أثناء السفر وتخصص لهم وحدة عسكرية للمرافقة، كما تمكن أوبنهايم من الاطلاع على مناهج المدرسة وهي اللغة العثمانية، والجغرافيا، والتاريخ لاسيما تاريخ

(١) روغان، المصدر السابق، ص ١١١ .
(٢) المصدر نفسه، ص ص ٤١ - ٤٢ .
(٣) اوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ص ٧٨ .

الدولة العثمانية، وعلوم الحساب، والدين، ورأى بأن الهدف الأساسي للمدرسة يتمثل في تربية الطلبة تربية تجعل منهم أتباعاً طيبين للسلطان، وتعلمهم الأدب، والنظام عسى أن يتعودوا هذه الصفات ويحبوها، ويساهموا في تحضر أبناء قبائلهم عند رجوعهم الى أوطانهم، ورأى أوبنهايم أن محاولات التوطين والتعليم التي تقوم بها الدولة العثمانية تشمل أوجهاً إيجابية [١] .

كما توصل اوبنهايم الى عدد من الآراء والمقترحات حول سياسة الحكومة العثمانية تجاه البدو، ومن المرجح أنه طرح تلك الآراء على السلطان عبد الحميد الثاني خلال زياراته المتكررة الى قصره، ومن أبرز آراءه، هو أن تركز الحكومة العثمانية في سياستها تجاه البدو على اتخاذ الإجراءات العسكرية الحازمة ضد غزوات البدو الرحل، لحماية المستوطنات المستقرة عند أطراف الصحراء وسفوح الجبال وعلى الأنهار والجداول، وأن تعمل الحكومة العثمانية على تحرير تلك القرى من دفع (الخوة) والاتاوات وأن تحمي القوافل المتحركة سلماً في الصحراء من الابتزاز والنهب[٢] .

كما أكد على ضرورة توسيع الأراضي الصالحة للزراعة، حتى لا تبقى لأولئك الذين يتشبثون بالحياة البدوية إلا البراري الجرداء، وبعدما يتم تطويقهم من كل جانب سيتضح إذا ما كانوا يستطيعون العيش على تربية الماشية وترك الغزو والسلب، ويضطرون في النهاية للعمل في الزراعة، أو الإنسحاب والرجوع الى الأماكن التي جاؤوا منها، وهي صحاري شبه الجزيرة العربية[٣].

وبعد عودته من استانبول كرر أوبنهايم محاولته من أجل الحصول على عمل في السلك الدبلوماسي الألماني بعد أن شعر بأن الرحلات العلمية التي قام بها والتقارير التي كان يرفعها عن أوضاع بلاد الشرق والاسلام ومساعيه الحثيثة لخدمة ألمانيا يمكن أن تساهم في تغيير موقف وزارة الخارجية تجاهه، كما استمر موقف البعض المساند له يشكل عاملاً مهماً في إصراره على تحقيق طموحه ذاك، فقد كان هاتزفلد الكاثوليكي لديه ميل أكثر من هولشتاين و بسمارك البروتستانتيين

(١) اوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ص ص ٧٨ - ٧٩ .
(٢) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
(٣) اوبنهايم، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة ، ص ٨٠ .

للنظر الى اوبنهايم بوصفه أخاً كاثوليكياً وليس النظر الى أصله اليهودي، كما رأى بأن الحركة السائدة المعادية لليهود ما هي إلا جنون، وقد عزز هاتزفلد موقفه عندما كرر في أواخر عام ١٨٩٥م محاولته لمساعدة اوبنهايم حينما بعث رسالة الى المستشار الألماني الجديد فون هوهينلوه (Prince von Hohenlohe)[١]، أكد فيها على أن الأعوام التي قضاها اوبنهايم في الرحلات والبحث، ودراسة أجزاء مهمة من العالم العربي والاسلامي تستحق التقدير والإعجاب، ووقف بوجه الاعتراضات التي صدرت من قبل بعض الدبلوماسيين تجاه اوبنهايم بسبب أصوله اليهودية، وقد اقترح هاتزفلد منحه موقعاً وظيفياً في السلك الدبلوماسي كملحق مؤقت في إحدى القنصليات الألمانية في الشرق، وبوصفه سفيراً في لندن آنذاك كان هاتزفلد يعلم بدقة عن علاقة البريطانيين والفرنسيين وتنافسهم في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ولاسيما في مصر [٢].

وبما أن هاتزفلد كان مقتنعاً بشكل تام بمعرفة اوبنهايم بالثقافات العربية والاسلامية وعلاقاته مع الكثير من المسلمين، فقد رأى بأن تعيينه في مصر سيخدم كثيراً وزارة الخارجية الألمانية ويؤدي الى تضاعف دورها هناك بشكل قيم ويجعلها محيطة بجميع المعلومات المهمة التي تجعلها أكثر تحكماً وقوة، وبعد كل تلك المحاولات وعلى الرغم من أن الحركة المعادية للساميين اليهود كانت مترسخة في دوائر الحكومة الألمانية آنذاك، لكنها لم تستطع منع اوبنهايم من الوصول الى طموحه في الحصول على الوظيفة الدبلوماسية، فقد تم تعيينه عام ١٨٩٦م بوصفه عضواً مؤقتاً تابعاً للقنصلية الألمانية في القاهرة ولم يحصل على منصب ذو مستوى دبلوماسي كامل [٣] .

---

(١) هوهينلوه: أصبح رئيس وزراء بروسيا ووزير لخارجيتها ١٨٦٦م، وشغل منصباً في السلك الدبلوماسي فأصبح في عام ١٨٧٤ سفيراً لألمانيا في باريس، واستمر فيه حتى عام ١٨٨٥م، ثم أصبح حاكماً لمقاطعتي الالزاس واللورين حتى عام ١٨٩٤، وتم تعيينه رئيساً لوزراء ألمانيا في عام ١٨٩٤ خلفاً لكابريفي، تميز حكمه بتطبيق ألمانيا السياسة العالمية التي حصل من خلالها على المزيد من المستعمرات واستمر في منصبه حتى عام ١٩٠٠، للمزيد ينظر:

حسن زغير حزيم، سياسة التحالفات الأوروبية وأثرها في العلاقات السياسية الأوروبية ١٨٧٩- ١٩٠٨م دراسة تاريخية في الدبلوماسية الاوروبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٨م ، ص ٢٤ .

(2) Gossman , Op. Cit , p.p. 34 - 35 .

(3) Ibid, p. 36 .

الفصل الثاني

نشاط اوبنهايم السياسي والآثاري (١٨٩٦-١٩١٣).

- **المبحث الأول**: **دوره في القنصلية الالمانية في القاهرة**.

- **المبحث الثاني**: **دور اوبنهايم الرسمي في مشروع سكة حديد برلين - بغداد والتنقيب في تل حلف (١٩٠٢-١٩١٣)**.

أولاً: **تطور عمل اوبنهايم في القاهرة ونتائجه** .

ثانياً: **التنقيب في آثار تل حلف**.

المبحث الأول: **دوره في القنصليـة الألمانية في القاهرة**:

تم الإقرار في برلين بأن الحكومة الألمانية بصفة عامة ووزارة الخارجية بصفة خاصة لديها معلومات محدودة للغاية عن الدول الناطقة باللغة العربية والعالم الإسلامي بإستثناء الكتب والمقالات العديدة ذات الطبيعة البحثية الخالصة المؤلفة باللغة الألمانية، التي لا تلقي الكثير من الضوء على الأوضاع في دول المشرق [١]، كما رأى مسؤولون في وزارة الخارجية مثل كايزر وهاتزفلد بأن المعلومات الاستخباراتية بخصوص النشاط البريطاني في شمال ووسط إفريقيا لم تكن مرضية، لذلك جاءت المبادرة بإنشاء مكتب أو غرفة معلومات خاصة في القنصلية الالمانية في القاهرة لمراقبة تطورات العالم العربي و الاسلامي، بناء على ذلك فقد كان تعيين اوبنهايم واستلامه لمهام عمله في القاهرة بتاريخ الثاني من حزيران ١٨٩٦م كفيلاً بإنجاز الأنشطة الاستخباراتية المطلوبة للحكومة الألمانية تحت غطاء دبلوماسي[٢].

وقد تم إختيار القاهرة لتكون مركزاً لممارسة تلك الأنشطة نظراً لما تمتعت به المدينة من مميزات، حيث تعتبر من أهم المراكز الدينية في العالم الاسلامي لوجود جامع الأزهر الذي يُعد المرجعية العامة لكثير من المسلمين آنذاك، وموقعها كنقطة انطلاق لغالبية الحجاج سنوياً إلى مكة المكرمة، كما شكلت القاهرة نقطة جذب قوية لها تأثير بعيد على المسلمين في جميع أنحاء العالم، وهي من أكثر العواصم الاسلامية أهمية من الناحيتين، الثقافية والإعلامية وملجأً لكثير من المنشقين الهاربين من الرقابة العثمانية القاسية لاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فأصبحت القاهرة مركزاً لتجمع المسيحيين الانفصاليين السوريين، والشباب المصلحين الإسلاميين، والعلمانيين، والقوميين، فجعلوا من المدينة فضاءً رحباً للخطاب والتواصل في سبيل إنتاج سياسات جديدة وتجديد الأفكار التقليدية ومناقشة أهمية الدين والدولة في عصر السيطرة الاستعمارية [٣] .

---

(١) هيردبي، المصدر السابق ، ص ٢٥٧.

(2) Wilfried Loth und Marc Hanisch, Erster weltkrieg und dschihad, Oldenbourg verlag, Munchen, 2014 , S. 21 .

(3) Ebd , S. 22.

وبدأ أوبنهايم عمله بوصفه عضواً مؤقتاً في القنصلية الألمانية العامة في القاهرة على أن يقوم بتجديد عضويته كل عام ولم يكلف بمسؤوليات محددة ظاهراً أي أنه لم يتمتع بالصفة الرسمية علناً حتى لا يثير شكوك البريطانيين هناك ولكي يتيح له ذلك إقامة العلاقات والاتصالات مع الوطنيين من مصر وخارجها، وليتمكن من إعداد التقارير المختلفة وإرسالها الى برلين، حيث لم يكن ممكناً أن يقوم بتلك الأمور دبلوماسي رسمي ورفيع المستوى من دون أن يثير الريبة لدى البريطانيين ويؤثر سلباً على العلاقة بين ألمانيا وبريطانيا آنذاك، وبالتالي فهو قادر على التحرك وممارسة عمله بحرية، بعيداً عن الشكوك والمراقبة التي يمكن أن يتعرض لها لو قدم نفسه بوصفه موظف دبلوماسي في القنصلية الألمانية، وحول طبيعة مسؤولياته أشار قائلاً:

" **كانت تقاريري إلى وزارة الخارجية الألمانية فريدة من نوعها، كانت مسؤوليتي هي مراقبة جميع التحركات في العالم الاسلامي من قاعدتي في القاهرة، وكان علي أن أنتبه بشدة إلى الأحوال الكائنة وسط السكان الأصليين في مصر، وأن أبذل قصارى جهدي لأحصل على الأخبار عن جميع الإتجاهات، وجميع الأحداث المتعلقة بالمسلمين في كل جزء من عالمهم** "[١].

وإنطلاقاً من تلك المسؤولية قام اوبنهايم في القاهرة بعدة خطوات من شأنها أن تقربه من المجتمع المصري، وتساعده في جذب الشخصيات الوطنية والمؤثرة إليه، بدءاً من مسكنه الذي اتخذه في أحد الأحياء الشعبية في القاهرة فقد عاش حياة بسيطة وليس كما يعيش مبعوثو بريطانيا وفرنسا وغيرهم [٢]، وكانت نقطة الاختلاف بينه وبينهم هي أنهم في الغالب يعيشون في مناطق مغلقة ويتجنبون الاتصال بالمجتمع المصري، أما هو فكان يتحدث مع السكان في المقاهي والأسواق ويزور الأزهر ويبادل المصريين الاحترام [٣]، ولا بد أن نذكر أن تجربة اوبنهايم ومعايشته للمجتمع العربي خلال رحلاته السابقة كان له تأثير كبير ومباشر على سلوكه وتعامله مع أبناء

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit . p. 38 .
(2) Ibid , p. 39 .
(3) Loth, Op. Cit, S. 23 .

القاهرة، فقد أصبح عارفاً بكثير من العادات والتقاليد وطبائع المجتمع، متجنباً العادات المرفوضة، وهذا ما جعله منسجماً مع ذلك المجتمع .

كان أوبنهايم حراً في إختيار موضوعات دراسته وتقاريره ولا يعوقه الروتين الدبلوماسي لذا كان بمقدوره أن يكرس وقته لإنجاز أعمال ذات مستوى أكاديمي رفيع للغاية، و خلال العام الاول الذي أمضاه في القاهرة، اهتم بإعداد نموذج لأبحاثه ودراساته وتجاربه خلال رحلة (١٨٩٣-١٨٩٤)، مفهرساً على الأبجدية بالأماكن والقبائل والشخصيات، داعماً موضوعاته بعدد من الوثائق والخرائط والصور الفوتوغرافية، ويعد هذا العمل من أهم الأنشطة التي كرس لها جهده منذ الأيام الأولى من وصوله الى القاهرة، فقد اتبع عرفاً سلوكياً حينما قدم عمل الرحلة ومجرياتها المكتوبة على شكل مخطوط الى السلطة الالمانية لمعرفة إذا ما كان هناك أي اعتراض على أسس سياسية أو التكتم على بعض المعلومات التي يفضل أن تبقى دون نشر بسبب حساسيات سياسية، فقام بإرسال مخطوط الرحلة والرسوم الإيضاحية الى المستشار الألماني هوهنلوه في برلين[١].

كرس أوبنهايم نفسه لعمله بوصفه مستشرقا ألمانياً وباحثاً أوروبياً، غير أن قلة محدودة من الناس في الدول الأخرى الذين كانوا على القدر نفسه من الإرتباط بالشرق كان بمقدورهم تقويم رحلة أوبنهايم وإدراك نطاق العمل الأكاديمي الذي أصبح شغله الشاغل، كما أن أبحاث أوبنهايم ودراساته الإستشراقية كانت تتميز بالبحث والتدوين الأكاديمي، وهذا ما أعطاها أهمية كبيرة، فقد تميز بأنه لم يقتصر فقط على جمع المعلومات عن البلدان العربية والاسلامية التي زارها سابقاً وإنما كان بمقدوره أن يجعلها في متناول الآخرين ومفيدة لهم من خلال سرد مباشر لروايات رحلاته بشكل أكاديمي يعكس بحث وتوثيق دقيقين، وهذا ما برر حرصه الدائم على العودة إلى العالم العربي، وترحيبه بفرصة ضمه إلى القنصلية العامة في القاهرة مما يجعل أبحاثه أكثر أهمية وجدوى في ردم هوة المعلومات الواضحة في دوائر المسؤولين الألمان حول أوضاع البلاد الشرقية[٢].

(١) هيردبي، المصدر السابق، ص٢٨٧ .
(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٥٧- ٢٥٨.

تلك الأنشطة الأكاديمية لأوبنهايم كانت غائبة عن الموظفين البريطانيين الذين كان عملهم يتضمن جمع المعلومات عن بلاد الشرق وأقاليمه أو الذين تعاملوا بوصفهم دبلوماسيين وسياسيين مع هذا المجال وذلك لعدم قدرة الكثير منهم على قراءة اللغة الالمانية، لذا توجهت أنظار أولئك المسؤولين إلى الدور الغامض الذي يقوم به ذلك المستعرب الألماني الذي كان يستضيف في داره في القاهرة زواراً من العرب و الأفارقة من أصحاب المهن المختلفة من أولئك الذين سافر هو بدوره إلى بلادهم وأقام في القصور والخيام التي أقاموا فيها وتحمل مصاعب جمة وأخطار لا يستهان بها خلال رحلاته [١].

دفعت شكوك موظفي الحكومتين البريطانية والفرنسية في القاهرة لمراقبة تحركات اوبنهايم وتشديد الرقابة على بيته الذي كان مضيافاً للغاية لكسب النخب السياسية والعلمية، وإقامة أواصر الصداقة معهم، ومشاركتهم موائد احتفالاتهم الاجتماعية، وعزز ارتباطه بأفراد الطبقة العليا ولاسيما الوجهاء السياسيون [٢] .

عمل اوبنهايم بكل ذكاء وفطنة في القاهرة، منذ قراره المتعلق بالسكن في حي شعبي، وهذا ما جعله أكثر تحرراً من الالتزامات، وأكثر نشاطاً، فقد استطاع إقامة شبكة علاقات واسعة مع القادة الوطنيين المعارضين للحكم البريطاني والتدخلات الأجنبية في بلادهم، فالتقى كل من الخديوي عباس حلمي [٣]، الذي كان يعلن استياءه من الاحتلال البريطاني وكانت لقاءاته الخاصة بأوبنهايم قد أثارت انتباه المندوب العام البريطاني في مصر اللورد كرومر (Lord Cromer) [٤]،

---

(١) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٥٩ .

(2) Loth, Op. Cit , S. 24 .

(٣) عباس حلمي الثاني (١٨٧٤-١٩٤٤): جده الخديوي اسماعيل، ووالده الخديوي توفيق الذي توفي عام ١٨٩٢فبدأ حكمه تحت اسم الخديوي عباس حلمي الثاني(١٨٩٢-١٩١٤)، كان عمره ١٧عاماً تولى منصبه بتكليف من البريطانيين، حاول انتهاج سياسة إصلاحية، ومقاومة الحكم الأجنبي إلا أن البريطانيين اتخذوا من ظروف الحرب العالمية الأولى فرصة لخلعه عن الحكم، وتوفي بمنفاه في سويسرا، للمزيد ينظر :
عباس حلمي، عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير ١٨٩٢- ١٩١٤، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م .

(٤) اللورد كرومر(١٨٤١-١٩١٧): رجل دولة ودبلوماسي بريطاني، ولد في لندن لأسرة ألمانية الأصل برزت في عالم التجارة البريطانية والمال والسياسة، وقد نشأ وتربى في بلدة كرومر هيل في بريطانيا، وهو الابن =

و التقى مع الوطني والمفكر المصري البارز مصطفى كامل [١]، و الشيخ علي يوسف[٢] رئيس تحرير صحيفة المؤيد[٣]، الذي أخذ يزود أوبنهايم باستمرار بمقتطفات من الصحف العربية، وساعده في إجراء الاتصالات مع وسائل إعلام عربية وإسلامية، و أخذ يطلعه على كتابات صحيفته التي حظيت باهتمام اوبنهايم، ليس لكونها لسان حال اصدقائه المثقفين المصريين[٤] فقط، بل كانت بمثابة النواة المركزية لشبكة علاقاته الفكرية، وغطاءً لخططه الجيوسياسية الهادفة الى تطوير وإستغلال فكرة الوحدة الإسلامية بوجه الحكم البريطاني في مصر [٥]، كما تعرف اوبنهايم على مفوض الباب العالي العثماني في مصر أحمد مختار باشا[٦]، وبسبب كثرة أصدقاءه من

=السادس لأبيه هنري بارنج من زوجته الثانية، وكانت والدته على درجة كبيرة من الثقافة، واستمد منها صفات الثقافة، وقد قضى اثني عشر عاماً من شبابه ضابطاً في سلاح المدفعية التابعة للجيش البريطاني، للمزيد ينظر :
ساري عبد الله شبيب، اللورد كرومر ودوره السياسي في مصر، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت ، ٢٠٠٧م ؛

- H. D. Traill, Lord Cromer a Biography , New York, 1897, p.p. 11-14 .

(١) مصطفى كامل (١٨٧٤- ١٩٠٨): وطني مصري مناهض للاحتلال البريطاني لبلاده، مارس الدعاية الوطنية في اوروبا من أجل استقلال مصر من خلال كتابة المقالات الصحفية وإلقاء الخطب في المحافل الدولية، ورفع صوت مصر في ألمانيا وكسب لها التأييد من الرأي العام، واستطاع التعرف الى شخصيات سياسية وصحفية وقد رحبت به الصحف الالمانية أشد ترحيب، أسس الحزب الوطني المصري أو حزب الجلاء وصار زعيما له، وأسس جريدة اللواء وصدر العدد الاول منها عام ١٩٠٠م ، للمزيد ينظر :
عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، دار المعارف، القاهرة، ط٦، د. ت.

(٢) الشيخ علي يوسف (١٨٦٣-١٩١٣): صحفي ومفكر مصري ولد في محافظة سوهاج، درس في الأزهر، كان رئيس التحرير الأول لصحيفة المؤيد التي أنشأها مصطفى كامل، والتي عنت بنشر أفكار وأخبار حول الأوضاع المصرية، فكانت منبراً حراً لأصحاب الفكر الاصلاحي، وساهمت بنشر الفكر التحرري وتشجيع الحراك السياسي، للمزيد ينظر: عباس محمود العقاد، رجال عرفتهم، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٣.

(٣) صحيفة المؤيد: صحيفة مصرية تأسست عام ١٨٨٩ على يد مصطفى كامل وبرئاسة تحرير الشيخ علي يوسف، من الصحف الوطنية المعارضة لأي تدخل أجنبي في مصر كتب فيها نخبة من المثقفين المصريين امثال محمد عبده وأحمد زغلول والشيخ علي يوسف، واجهت تحدياً من الاعلام الموالي للإنجليز، وتحولت الى صحيفة ناطقة باسم الخديوي عباس حلمي الثاني وواجهت معارضة اللورد كرومر نفسه. للمزيد ينظر:
سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٢٣-٨٢.

(٤) أمثال: محمد عبده، ورشيد رضا، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وقاسم أمين، والأخوين سعد وأحمد زغلول.

(5) Loth, Op. Cit, S. 25 .

(٦) أحمد مختار باشا (١٨٣٢-١٩١٩): قائد عثماني، ولد في بورصة بين مدينتي استانبول وأنقرة، لقب بأحمد الغازي لاستبساله في الدفاع عن أرضروم أثناء الحرب العثمانية الروسية (١٨٧٦-١٨٧٨)، أصبح مفوض الباب العالي العثماني في القاهرة، والصدر الأعظم عام ١٩١٢م، وتوفي في استانبول، للمزيد ينظر:
فؤاد صالح السيد، أعظم الأحداث المعاصرة، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ٢٠١٥، ص ٣٠.

الأوساط الاجتماعية والثقافية والسياسية المختلفة كان الى حد ما الأفضل بين نظرائه الدبلوماسيين في القاهرة حول معرفة ما كان يدور في الأوساط العربية والإسلامية بشكل عام والمصرية بشكل خاص[١] .

ساعدت تلك العلاقات أوبنهايم في إنجاز الكثير من التقارير والمذكرات، التي غالباً ما كانت مسهبة للغاية حول موضوعات بالغة التنوع وعن نطاق جغرافي بالغ الإتساع في العالم الإسلامي و من أبرز ما كتب عنه أوبنهايم تقاريره، (تغير حكام زنجبار، وبعثة بريطانيا الى الحبشة، وتاريخ الدخول العثماني لمصر، ووجهات نظر السنوسيين فيما يتعلق بالخلافة العثمانية، والاضطراب والتمردات في صفوف البدو المصريين الذين أرادوا الهجرة إلى سورية، وتجارة الأسلحة في اليمن، والأوضاع العامة في الصومال)، وقد مثلت هذه القائمة تنوع الموضوعات التي إهتم بها أوبنهايم كما أن معظمها يعطي خلفية تاريخية للتطورات الجارية وقتها في تلك البلاد، وبالنسبة للسلطات الألمانية كان لها أهميتها لفهم القضايا ذات الحساسية على الصعيد السياسي [٢] .

كتب أوبنهايم خلال وجوده في الإسكندرية بتاريخ الحادي والعشرين من تموز ١٨٩٦، تقريراً كان موضوعه "**طموحات الخديوي عباس لإنشاء كيان لعموم العرب يتولى رئاسته** "[٣]، وهو يرى بأن توقعات النتائج التي يمكن انتظارها من هذا المشروع، محدودة لاسيما في مناطق شبه الجزيرة العربية التي يسيطر عليها العثمانيون، وشأن معظم تقارير أوبنهايم فإن ذلك التقرير كان موجهاً الى المستشار الالماني، تماماً كرسائل أي دبلوماسي متمكن، وعادة ما كانت تقاريره توزع على نطاق واسع في وزارة الخارجية، حيث كان أوبنهايم معروفاً على الصعيد الشخصي لعدد

---

(1) Gossman, Op. Cit, p. 39 .

(٢) هيردبي، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣) اختلف الخديوي عباس حلمي عن سابقيه من الأسرة الحاكمة، فقد كان أقرب الى الشعب، معارضاً للاحتلال البريطاني، لذا دعمه الوطنيون المصريون وشدوا أزره، ونتيجة لسياسته وحسن علاقته مع قادة المقاومة المصرية، بعثت الحركة الوطنية مطالبها بالاستقلال، وبدعم وتشجيع من جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده اللذان لعبا دوراً في توعية الشعب وتعبئة شعوره الوطني. للمزيد ينظر:
اسماعيل ياغي و محمود شاكر، تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر: قارة افريقية (٩٨٧هـ-١٤٠٠هـ/ ١٤٩٢-١٩٨٠)، ج٢، ط٤، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦، ص ص ٣٢- ٣٥.

من الشخصيات ذات النفوذ، ومن هنا فإن وجهات النظر التي كان يطرحها حول الشؤون الشرقية والاسلامية كان لها صدى كبير لدى الحكومة الألمانية في برلين[١] .

وإنطلاقاً من مسؤولياته في تغطية الأحداث فقد قرر أوبنهايم القيام بعدد من الرحلات تنطلق من القاهرة بوصفها القاعدة الأساس لعمله، ولأنه لم يعد ذلك المستشرق والباحث المنفرد بل أصبح تابعاً الى القنصلية الألمانية هناك فغلبت على رحلاته الصفة الرسمية، ولم يكن غائباً عن ذهنه مسألة مراقبة السلطات البريطانية والفرنسية لنشاطاته، ومتابعتها لعلاقاته المريبة مع الشخصيات المناهضة للاحتلال الأجنبي والداعية الى الحرية ما جعله أكثر حذراً، متجنباً كل ما يثير الشك، ومن جانبه استطاع كسب ود وصداقة الكثير من العرب المسلمين لصالحه، وأعطى صورة حسنة عن بلاده، ونقل مشاعر العرب ومواقفهم الرافضة للتنافس الدولي في بلادهم إلى الخارجية الألمانية، فكانت تقاريره الى برلين عاملاً مساعداً في فهم خفايا الشرق ورسم الخطط المستقبلية تجاهه .

ومن أبرز تلك الرحلات رحلته الى شرق الأردن عام ١٨٩٧م [٢]، كما زار في العام ذاته فلسطين والتقى ببعض زعماء القبائل العربية هناك بالقرب من أريحا، محاولا دراسة العلاقات بين القبائل، كما انتقل في العام نفسه الى سورية وتمكن خلال إقامته من إنشاء علاقات صداقة مع رجال مثقفين زودوه بمعلومات عن تاريخ وديانات شعوبهم ومنهم شيوخ قبائل الدروز، كما كانت تلك الرحلات جزءاً من مشاريعه العلمية التي سعى من خلالها الى إعداد دراسات شاملة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع العربي مستخدماً أسلوب البحث والتوثيق الدقيقين ومصطحباً الخبراء والمتخصصين، ومستخدماً لآلة التصوير كما في رحلاته السابقة [٣].

(١) هيردبي، المصدر السابق، ص ص ٢٥٩- ٢٦٠ .
(٢) اوبنهايم، البدو ، ج١ ، ص ٥٨ .
(٣) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج٢ ، ص ٩٤ .

ومنذ أن توجهت ألمانيا نحو تعزيز سياستها المسماة " الإندفاع نحو الشرق" [١] والدفاع عن الدولة العثمانية، من خلال قيام الامبراطور الالماني فيلهلم الثاني برحلته التي أحيطت بمظاهر كبيرة من الترحيب والاعلام المسهب، والتي نتج عنها مكاسب إقتصادية كبيرة لألمانيا وتعميق الصلات السياسية بين الدولتين الالمانية والعثمانية، فقد اضطلع اوبنهايم من خلال كتابة التقارير والقيام بالرحلات المتكررة في أرجاء الشرق، الى تعزيز تلك الصلات.

ففي الخامس من تموز عام ١٨٩٨م وقبل قيام الامبراطور فيلهلم الثاني برحلته الثانية الى الدولة العثمانية، أبرق أوبنهايم من القاهرة تقريراً مفصلاً إلى الخارجية الألمانية، وقد اطلع الامبراطور على تفاصيله التي أوضحت طبيعة العلاقات المصرية – البريطانية، وأكدت على ضرورة اعتماد ودعم ألمانيا لفكرة الجامعة الاسلامية [٢]، التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني، والتأكيد على ضرورة الاستخدام الشامل للنفوذ الديني والسياسي الذي يتمتع به السلطان بوصفه خليفة المسلمين وولي أمرهم وله الكلمة العليا عليهم في روسيا والمستعمرات البريطانية والفرنسية، مشيراً الى جانب مهم في العلاقات الروحية التي تجمع بين الخليفة والمسلمين وهو موضوع

---

(١) عندما تولى الامبراطور فيلهلم الثاني الحكم في ألمانيا عام ١٨٨٨م وضع نصب عينيه إخراج ألمانيا من النسق الأوروبي الى العالمي وأن يضمن لها مكاناً تحت الشمس مع كل ما تحمله تلك السياسة التوسعية من احتمالات الصدام المؤكد مع بريطانيا وفرنسا وروسيا، وفي الوقت نفسه كان الكثير من رجال الفكر والاقتصاد الألمان، يؤكدون على أن صراع ألمانيا مع بريطانيا هو الذي سيرفعها الى مرتبة دولة عالمية بعدما كان صراعها مع النمسا وفرنسا قد رفعها الى مرتبة دولة أوروبية كبيرة، وانسجاماً مع تلك السياسة فقد أصبح الحفاظ على الدولة العثمانية من خلال تزويدها بالأسلحة وتسهيل تدفق رأس المال الالماني اليها من خلال المشاريع وتقديم القروض، أصبح ركناً اساسياً في سياسة "الاندفاع نحو الشرق" التي تبناها الامبراطور فيلهلم الثاني وقد تجلى ذلك بوضوح حينما قام بزيارته الاولى الى الشرق عام ١٨٨٩م وارتكزت سياسته على مبدأ "الحفاظ على الوضع الراهن في الشرق"، للمزيد ينظر: سنو، المصدر السابق، ص ص ٤٣- ٦١.

(٢) الجامعة الاسلامية: اعتقد دعاتها أن التخلف الذي أصاب الأمة الاسلامية واستفحال النزعات الاقليمية بينها كان سببه المد الاستعماري والتأثيرات الغربية، وأن السبيل الوحيد لإعادة نهضتها وقوتها يكمن في العودة الى الاسلام والوحدة الاسلامية، ولم تكن من بناة أفكار السلطان عبد الحميد الثاني بل كانت جذورها الاولى تعود الى عهد السلطان محمود الثاني، لكن عبد الحميد الثاني هو أو من تبنى تلك الفكرة واعتمدها سياسة رسمية لدولته، وكان الهدف منها هو العودة الى التمسك بالإسلام من أجل ضمان بقاء الدولة العثمانية على قوتها وعدم انهيارها، والدعوة الى الوحدة لصد الهجمات الغربية الرامية الى اقتسام الدولة العثمانية، وكان هناك العديد من المفكرين والكتّاب ممن تبنوا أفكار الجامعة الاسلامية وأبرزهم المفكر جمال الدين الأفغاني، للمزيد ينظر :
محمد عبد الرحمن العبيدي، المصدر السابق، ص ص ٢٨ – ٣٤ .

"الجهاد" الذي يمكن للخليفة إعلانه في حالة تهديد دولته، وهذا ما يُعد سلاحاً فعالاً يمكن لألمانيا استخدامه في حالة نشوب حرب ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا، وعليه فقد اقترح أوبنهايم تعزيز مواقع الامبراطورية الألمانية في العالم العربي والاسلامي بانتهاجها سياسة بعيدة عن لغة الاستعمار التي انتهجتها الدول الاوروبية الاخرى(١).

كما أشار في التقرير ذاته الى أهمية الطرق الصوفية المناهضة لأوروبا في شمال افريقيا والجزيرة العربية، والحركات الاسلامية مثل حركة المهدي في السودان التي تعمل على تأجيج القبائل نحو التعصب الشديد، و تعمق أوبنهايم كثيراً في تأكيده على موضوع الجهاد قائلاً:

" **إذا كان المسلمون يهيئون أنفسهم ويستعدون للحرب المقدسة، فالجهاد سيكون سلاحاً قوياً يؤدي الى عواقب لا يمكن التنبؤ بها، والإعلان عنه سيجذب المتطوعين والأموال من جميع أنحاء العالم الاسلامي كما حدث في حرب السلطان ضد روسيا (١٨٧٧م – ١٨٨٧م)**"(٢) .

إن الفكرة التي أراد اوبنهايم إيصالها من خلال تقريره، هي أن يقوم الإمبراطور الألماني باستغلال الزيارة المرتقبة الى الدولة العثمانية في سبيل جعل السلطان العثماني حليفاً لألمانيا، وتحقيق نتائج عظيمة لا تقدر بثمن أهمها استخدام إسم السلطان ومكانته الدينية بوصفه خليفة، في إثارة مسألة الجهاد في الأقاليم الاسلامية المستعمرة من قبل أعداء ألمانيا، ومن ثَّم تحريك معتنقي فكرة الجامعة الإسلامية والمجموعات المناهضة لأوروبا من أجل الثورة ضد الإستعمار (٣).

إن تقرير اوبنهايم الذي نحن بصدده من أهم التقارير التي رفعت الى برلين، لما حواه من دراسة معمقة ومفصلة عن الواقع العربي الاسلامي، وطبيعة ارتباط المسلمون بشخص الخليفة العثماني، مما جعل اوبنهايم يستغل تلك العلاقة الروحية الدينية من أجل فسح المجال لحكومة

(1) Treue, W., Op. Cit, p. 52 .
(2) Quoted in: Gossman , Op. Cit , p. 41 .
(3) Ibid, p. 42 .

ألمانيا للتدخل في التنافس الدولي بشكل يختلف عن بقية الدول الأوروبية التي شكلت باستعمارها طوقاً يقيد المسلمين، مما جعلهم ينظرون الى أوروبا نظرة كراهية، فاتخذوا من الوحدة الاسلامية ملاذاً للتخلص من قيودها. لذلك رأى اوبنهايم أن تحقيق التحالف الألماني مع الدولة العثمانية يمكن استخدامه في إقناع السلطات العثمانية في حالة نشوب حرب أوروبية بإعلان الجهاد ضد تلك القوى وطردها من الأراضي الاسلامية [١]، ومن ثمَّ تأخذ ألمانيا مكانها ويكون لها النفوذ الأكبر في العالم الاسلامي سياسياً واقتصادياً، وقد وجدت خططه ومقترحاته ترحيباً واسع النطاق في برلين[٢] واطلع الامبراطور على تلك الطروحات وسرعان ما تبنى مفهوم الجهاد الاسلامي، و أصبح يعبر عن أوبنهايم بـ "جاسوسي المخيف " [٣] .

وترك تقرير اوبنهايم انطباعاً عميقاً للغاية على الامبراطور فيلهلم الثاني وطور وجهة نظره تجاه الدولة العثمانية والسلطان وأهمية المسلمين في إمكانية دعم مصالح ألمانيا وزعزعة مصالح منافسيها، فقرر استخدامه على نطاق واسع في زيارته الثانية الى الشرق [٤]، التي جرت بداية تشرين الأول عام ١٨٩٨، ومرت بمحطات عديدة كانت بدايتها في استانبول حيث تم الترحيب به بصورة بهية من قبل السلطان عبد الحميد الثاني، ثم وصل الى حيفا في الخامس والعشرون من تشرين الأول، ووصل القدس في الثامن والعشرون من الشهر ذاته، وفي الخامس والسادس من تشرين الثاني توقف في بيروت حيث تفقد المؤسسات الألمانية هناك، ثم توجه الى دمشق وزار المسجد الأموي وضريح صلاح الدين الأيوبي كنوع من الاهتمام بتاريخ المسلمين، وفي الثامن من تشرين الثاني ألقى في دمشق خطاباً أمام حشد من العلماء المسلمين قال في جزء منه:

---

(1) Skott Anderson, Lawrence in Arabia: War, Deceit, Imperial Folly and the Making of the Modern Middle east, USA ,2013, p. 292 .

(2) Donald M. McKale, Germany and the Arab Question Before World War I, The Historian, Vol. 59, No. 2, Wiley, New York, 1997, p. 315 .

(3) Quoted in: Anderson , Op. Cit, p. 292 .

(٤) جواد محمد علي رضا، العلاقات العراقية ـ الألمانية ١٨٧١-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٢، ص ٥١ .

" ليتأكد صاحب الجلالة (السلطان) وليتأكد معه الثلاثمائة مليون مسلم الموزعون في شتى أنحاء الأرض، الذين يعتبرون السلطان خليفتهم، إن الامبراطور الألماني هو صديقهم في كل الأوقات " [١] .

ولأن الامبراطور استند في خطابه الى تقارير اوبنهايم وزملائه الدبلوماسيون الألمان وما صاغوه من مخططات ومقترحات تجاه المجتمع العربي والاسلامي في الدولة العثمانية لذا جاء الخطاب منسجماً في الكثير من أجزائه مع طبيعة ذلك المجتمع آنذاك [٢]، وترتبت عليه نتائج مهمة فبعد يومين أبرق السلطان عبد الحميد الثاني الى الإمبراطور وشكره على خطابه، واعتبره دليلاً على الصداقة المستمرة بين الدولتين، كما نتج عن الرحلة تطوراً وازدهاراً كبيراً في العلاقات الاقتصادية الالمانية العثمانية، فقد حصلت الشركات الالمانية على العديد من الإمتيازات كان أهمها مد خط برلين – بغداد، الحديدي بأبعاده الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، كما ضمنت ألمانياً حليفاً مهماً الى جانبها، وهذا ما أكد اوبنهايم على ضرورة تحقيقه [٣] .

بعد حصول الامبراطور فيلهلم الثاني على إذن السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٩٨م لتنفيذ مشروع خط سكة حديد برلين – بغداد الذي كان يؤمل أن يصل في النهاية الى البصرة على الخليج العربي، كان اوبنهايم داعياً بحماس لتنفيذ المشروع لأنه رأى بأن بناء السكة الحديدية، سيكون خطوة رائدة سواء في توسيع السلطة والنفوذ الألماني في الشرق أو في إضعاف الهيمنة البريطانية على التجارة في آسيا وافريقيا، وفي الوقت نفسه لتحسين الحالة الاقتصادية للكثير من القبائل المنتشرة في المناطق التي تمر بها السكة [٤] .

---

(١) نقلاً عن: عبد الرؤوف سنو، المصالح الألمانية في سورية وفلسطين ١٨٤١ - ١٩٠١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) جواد محمد علي رضا، المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٣) سنو، المصالح الألمانية . . .، ص ص ٢٨١-٢٨٦ .

(4) Gossman, Op . Cit , p. 109 .

ومن أجل المباشرة بخطة سكة الحديد، طلب جورج فون سيمنز (George Von Siemens)[١] مدير المصرف الألماني من أوبنهايم الانطلاق في بعثة استكشافية قرر المصرف إرسالها لتحديد أفضل الطرق لمد سكة حديد بغداد عام ١٨٩٩م وكان من الطبيعي أن يسعى المصرف للحصول على مشورة أوبنهايم بوصفه أحد المستشرقين ذوي الخبرة في الشرق الأوسط ويمتلك المعرفة الجغرافية حول صلاحية المدن والأراضي التي ستمر بها السكة، إلى جانب معرفته العميقة بالمجتمعات ومعايشته لها، وهذا ما يمكن استثماره في الترويج لمشروع السكة الحديدية بينهم، فضلاً عن كونه أحد أعضاء عائلة اوبنهايم المصرفية ذات الشهرة الواسعة في دعم المشاريع الألمانية الكبرى ولديه الخبرة والقدرة على التنبؤ بالآثار الاقتصادية الهائلة التي سوف تنتج عن تنفيذ المشروع [٢] .

رفضت وزارة الخارجية الالمانية السماح لأوبنهايم بقبول الطلب ورغبت بأن يبقى بعيداً عن المشروع، كما طلبت منه التوقف عن إصدار كتابات أخرى عن الشرق في تلك المدة، لأنها رأت من غير الملائم السماح لموظف مؤقت في الدائرة السياسية الألمانية بمعالجة قضية مهمة في الشرق مثل قضية السكة الحديدية التي تثير اهتمام كلاً من بريطانيا وفرنسا، واللتان تنظران الى اوبنهايم بعين الشك والريبة، لذا حل محله في رئاسة البعثة شتيمريخ (Stemrich) القنصل الألماني العام في استانبول ورئيس ممثلية ألمانيا التجارية هناك [٣].

أمّا اوبنهايم فقد انطلق في العام ذاته في رحلة بحثية لا تخلو من الغايات الاستخباراتية لصالح القنصلية الألمانية العامة في القاهرة، وقد استغرقت سبعة أشهر تجَول خلالها في دمشق

---

(١) فون سيمنز: كان رئيساً للمجموعة الألمانية الساعية الى الحصول على امتياز بناء سكة حديد الأناضول في عام(١٨٨٧- ١٨٨٨م)، وقد طلب من وزارة الخارجية الألمانية الدعم للحصول على الامتياز، فوافق بسمارك على مساعي الحصول على الإمتياز ودعمه دبلوماسياً، ولكنه حذر سيمنز وأبلغه بأن ألمانيا ليس لديها مصالح سياسية في الشرق ولا تتخلى عن سياسة عدم التدخل في الشرق، وأن هذا الدعم عبارة عن مسألة اقتصادية لا علاقة لها بالسياسة، للمزيد ينظر:
سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٤٢ .

(2) Gossman , Op. Cit , p. 109 .

(٣) اوبنهايم، البدو، ج١، ص ٦٠ .

وحمص وحلب و أورفة[١]، بصحبة عدد من المساعدين و كان في وسعه تلبية رجاء سيمنز بشأن إعطاء رأيه حول أفضل الأراضي لمد السكة الحديدية في المسافة الواقعة بين حلب والموصل، ولقد أسعده الحظ حينما عثر بالقرب من منابع رافد الخابور على موقع أثري يسمى تل حلف [٢] حينما سمع من أحد مرافقيه البدو بأن مدفونات أثرية موجودة هناك فدهش لذلك ولم يهدأ له بال حتى ذهب الى الموقع بنفسه، ويُعد اكتشافه هذا أساس سمعته بوصفه عالم آثار، فقد تمكن من الحصول على امتياز التنقيب في الموقع من الحكومة العثمانية، وكشف خلال ثلاثة أيام عن أثر مميز وهو عبارة عن واجهة قصر ينتمي الى الألف الأول قبل الميلاد [٣]، إلا أن ارتباطه الوظيفي في القاهرة حال دون استمرار عملية التنقيب بشكل كامل [٤].

أعَّد اوبنهايم بعد انتهاء رحلته تقريراً عرض فيه وصفاً للأماكن التي زارها أثناء الرحلة وقدم وصفاً لموقع تل حلف مع بعض المسوح الجغرافية القصيرة والرسوم التوضيحية، وشمل التقرير مقارنة لمختلف الطرق الممكنة لبناء الأجزاء الشرقية من سكة حديد بغداد مع تحليل مزايا وعيوب كل مسار والأثر الاقتصادي المحتمل لاختيار الطرق المناسبة، كما أوضح في تقريره الكثير من المكاسب المترتبة على إنشاء الخط الحديدي ومنها توفر القيمة الاقتصادية حيث الرواسب المعدنية التي من الممكن توفرها مثل النحاس والفحم والنفط، والتي يمكن أن تصبح متاحة للإستثمار التجاري إذا ما استغلت بالشكل المناسب، وشدد على ضرورة أن تكون لألمانيا المشاركة الأكبر في

---

(1) Treue, W., Op. Cit, p. 53 .

(٢) تل حلف: موقع أثري في شمال سورية، على بعد خمسة كيلومترات جنوب غربي رأس العين قرب منبع رافد (الخابور)، على الحدود التركية السورية ويرجع تاريخ آثاره الى الحقبة الممتدة من حوالي (٤٨٠٠ الى ٤٢٠٠ ق.م.)، وتمثل آثاره عصراً من العصور الثقافية التاريخية سماه علماء الآثار (عصر حلف). للمزيد ينظر:
حسين فهد حماد، موسوعة الآثار التاريخية: حضارات- شعوب- أمم- معالم- مدن- عصور-علوم الآثار- حرف- لغات، دار أسامة، عَمان، د. ت، ص ٢١٠ ؛

Renate Gut, Der Tell Halaf und sein Ausgräber Max Freiherr von Oppenheim by Nadja Cholidis and Lutz Martin, Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, Vol. 93, University of Vienna, 2003, S. 257 .

(3) M. V. Seton Williams, the road to the El-Aguzein, Routledge, London, 2011, p. 101 .

(٤) اوبنهايم، البدو، ج١، ص ٦٠ .

هذا العمل الحضاري الكبير، والذي سيفتح أسواقاً جديدة للصناعات الألمانية ويمكنها من الوصول الى منتجات ومواد أساسية لا غنى عنها [١] .

رأى اوبنهايم بأن موقعه الوظيفي صغير جداً ولا يتناسب مع حجم الجهود التي يبذلها في خدمة ألمانيا والامبراطور، لذا سعى للوصول الى طموحاته من خلال لفت انتباه الامبراطور نفسه فكتب تقريراً الى وزارة الخارجية، أكد فيه على الإنطباع الإيجابي الكبير الذي تركته زيارة الامبراطور الأخيرة على المسلمين في سورية، وأن رجال الأعمال الألمان في بيروت ودمشق وحلب قد أكدوا له أن تلك الزيارة وسَّعت من فرص أعمالهم الى حد كبير، وإن إكليل الزهور الذي وضعه الامبراطور على قبر صلاح الدين في دمشق تم حفضه في صندوق زجاجي تخليداً للذكرى، كما تم تصميم لوح تذكاري يخلد زيارته ووُضع في معبد جوبيتير في بعلبك، ما يدل على الأثر البالغ الذي تركته تلك الزيارة في نفوس المسلمين [٢].

نتيجة لذلك حاز أوبنهايم على قدر كبير من الإهتمام بوصفه الدبلوماسي الذي يستطيع الإمبراطور الاعتماد عليه لنشر الدعاية الإيجابية عن ألمانيا في عموم الشرق، وتم تأكيد ذلك الإهتمام حينما حظر اوبنهايم اجتماعاً مهماً في مدينة بوتسدام (Potsdam)، جمع العقول المختلفة من الدبلوماسيين والمفكرين ورجال الاقتصاد الألمان في صيف عام ١٩٠٠م، بتنظيم من القنصل الالماني في القاهرة بول غراف فون مترنيخ (Paul von Wolff Metternich)[٣] فقام الامبراطور بدعوة اوبنهايم الى قصره في برلين لتناول العشاء، فانتهز اوبنهايم الفرصة وعرض عليه عدداً كبيراً من الصور التي التقطها عام ١٨٩٩م خلال رحلته عبر بلاد الشام وما بين النهرين، و كان الامبراطور يستفسر منه، بشأن الاسلام والمسلمين، و بدو الصحراء[٤] ما جعل

(1) Gossman, Op. Cit , p.p. 110 - 111 .

(2) McMeekin, Op. Cit , p. 22 .

(٣) غراف فون مترنيخ (١٨٥٣-١٩٣٤): أصبح سفيراً لألمانيا في لندن من عام ١٩٠١ – ١٩١٢ م ، وكان له دور كبير في المفاوضات والمناقشات العامة مع وزارة الخارجية البريطانية حول سكة حديد برلين- بغداد، ينظر: عماد حمد صالح الجبوري، السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ١٩٠٨- ١٩١٤م دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠١٢، ص ١٥٦ .

(٤) ينظر: ملحق رقم (٧): صورة تبين وجود اوبنهايم مع أبناء القبائل البدوية في خيامهم عام ١٨٩٩.

الامبراطور يتأكد من كفاءته وامكانياته، فقرر مكافأته برفع مرتبته الوظيفية فأصبح مستشاراً رسمياً وعضواً رئيسياً في القنصلية الألمانية في القاهرة، وأصبح ذلك اللقاء تقليداً سنوياً، حيث كان اوبنهايم يذهب كل صيف الى برلين ليروي حكايات الحياة الشرقية، واقتناعاً منه بأنه أصبح المبعوث الشخصي الخاص من قبل الامبراطور الى العالم الإسلامي فقد أصبح نشاطه في القاهرة يأخذ طابع الهوس والاجتهاد الكبير في إعداد التقارير والأبحاث المتنوعة[١] .

وأصبح اوبنهايم أكثر اندفاعاً نحو تطوير تقاريره، فكانت وسط شبه الجزيرة العربية إحدى المناطق التي عقد العزم على اكتشافها، وكانت تلك المنطقة قد أصبحت موضع اهتمام كبير من جانب السلطات البريطانية في الخليج في نهاية القرن التاسع عشر، وكان القتال لا يزال دائراً حول القيادة العليا للعرب في داخل شبه الجزيرة العربية [٢]، ومن المؤكد أن السلطات البريطانية في الهند أرادت أن يكون لها النفوذ القوي على الحكام في تلك الأرض التي تشكل الشواطئ الشمالية الغربية للخليج، ولم يكن من المحتمل أن تنظر بريطانيا إلى زيارة مستشرق ألماني لزعماء وشيوخ عرب خلال صراع القوى الجاري هناك على أنها عمل بحثي محض قصد به أن يخدم الأكاديميين وحدهم وقد سادت مثل هذه الاعتبارات داخل القيادة الألمانية عندما سحبت في خريف عام ١٩٠٠ تصريحاً حصل عليه اوبنهايم لقيادة بعثة الى وسط شبه الجزيرة العربية، على الرغم من الدعم والتشجيع الذي حصل عليه على أعلى مستوى من قبل الامبراطور، لكن وزارة الخارجية استخدمت تحذيرات نقلت إليها من قبل سفارتها في استانبول لتبرير تأجيل مشروع البعثة الى أجل غير محدد،

---

(1) McMeekin, Op. Cit, p. 23 .

(٢) تعاظم الصراع حول الزعامة في شبه الجزيرة العربية بظهور أسر جديدة مثل أسرة آل الرشيد في شمال نجد، وقد أخذت قوتهم بالتوسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إنطلاقاً من مدينة حائل، وأخذوا تدريجياً يواجهون أسرة آل سعود التي نشطت في المنطقة وأصبح لها شأن كبير بعد تحالفها مع محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية المتشددة، وتحول هذا التحالف الى حركة سياسية استطاعت السيطرة على أجزاء مهمة من شبه الجزيرة العربية أبرزها مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبعد تعاظم قوة آل الرشيد أخذت الدولة العثمانية تنظر إليهم بوصفهم قوة بديلة في مواجهة الوهابيين، وبقي الصراع على أشده بين الأسرتين الرشيدية والسعودية بتدخلات بريطانية وعثمانية، للمزيد ينظر :
زكريا كورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ١٧٤٥م – ١٩١٤م، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٠م ، ص ص ٣٣ - ٢٢٨ .

وبناءً على طلب من أوبنهايم قام وزير الخارجية الألماني فون بيلوف **(Von Buelow)**[١] بإبلاغ الامبراطور بأسباب الغاء البعثة الى وسط شبه الجزيرة العربية[٢].

وفي رسالة الطلب نفسها ذكر اوبنهايم العديد من الخطط الأخرى التي كان يرغب في تنفيذها بعد أن أجلت البعثة، ومنها رغبته في دراسة الطائفة السنوسية بوصفها طائفة إسلامية صوفية تتبنى الكثير من الأفكار المناهضة للاستعمار الأوروبي وبالتالي يمكن استغلال تعصبها الديني لصالح ألمانيا، وإعداد التقارير بشأن مسألة الزوار الذين يأتون الى القاهرة من سورية، كما أراد العودة الى الجزء الآسيوي من الدولة العثمانية لدراسة وتهيئة الظروف لصالح مشروع سكة حديد بغداد والترويج له بين العرب والمسلمين [٣] .

وبالفعل أرسل اوبنهايم في نيسان ١٩٠٢ تقريراً حول الحركة السنوسية، الى فون بيلوف، الذي أصبح رئيس وزراء ألمانيا منذ أواخر عام ١٩٠٠، أبرز ما جاء فيه:

" **إن الشكل الذي يتخذه السنوسيون اليوم في إفريقيا يقترب الى حد بعيد من المهدية . شيخ السنوسيين ينظر إليه من قبل أتباعه على أنه المهدي المنتظر الذي وعدوا به، ووفقاً لنبوءة قديمة ان المهدي الحقيقي يجب ان يسبقه النبي الكذاب ...**" [٤].

وتأكد لأوبنهايم ذلك المعنى بصورة أكثر وضوحاً بعد وفاة الشيخ السنوسي في آيار ١٩٠٢، وقيام زعيم الجماعة السنوسية الجديد أحمد الشريف [٥] بزيارته في منزله في القاهرة،

---

(١) فون بيلوف (١٨٤٩ – ١٩٢٩): شغل منصب وزير خارجية ألمانيا للمدة (١٨٩٣م – ١٩٠٠)، كان من المدافعين عن سياسة الاندفاع نحو الشرق، والحفاظ على سيادة الدولة العثمانية التي تبناها القيصر فيلهلم الثاني، وفي رسالة الى القيصر عام ١٩٠١م شرح بيلوف الأسباب الاقتصادية لسياسة التغلغل السلمي في الشرق فقال: "إن سياسة ألمانيا في تركيا هي سلمية، نحن نريد السلام لأجل تجارتنا وصناعتنا، إن زيادة اكثر من نصف مليون نسمة سنوياً تجعل المانيا لا تستغني عن تركيا كسوق لتصريف انتاجها، هذه هي سياستنا الشرقية " للمزيد ينظر : سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٦١ .

(٢) هيردبي، المصدر السابق، ص ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٨ .

(4) Quoted in: McMeekin, Op. Cit, p. 259 .

(٥) أحمد الشريف السنوسي (١٨٨٣-١٩٣٣): مجاهد وزعيم وطني ليبي، ولد في واحة الجغبوب في الأسرة السنوسية، عرف بمواقفه الوطنية ضد الاحتلال الاجنبي، فكانت له مشاركات جهادية في كل من ليبيا وتشاد =

فأوضح السنوسي لاوبنهايم بأن أتباعه أخذوا ينظرون إلى الشيخ المتوفى على أنه المهدي المنتظر، لذلك اهتم اوبنهايم بإرسال التقارير التي أوضح فيها أهمية الجماعة السنوسية وما تشكله من تهديد مهم في إشعال لهيب التعصب والتمرد ضد البريطانيين الذين أخذوا يشعرون بالرعب من فكرة المهدي وما تشكله من خطر على توازن النفوذ في مصر، وأكد على أن من مصلحة ألمانيا استغلال تلك الجماعة بوصفها حركة دينية متطرفة [١].

=والسودان ومصر، ساهم في نشر الدعوة الاسلامية في أرجاء أفريقيا، تزعم الحركة السنوسية عام ١٩٠٢ خلفاً لعمه محمد المهدي السنوسي، للمزيد ينظر:
شوقي عطا الله الجمل، المغرب الكبير (من الفتح الاسلامي الى الوقت الحاضر)، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ص ٣٥٣-٣٥٦ .

(1) McMeekin, Op. Cit, p.p. 262 – 263 .

المبحث الثاني: **دور اوبنهايم الرسمي في مشروع سكة حديد برلين – بغداد والتنقيب في تل حلف ١٩٠٢- ١٩١٣** .

أولاً: **تطور عمل اوبنهايم في القاهرة و نتائجه** :

أخذت تقارير اوبنهايم طابعاً سياسياً مثيراً للجدل، لاسيما فيما يتعلق بسكة حديد برلين– بغداد، فقد اهتم بصياغة وجهات نظره وتوصياته على شكل قرارات سياسية، فقد كتب قائلاً:

"**عندما يسيطر البريطانيون على منطقة ما فإن أوضاعها غالباً ما تتحسن بشكل ملحوظ وان على المرء أن يتمنى التوفيق للإنجليز.. إلا أن من الضروري تشجيع السلطان العثماني على تأكيد وضعه في الكويت شأن أي مكان آخر في شبه الجزيرة العربية تحت السيطرة العثمانية، لأن الهيمنة البريطانية على تلك المدينة التي تمثل نهاية الخط الحديدي لن تكون امراً مرغوبا فيه بالنسبة لألمانيا، كما أن محطة إمداد السكة الحديدية بالفحم ينبغي أن تكون على جزيرة ولتكن جزيرة (فرسان)** [١]**، لأن السكان المحليين فيها لن يثيروا مشكلات لألمانيا**"[٢]

وكانت وزارة الخارجية الألمانية تدرك تماماً بأن مجرد ذكر محطة إمداد ألمانية بالفحم في الخليج يثير غضب الحكومة البريطانية في الهند، بعد أن تلقت الوزارة العديد من التقارير حول هذا الأمر من موظفيها في بغداد وبوشهر وطهران والهند، وبينما كان من المناسب لألمانيا الحصول على المزيد من المعلومات المباشرة حول المنطقة المستهدفة للإستثمار في سكة حديد بغداد، فقد كان من مصلحتها أن تتجنب بأي ثمن استعداء بريطانيا من أجل تجنب الوقوع في العراقيل[٣] .

---

(١) جزيرة فرسان: تشكل هذه الجزيرة جزءاً من مجموعة متناثرة من الجزر المتقاربة التي تقع على الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر وعلى بعد خمسين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي من مدينة جيزان في الجزيرة العربية، للمزيد ينظر:
إبراهيم عبد الله مفتاح، فرسان جزائر اللؤلؤ والأسماك المهاجرة، السعودية، ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م)، ص ١٠ .
(٢) نقلاً عن: هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦١ .
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٢ .

في تلك الأثناء كان حماس اوبنهايم للموضوعات الاقتصادية السائدة لا يعرف إلا قيوداً محدودةً للغاية ففي عام ١٩٠٢م أجرى دراسة مفصلة حول العوائد المحتملة من أراضي إمتياز سكة حديد بغداد فيما يتعلق بمصادرها الزراعية والمعدنية والسكانية [١] وذلك بعد أن منحت الحكومة العثمانية إمتياز السكة بشكل حاسم إلى ألمانيا في العام ذاته[٢]، وفي العام ذاته أصبح مسؤولاً بتكليف من المصرف الألماني عن خطط إنشاء السكة، وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة خطوط سكك الحديد هناك والإفادة من الخبرة والتجارب الأمريكية في هذا المجال، ولدراسة الطريقة التي يتم بها دفع تكاليف رأس المال الخاصة بالسكك الحديدية من خلال تأجير الامتيازات الخاصة بالتنقيب عن المعادن ومواقع البناء والأراضي الزراعية على امتداد الخط وكتب تقريراً مفصلاً حول الكيفية التي يمكن بها إستغلال تلك الأساليب بشكل مثالي[٣] .

إعتمد تقريره الذي أرسله الى المستشار الالماني عام ١٩٠٣ بعد عودته من الولايات المتحدة بشأن السكة الحديدية على دراسته المستفيضة عام ١٨٩٩ للأوضاع في منطقة السكة ولا سيما تركيبتها الاجتماعية، وأبدى ملاحظاته الجديرة بالاهتمام من جانب شركة السكة الحديدية المتمثلة بالمصرف الألماني، قائلاً:

" **من اللحظة الأولى يجب أن يكون لدى شركة السكة الحديدية فكرة واضحةً عما إذا كانت تريد الاعتماد أكثر على المسيحيين من أهل البلاد أو على المسلمين..، للمسلمين مكانة في المنطقة يحسدون عليها إذ نجد في كل قرية كبيرة أو مدينة عدداً من الوجهاء المسلمين الذين يشكلون قوة سياسية على الرغم من وجود الحكم العثماني القوي، وتنتشر تلك القوة والسطوة السياسية على فروع قبائلهم المتوزعة في جميع أرجاء الدولة العثمانية وبصورة واسعة، وفي حال تم كسب هؤلاء الوجهاء بصورة ذكية فإنهم سيصبحون أحسن عون لألمانيا وأفضل وكلاء للسكة الحديدية** " [٤].

---

(١) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦٣ .

(٢) آراس حسين الفت، سكة حديد برلين – بغداد ١٨٨٠ – ١٩١٤ دراسة في العلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ٢٠١٥، ص ٩٢ .

(٣) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج١، ص ٩ .

(4) Quoted in: Helmut mejcher, The Struggle for a new middle east in the 20th century: studies in imperial design and national politics, Berlin, 2007, p.p. 42 – 43.

كما لفت أوبنهايم الانتباه الى المشكلات الأمنية التي ينطوي عليها تشغيل السكة الحديدية وحمايتها، ومن المرجح أنه أشار إلى الجانب البريطاني الذي اتخذ استعداداته لإثارة المتاعب والاضطرابات من خلال عملائه في مناطق العمل، وفي هذا الصدد اقترح أوبنهايم وضع وكلاء خاصين في أماكن الحج المقدسة لاسيما في مكة المكرمة وفي البلدان الاسلامية غير العربية، للترويج لمشروع السكة وإزالة العراقيل التي يضعها عملاء ووكلاء بريطانيا في طريق نجاحه، كما أكد في تقريره على ابتهاج السكان المحليين في الأراضي المجاورة للسكة، وتأملهم في الحصول على الفوائد في المستقبل، وضرب بعض الأمثلة على قيام أحد الوجهاء من بغداد ويدعى عبد اللطيف افندي بتقديم طلب للحصول على قطعة أرض في شمال المدينة، آملاً ارتفاع سعرها عند مرور السكة الحديدية فيها، كما أشار إلى أمثلة أخرى حينما تقدمت جماعات من السكان المحليين معظمهم من المسيحيين في شمال سوريا، لشراء الأراضي لغرض بيعها في الوقت المناسب، نظراً لذلك أكد أوبنهايم على الهيئة المشرفة على تنفيذ المشروع بالإقدام على تنفيذه مؤكداً نجاحه، وأهمية استغلال أراضيه في توفير المواد الخام الضرورية للصناعات الألمانية [١] .

واصل اوبنهايم اهتمامه بشأن السكة الحديدية، فسافر إلى الولايات المتحدة الامريكية للمرة الثانية عام ١٩٠٤ بتكليف حكومي، وقدم هناك دراسة تعرض خلالها إلى تأثير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المترتبة على مشروع ربط مدن العراق وسورية بخطوط السكة الحديدية المزمع إنشاؤها[٢]، وكان من نتائج الزيارتين أن نوقشت على نطاق واسع في الصحافة الأمريكية دراسات اوبنهايم وخططه التي جاء من أجلها، وأدى ذلك إلى لفت أنظار بعض العوائل الرأسمالية الراعية للمشاريع الكبرى، فحظي اوبنهايم بتكريمها ودعمها لتطوير دراساته ومخططاته الاقتصادية، ومن جانبه قام بكتابة تقرير مفصل بعنوان " **تطوير المناطق التي ستمر من خلالها سكة حديد بغداد، وعلى وجه الخصوص سورية وبلاد ما بين النهرين، في ضوء التجارب**

---

(1) mejcher, Op. Cit, p. 43 .

(٢) سالم الآلوسي، المصدر السابق، ص ٢٢٥ .

الأمريكية"، وقد نال ذلك إعجاب وتقدير مسؤولي المصرف الألماني المسؤول عن إنشاء السكة، وقاموا بنشره على شكل كتاب في برلين عام ١٩٠٤[١] .

سعى أوبنهايم من خلال تلك الدراسة الى تحفيز اهتمام المستثمرين الألمان بشأن مشروع الخط الحديدي، وقد تضمن الكتاب عموماً رؤية أوبنهايم لإحياء شرق أوسط يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع أوروبا وقبل كل شيء مع ألمانيا، وفي تلك الرؤية يتضح تفانيه الشديد لخدمة ألمانيا وانجذابه العميق للعالم الاسلامي، وعلى الرغم من اعجابه بالتطور في الولايات المتحدة إلا أنه حذر من أزمات اقتصادية يمكن أن تعصف بها، لذلك رأى بأن أوروبا يجب أن تجعل من نفسها مستقلة عن الولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً، وأعطى حلاً تمثل بدعم مشروع سكة حديد بغداد– برلين، مما يؤدي الى فتح مجالات جديدة وواسعة في الشرق الأوسط، الذي سيكون بديلاً عن الولايات المتحدة سواء بوصفه سوقاً لتصريف المنتجات الأوروبية أو مورداً مهماً للموارد الطبيعية، كما رأى بأن أكبر إمكانية لتطوير منطقة الشرق الأوسط تكمن في تطوير الزراعة واستغلال موارد المنطقة النفطية، لذا ركزت وجهة نظره بأن ألمانيا هي الأنسب لتطوير منطقة الشرق الأوسط لأنها لا تمتلك مخططات استعمارية ضد الدولة العثمانية، وتتمتع بالثقة والصداقة مع السلطان والسكان المسلمين في الدولة، فأوصى بأن يبقى عمل المصارف والبيوت الرأسمالية الألمانية الممولة لمشروع السكة الحديدية سراً، حيث قال :

" **السلطان ورعيته يجب ان لا يكون لديهم شك بأن تطوير أراضيهم كان لصالح المسلمين**"[٢].

مما دل على مراعاة اوبنهايم لمخاوف الدولة العثمانية آنذاك من مشاريع استيطانية محتملة واستغلال استعماري لأراضيها يمكن أن تدعمه رؤوس الأموال أو المصارف اليهودية النشطة في ألمانيا وأوروبا.

(1) Gossman, Op. Cit , p. 112 .
(2) Quoted in: Ibid, p. 113 .

في تلك الأثناء لم يرغب اللورد كرومر العدو اللدود لأوبنهايم أن يرى ما بناه في مصر منذ توليه الإدارة عام ١٨٨٣م موضع تحد وتهديد من قبل الألمان بعد أن تأكد بأن اوبنهايم هو الضالع الرئيسي في محاولات بعض الدوائر الالمانية القيام بنشاطها التحريضي ضد السيطرة البريطانية في المنطقة العربية والاسلامية والإضرار بمصالحهم وإضعاف نفوذهم(١)، ففي عام ١٩٠٥ م نظم اوبنهايم حفلاً تكريمياً لمصطفى كامل في برلين تثميناً لجهوده في مناهضة بريطانيا وتعاونه مع الألمان، كما تم منحه عموداً منتظماً في صحيفة برلين بعنوان (رسالة من وطني مصري) تضمن هجوماً شديداً ونقداً لاذعاً وتحريضاً ضد سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر (٢).

كما تولى اوبنهايم بناءً على اقتراح من وزارة الخارجية الألمانية مهمة تمثيل ألمانيا مع خمسة عشر مندوباً آخرين في مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في الجزائر خلال نيسان ١٩٠٥م، وبعد انتهاء المؤتمر قام أوبنهايم برحلة خاصة إلى الحدود الجزائرية المغربية، واطلع على أحوال التبادل التجاري بين البلدين كما اتصل بالسلك الدبلوماسي الألماني في كل من الجزائر والمغرب، إلا أن تحركاته خضعت لمراقبة السلطات البريطانية والفرنسية هناك، وقد رتبت عليها تكهنات عديدة في محاولة لمعرفة الهدف الخفي من الرحلة، لاسيما أنه قام بها خلال الأزمة المتصاعدة على الحدود المغربية الجزائرية وقد ازدادت شكوك الفرنسيين والبريطانيين حول وجود مهمة استخباراتية وراء تلك الرحلة (٣).

كانت تلك الشكوك في محلها ففي العام ١٩٠٦م حينما ازداد التوتر الحاد بين القوى الاوروبية بشأن المغرب وحدوث " الأزمة المراكشية " (٤)، قدم اوبنهايم تقريره الذي أعدّه عن

---

(١) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦٣ .

(2) McMeekin, Op. Cit , p. 25 .

(3) Salvador Oberhaus, Die deutsche Ägyptenpolitik 1914 bis 1918 Ein Beitrag zur Propagandageschichte des Ersten Weltkrieges, Doktorarbeit, Universität Düsseldorf, 2006 , S.S. 84 - 85 .

(٤) توترت العلاقات بين المانيا وفرنسا بل أوشكت على المواجهة في ١٩٠٥ – ١٩٠٦م حينما زار الامبراطور الألماني طنجة في آذار ١٩٠٥ وتعامل مع المغرب باعتبارها دولة مستقلة، وأوضح بأن ألمانيا مصممة على التمسك بمعاهدة مدريد لعام ١٨٨٠. التي استندت على الاعتراف بسيادة المغرب، وبأنها ترفض الاعتراف بالوضع الجديد الذي أوجده الوفاق الودي في المغرب وما قامت به فرنسا في هذا البلد، من دون موافقة ألمانيا =

المنطقة الحدودية بين الجزائر والمغرب وكذلك عن تنظيم القوات العسكرية الفرنسية وطريقة سيطرتها على الأراضي هناك، فكان التقرير في طبيعته مخصصاً لنقل المعلومات والتجسس، لذا بدأت بوادر العداء الفعلية تجاه اوبنهايم من قبل البريطانيين والفرنسيين[١]، فشَّنت صحف الدولتين حملة إعلامية عنيفة ضده متهمة إياه باستخدام دعاية الوحدة الاسلامية للتحريض ضد فرنسا وبريطانيا، كما اتُهم بأن زيارته للجزائر ثم تونس ١٩٠٥م كانت مكرسة لنشر تلك الدعاية بين السنوسيين، بوصفهم من أشد المجموعات الاسلامية مناهضةً للغرب، كما اتُهم بالتعاون مع الجزائريين لتوزيع منشورات تدعو إلى الإنضواء تحت لواء الوحدة الاسلامية، وتحرض ضد الاستعمار الأوروبي [٢] .

أما نشاط أوبنهايم واتصالاته المستمرة ولقاءاته بمفوض الدولة العثمانية في مصر مختار باشا[٣] أدت الى قيام اللورد كرومر بتشديد المراقبة عليه وتحذير وزارة الخارجية البريطانية حول الدور الخطير الذي يمارسه في شمال إفريقيا من أجل نشر الدعاية التحريضية ضد القوى الاوروبية[٤]، مما أدى الى قيام الحكومة البريطانية بتحويل أنشطة اوبنهايم الى قضية كبرى وواجهت الدبلوماسيين والوزراء الألمان صراحةً بشكاواها، ففي آيار ١٩٠٦م أبلغ اللورد كرومر القائم بالأعمال الألماني في القاهرة فيدل (Wedel) بأن هناك علامة استفهام حول وضع اوبنهايم الغريب في القنصلية الألمانية[٥]، كما سأله عن السر في تعوده على زيارة مصطفى كامل ومختار

= مما أثار غضب فرنسا صاحبة النفوذ الأكبر هناك، وكانت تلك الزيارة اختباراً للوفاق الفرنسي البريطاني، بيلوف المستشار الألماني رجح اللجوء الى مؤتمر دولي لحلها، ورغم الرفض الفرنسي لعقد المؤتمر إلا أنه انعقد أخيراً في الجزيرة الخضراء جنوب إسبانيا في كانون الثاني ١٩٠٦، وعلى الرغم من أن ألمانيا حققت نصراً دبلوماسياً بتدويل المسألة المغربية واحتفظت بحق التدخل في المغرب، إلا أنها عانت من عزلة شبه تامة حيث لم يؤيدها في المؤتمر سوى النمسا – المجر والمغرب، وتخلت عنها حليفتها إيطاليا، وبدلاً من إضعاف الوفاق الودي فقد تطور الى حلف سياسي غير رسمي، للمزيد ينظر :
أنس حمزة مهدي، موقف ألمانيا من أزمة أغادير ١٩١١م: دراسة وثائقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

(1) Gossman, Op. Cit , p.p. 41 – 42.
(2) Ibid, p. 44 .
(3) McMeekin, Op. Cit, p. 26 .
(4) M. Mckale, War by revolution , Op. Cit, p. 19 .
(٥) ينظر: ملحق رقم (٦): صورة اوبنهايم مع موظفي القنصلية الالمانية في القاهرة عام ١٩٠٦ .

باشا وكل منهما زعيم معروف في الدوائر الاسلامية المناهضة للحكم البريطاني في مصر، وشدد كرومر على أن ما من سبب مقنع سيجعل عامة الناس والصحافة يعتقدون بأن اوبنهايم مجرد باحث، وطالما بقيت إقامته غامضة في القاهرة فإن النوايا الألمانية ستظل دوماً موضع شك وريبة[١].

لذلك بدأت المحاولات البريطانية لإبعاد اوبنهايم عن العمل في القاهرة، عندما تحدث وكيل وزارة الخارجية البريطانية تشارلز هاردنغ (Sir Charles Hardinge)[٢]، ووزير الحرب هالدان (Haldane)[٣]، مع السفير الالماني في لندن الكونت مترنيخ في الثامن من ايار ١٩٠٦م زاعمين أن اوبنهايم له يد في طبع وتوزيع منشورات تدعوا للوحدة الاسلامية، و عندما طالبهما مترنيخ بتقديم دلائل وتفاصيل واقعية رفض كلاهما تقديم شيء[٤]، وفي محاولة أخرى قام سفير الحكومة البريطانية في برلين فرانك لاسيلس (Franck Lascelles)[٥] بالحديث مع وزير الخارجية الألماني

---

(١) هيردبي، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) تشارلز هاردنغ (١٨٥٨- ١٩٤٤): دبلوماسي بريطاني ولد في لندن، دخل الخدمة في السلك الدبلوماسي عام ١٨٨٠م، وتم تعيينه سكتيراً أول في السفارة البريطانية في طهران عام ١٨٩٦، وفي عام ١٩٠٣ تمت ترقيته ليصبح مساعداً لوكيل وزارة الخارجية لمدة عام، ثم أصبح سفيراً في روسيا عام ١٩٠٤م، وتم استدعاؤه من قبل مكتب الخارجية بعد عام ونصف ليتولى منصب وكيل وزارة الخارجية الدائم في شباط ١٩٠٦، فأخذ يمارس تأثيراً سياسياً قوياً لا سيما في المسائل المتعلقة بالعلاقات الخارجية لبريطانيا. للمزيد ينظر:
Edward T. Corp, Sir Charles Hardinge and the Question of Intervention in the Boer War: An Episode in the Rise of Anti-German Feeling in the British Foreign Office, The Journal of Modern History, Vol. 51, No. 2, Chicago, 1979, p. 1075 .

(٣) هالدان: كان له دور في الاجتماع مع الامبراطور الألماني فيلهلم الثاني عندما ذهب الامبراطور الى لندن عام ١٩٠٧، في مدة التوتر حول سكة حديد بغداد، وقد أعرب الامبراطور في ذلك الاجتماع عن صدق نواياه للعمل على تصفية الخلافات بين بريطانيا والمانيا ولا سيما حول موضوع سكة حديد بغداد، فقام هالدان من جانبه بطرح مطالب الحكومة البريطانية بالاشتراك بالمشروع، وأن تقوم بريطانيا ببناء القسم الجنوبي من السكة لأجل الحفاظ على مصالحها في الهند، فقد إعتبر هالدان ذلك القسم من السكة بوابة الخليج العربي، وقام بإطلاع وزارة الخارجية البريطانية على فحوى تلك المباحثات، للمزيد ينظر :
لؤي بحري، سكة حديد بغداد "دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين- بغداد حتى عام ١٩١٤م" ، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٧، ص ص ١٥٠-١٥١.

(٤) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦٤ .

(٥) فرانك لاسيلس (١٨٤١ – ١٩٢٠): دبلوماسي بريطاني ولد في عائلة أرستقراطية بتاريخ ٢٣ آذار ١٨٤١، وهو الابن الثالث لويليام سوندرز سيبريت لاسيلس، والسيدة كارولين هوارد، وهو واحد من بين تسعة أطفال، تلقى تعليمه في منطقة هارو في لندن، وبدأ بالعمل الدبلوماسي منذ سن العشرين حتى تقاعده في السابعة والستين=

الألماني هاينريخ فون تشيرشكي (Heinrich V. Tschirschky)[١] بشأن عزل اوبنهايم من عمله لأنه يثير الشكوك حول ألمانيا، لكن دون جدوى، بسبب عدم اقتناع الألمان بتلك الحجج [٢] .

أما موقف ألمانيا من تلك الشكاوى فقد عقدت العزم على عدم الخضوع لضغوط البريطانيين الرامية الى إبعاد اوبنهايم عن القاهرة، فقد اعتبرتها جزءاً من حملة موجهة ضد السياسة الألمانية في الشرق الأوسط، لذا فإن فصل اوبنهايم يعني تحقيق نجاح كبير لتلك الحملة وخسارة ألمانيا لسمعتها بوصفها قوة كبرى، مما يؤدي الى إلحاق أضرار كبرى بتجارتها، وحدوث توتر داخلي من الصعب تجنبه [٣] .

كما وُصِفَ رد الفعل الالماني بالإستياء حيال مستوى الإرتياب البريطاني من موضوع اوبنهايم، وقد نصَحَ وزير الخارجية الألماني فون تشيرشكي في الرابع عشر من آيار ١٩٠٦م الدبلوماسي الألماني فون شتوم (Von Stum) [٤] في لندن، بأن يوضح للحكومة البريطانية أن أوبنهايم ليس دبلوماسياً ويمكن اعتباره نبيلاً يقيم في القاهرة معرباً عن استغرابه بأن تكون له

= وكان في باريس وقت الحرب الفرنسية - البروسية (١٨٧٠ – ١٨٧١)، وتحول الى الدفاع عن المصالح الامبراطورية البريطانية إذ تم تعيينه وزيراً مفوضاً في طهران (١٨٩١ – ١٨٩٤)، ثم أصبح سفيراً في روسيا (١٨٩٤ – ١٨٩٥)، ثم أصبح سفيراً في برلين في الثلث الأخير من حياته الدبلوماسية. للمزيد ينظر:

Patrick James Bourne, Sir Frank Lascelles - a diplomat of the Victorian Empire, 1841-1920, Doctoral dissertation, The University of Leeds School of History, 2010, p.1 .

(١) تشيرشكي (١٨٥٨ – ١٩١٦): دبلوماسي ألماني ولد في مدينة دريسدن، دخل الخدمة الدبلوماسية في وزارة الخارجية منذ عام ١٨٨٣م، وأصبح مستشاراً فيها (١٨٨٥-١٨٨٦)، تولى منصب وزير الخارجية للمدة (١٩٠٦-١٩٠٧) وكان صديقاً شخصياً للإمبراطور فيلهلم الثاني، للمزيد ينظر:

William Young, German Diplomatic Relations 1871- 1945: The Wilhelmstrasse and The formulation of foreign policy, New York, 2006, p. 94 .

(2) M. Mckal, War by revolution, p.p. 19- 20 .

(3) Oberhaus, Op . Cit , S. 87 .

(٤) فيلهلم فون شتوم (١٨٦٩ – ١٩٣٥): دبلوماسي ألماني ولد في مدينة فرانكفورت، درس القانون في الجامعات الألمانية وتخرج منها لينظم بعد ذلك الى العمل في وزارة الخارجية منذ العام ١٨٩٧، عمل في بروكسل وسان بطرسبرغ، ثم في لندن، للمزيد ينظر:

https://de.wikipedia.org/wiki/Wilhelm_von_Stumm .

صلات مع عدد من المصريين الذين ينتمون الى إتجاهات سياسية مختلفة، ومع ذلك فإن الإتصالات لا تعني أن الحكومة الألمانية ساندت وجهات نظر أولئك الناس [١] .

وأضاف تشيرشكي محاولاً الدفاع عن سياسة ألمانيا بأن إثارة المشكلة من المحتمل أن تكون نتيجة لتعصب لورد كرومر وإعيائه بعد عدة أعوام من العمل في مصر، وليس نتيجة للسلوك الألماني حياله، وكتب قائلاً:

" **ليس هناك شك في أن لورد كرومر يحكمه شك مرَّضي تجاه ألمانيا، ونتمنى أن تحرر بريطانيانفسها من عدم ثقتها الذي يبرز في كل مناسبة، لكي تستطيع المساهمة في العلاقات الودية التي نعمل من أجلها** " [٢] .

لم يقدر لـ شتوم النجاح في تهدئة البريطانيين وصرف أنظارهم عن مسألة إبعاد اوبنهايم عن القاهرة، فكتب تشيرشكي إليه مجدداً في يوم ٢٦ آيار مشيراً الى أنه إذا كان بمقدور الجانب البريطاني حقاً أن يجلب دليلاً على أنشطة اوبنهايم التخريبية، فإن الوزارة بإمكانها إيقاف خدمته وفصله عن القنصلية الألمانية في القاهرة، ويكون بمقدوره مواصلة الإقامة في القاهرة وستكون للسلطات الألمانية سيطرة أقل عليه، وهو موقف ليس من شأنه حقاً أن يكون في مصلحة بريطانيا، ورغم دفاعها عن اوبنهايم إلا أن الأمر اتخذ بالفعل أبعاداً كبيرة للغاية، فقد أرسلت وزارة الخارجية برقية إلى القنصل العام في القاهرة بيرنستورف (Bernstorf) [٣]، بأن ينصح أوبنهايم للتقليل من أنشطته، فوصله التحذير في تشرين الثاني ١٩٠٦م، وألزمه بأن يكون أكثر حرصاً على عدم

(١) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦٤ .

(٢) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٢٨٨ .

(٣) بيرنستورف (١٨٦٢م – ١٩٣٩م): ولد الدبلوماسي هينريخ فون برنستورف في لندن، حينما كان والده قنصلاً لبروسيا في بريطانيا، وقد عُين برنستورف الابن قنصلاً ألمانياً في القاهرة (١٩٠٦- ١٩٠٨م)، ثم عين سفيراً لألمانيا في الولايات المتحدة الامريكية منذ ١٩٠٨م وبقي في منصبه هناك حتى دخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الاولى ضد ألمانيا عام ١٩١٧، وبعد انتهاء الحرب أصبح عضواً في الحزب الديموقراطي الالماني، وداعماً قوياً لحركة تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين، للمزيد ينظر :

- Gossman, Op. Cit , p. 96 .

استفزاز البريطانيين وأن يقلل قدر المستطاع من اتصالاته برجال الحركة الوطنية والاسلامية في مصر وأن عليه ممارسة ضبط النفس في التعامل معهم، مع تذكيره بأن مهامه تقتصر على المراقبة وتقصي المعلومات فقط، وأن يقلل من نشاطه التحريضي الداعي الى الوحدة الاسلامية من خلال المنشورات [١] .

كما أدرك برنستورف أن من المهم بالنسبة له أو لأي قنصل ألماني عام في القاهرة أن يقرر ما إذا كانت الاتصالات مع الاسلاميين تساوي المخاطرة بعدم الثقة البريطانية وشكوكها المستمرة في مواجهة ألمانيا، كما أن موقف برنستورف الشخصي هو عدم الموافقة على أنشطة اوبنهايم فقد كان من الداعمين لسياسة التصالح مع بريطانيا، مما جعل اوبنهايم لا يأخذ بمشورته ويكتفي بمشاورة المستشار فون بيلوف في برلين مباشرة [٢] .

أما القنصل الألماني في استانبول مارشال فون بيبرشتاين (Marschall Von Bieberstein)[٣]، الذي كان من دعاة التغلغل السلمي داخل الدولة العثمانية فقد سمع شائعات كثيرة حول نشاط اوبنهايم التحريضي المخالف لمنهجه، وفي الوقت ذاته فقَدَ اوبنهايم نسبة كبيرة من التأييد والدعم الذي منحته إياه وزارة الخارجية والدبلوماسيون الألمان، وهكذا تم إبلاغ اوبنهايم في آيار ١٩٠٧ من خلال رسالة بعثها بيبرشتاين الى القاهرة بأن زيارته المقترحة الى استانبول ليست موضع ترحيب [٤] .

---

(1) Gossman, Op. Cit, p. 44 .

(2) M. Mckal , War by revolution, p. 24 .

(٣) بيبرشتاين (١٨٩٧-١٩١٢م): كان من المقربين للإمبراطور فيلهلم الثاني، وقد شدد بيبرشتاين على الطابع الاقتصادي، والسياسي والاستراتيجي للتغلغل الألماني السلمي داخل الدولة العثمانية، وضرورة وضع الرأسمال الألماني الموظف للمشاريع داخل الدولة العثمانية تحت إشراف الحكومة الألمانية مباشرةً، ينظر:

سنو، ألمانيا والاسلام . . .، ص ٤٤ .

(٤) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦٤ .

لم يكن اوبنهايم وحيداً في مواجهة التحديات والضغوط البريطانية التي حاولت إضعاف دوره المؤثر في القاهرة، فقد ساعده صديقه ماكس بروفر (Max Prufer) [١] الذي يتقن اللغة العربية ولغات أخرى مثل الفرنسية، الانجليزية، الايطالية، العثمانية والروسية، فكانت مؤهلاته حظيت بإعجاب اوبنهايم الذي رأى بأنه الخيار الأمثل ليكون مترجماً ومستشاراً ثقافياً في السفارة الألمانية، وبتأثير منه تم تعيين بروفر بتلك الوظيفة عام ١٩٠٧، وسرعان ما تمت ترقيته ليصبح السكرتير الشرقي للحكومة الالمانية، وقام اوبنهايم بتقديمه الى أصدقائه المصريين وأبرزهم عبد العزيز جاويش[٢]، فأصبح بروفر حلقة الوصل الرئيسية بين السفارة الالمانية والوطنيين في القاهرة وأنشأ صداقة مع الخديوي عباس حلمي، مما أدى الى إثارة الشكوك والشبهات البريطانية تجاهه، وبذلك استطاع اوبنهايم أن يصنع تلميذاً لأفكاره وربيباً جيداً يمكن أن يخلفه في ممارسة الدور الخطير الذي اضطلع به من خلال تكوين العلاقات السياسية والدبلوماسية مع مختلف الشخصيات والحركات المناهضة لدول الوفاق، ورفع التقارير عن أوضاع العالمَين العربي والاسلامي الى برلين[٣] .

وفي تلك الأثناء لم يكن اوبنهايم سعيداً باستقالة عدوه لورد كرومر في نيسان ١٩٠٧م وحلول ايلدون غورست (Sir. Eldon Gorst) [٤] محله لأن أوبنهايم لم يعد يتمتع بتلك الأهمية

---

(١) ماكس بروفر (١٨٨١ – ١٩٥٩): دبلوماسي ألماني ولد عام ١٨٨١م، درس القانون واللغات الشرقية في جامعة برلين، تم تعيينه مستشاراً ثقافياً ومترجماً في القنصلية الالمانية بالقاهرة، وأكمل رسالته للدكتوراه في علم المصريات في جامعة إيرلانجن (Erlangen) الألمانية عام ١٩٠٦م ، للمزيد ينظر:
- McMeekin , Op. Cit , p.p. 28 - 29 .

(٢) عبد العزيز جاويش (١٨٧٦-١٩٢٩م): ولد في مدينة الاسكندرية المصرية، لأسرة ليبية، بدأ حياته التعليمية في الأزهر عام ١٨٩٢م، عين أستاذاً للغة العربية بجامعة اوكسفورد، وعاد الى بلاده عام ١٩٠٦ وعين مفتشاً في وزارة المعارف، وترأس تحرير جريدة اللواء المصرية عام ١٩٠٨م، قضى عام ١٩١٢م في استانبول بجمع التبرعات وارسال الاسلحة للقوات العثمانية المدافعة عن طرابلس (ليبيا) ضد الاحتلال الايطالي، للمزيد ينظر :
عبد العزيز جاويش، الاسلام دين الفطرة والحرية، تقديم : مجدي سعيد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١١، ص ص ١٨ – ٢٥ .

(3) Anderson, Op. Cit , p. 294 .

(٤) ايلدون غورست (١٩٠٧م – ١٩١١): ولد في نيوزيلندا، وصل الى مصر في بداية حياته السياسية حيث تم تعيينه وكيلاً لوزارة المالية وأكسبه تكوينه الدبلوماسي صفات مميزة لكل نشاطه في مصر وكان مرحباً به من المصريين والأجانب، تم تعيينه مستشاراً لوزارة الداخلية ثم ممثلاً لحكومة الملك البريطاني في مصر، وأكد الخديوي عباس حلمي في مذكراته أن مدة إدارة غورست كانت أحسن المراحل التي اجتازتها مصر، للمزيد ينظر:
عباس حلمي، المصدر السابق، ص ص ٢١٩ - ٢٢١ .

التي كان يشعر بها سابقاً من قبل البريطانيين، فكلما كان في مقابلة مع مصطفى كامل أو غيره من الوطنيين المصريين وأنصار الوحدة الاسلامية كان كرومر يشدد المراقبة على بيته، ويعود سبب تغير الموقف البريطاني تجاهه الى كونهم قد نجحوا في تقييد عمله من خلال إبعاده عن الاتصال بالخديوي عباس حلمي، وعن المفوض العثماني مختار باشا، وكثير من رجال الحركة الوطنية المصرية ورجال الوحدة الاسلامية، كما رأى البريطانيون أن وفاة مصطفى كامل عام ١٩٠٨ أفقدت اوبنهايم أهم حلقة وصل مع الحركة الوطنية في مصر، وصديقاً نشطاً لألمانيا [١].

لم يؤثر تغير الظروف على نشاط اوبنهايم وكتابته للتقارير، ففي آيار ١٩٠٨ أبرق تقريراً خاصاً الى المستشار فون بيلوف بعنوان "**بريطانيا والاسلام**"، أكد فيه أن هدف السياسة البريطانية هو إضعاف الدولة العثمانية وفصل الخلافة عن السلطان لأنها ترى في خلافة عبد الحميد الثاني تهديداً لمصالحها في افريقيا وآسيا نظراً للتأثير الذي يستطيع الخليفة ممارسته على المسلمين في تلك البلاد بوصفه إمامهم وولي امرهم وفق المفهوم الديني، موضحاً أن العديد من البلدان مثل كندا واستراليا وجنوب إفريقيا يمكن لها أن تنفصل عن الامبراطورية البريطانية، لكن البلاد الاسلامية ستبقى حسب رأيه ضمن مستعمراتها إذا نجحت في مشروعها لفصل الخلافة عن السلطان، وما يعطي الأمل بالنسبة لألمانيا أن الحركة الوطنية في مصر والتنافس الهندوسي الاسلامي في الهند يسببان قلقاً كبيراً بالنسبة للمصالح البريطانية، كما أشار في تقريره الى أهمية النهضة الثقافية والاتجاهات الداعية للانبعاث الروحي في مناطق العالم الاسلامي، ولا سيما تلك الموجودة تحت الحكم البريطاني، وتوظيف تلك الاتجاهات لترسيخ الشعور بالارتباط بين جميع المسلمين، تطبيقاً لمفهوم الوحدة الاسلامية [٢] .

---

(1) Gossman, Op. Cit, p.p. 44 - 45 .

(2) Secil Deren, German Ideas expectations on expansion in the near east 1890 – 1915, Master thesis, middle east technical university, Ankara, 2004, p. 100 .

وركز اوبنهايم في تقريره كثيراً على أهمية الدفاع عن (الخلافة) بوصفها وسيلة هامة لتوحيد المسلمين ضد دول الاستعمار، وضرورة عدم فسح المجال لفصلها عن السلطان العثماني، فقد رأى بأن:

" **ازدياد التفاعل بين المسلمين رداً على السيطرة الاوروبية يترابط مع الاعتراف بالحاجة إلى قائد روحي يماثل دور السلطان " الخليفة"، وإذا ما زادت القوة العسكرية للدولة العثمانية فإن الدول الأوروبية التي تملك مستعمرات كبيرة يسكنها المسلمون ستواجه المشكلات في يوم ما، ونظراً إلى إن بريطانيا هي العدو الرئيسي للخلافة العثمانية فإن المرء يمكن أن يتوقع حدوث ثورة شاملة بين المسلمين وكذلك الهندوس في المستعمرات البريطانية، إذا وجدت بريطانيا نفسها في حرب أوروبية ضد الدولة العثمانية..، ألمانيا لا تعتبر عدواً في العالم الاسلامي، لذلك فإن بريطانيا سترغب كثيراً في وراثة المواقع السياسية والاقتصادية التي تتمتع بها المانيا هناك، كما ستسعى الى عرقلة ترسيخ العلاقات بين المانيا والدولة العثمانية مستغلة كل فرصة لنسف تلك العلاقات، ولن تكف بريطانيا عن ذلك طالما أن قوتنا الاقتصادية في تزايد، كما تتزايد غيرتها طالما أنها لا تعتبرنا نداً لها في التجارة في كل مكان، في البر كما في البحر** " [١].

وقد ساهم ذلك التقرير في ترسيخ الاعتقاد لدى القادة الألمان وعلى رأسهم الامبراطور بأن اوبنهايم هو الأكثر معرفة بشؤون العالم الاسلامي، وبقي الامبراطور واثقاً من قدراته على إثارة الثورات بين المسلمين في المستعمرات البريطانية [٢]، وإلى جانب ذلك حاول اوبنهايم التأثير على الحكام الجدد في استانبول، قادة جمعية الاتحاد والترقي[٣]، وتميز موقفه بتأييد انقلابهم ١٩٠٨، وقد تشابه موقف اوبنهايم مع موقف الامبراطور الذي أعرب عن سروره بحدوث الانقلاب قائلاً:

---

(١) نقلاً عن: قيصر أ. فرح، السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الإسلامي، ترجمة: محمد الارناؤوط، تقديم :خالد إرن، دار جداول، لبنان، ٢٠١٢م، ص ١٢٤ .

(2) M.Mckale, War by revolution, p. 24 .

(٣)جمعية الاتحاد والترقي: أسس عدد من تلامذة مدارس الطب العسكري والشباب الداعين الى إعلان الدستور في الدولة العثمانية، بوجه خاص الجمعية السرية ١٨٨٩ التي أطلق عليها اسم جمعية (تركيا الفتاة) التي أخذت =

" **إن هذه الثورة لم يضطلع بها أعضاء تركيا الفتاة الذين يعيشون في باريس أو تركيا بل اضطلع بها الجيش والجنود الترك الذين تلقوا تدريبهم في المانيا على يد الضباط الألمان، وهي ثورة عسكرية بحذافيرها، لقد كان كل شيء تحت سمع ومراقبة وبصر هؤلاء الضباط ولا ريب أنهم أصدقاء المانيا** " [١] .

وعلى الرغم من أن الجامعة الاسلامية لم تكن بالنسبة للاتحاديين وسيلة ملائمة للسياسة الداخلية، إلا ان تحديات واجهتهم جعلتهم يعيدون النظر في الأمر، وأبرز تلك التحديات التمرد الذي اندلع في مدينة كريت وقمع الدولة له، مما دفع جمعية الاتحاد والترقي الى الدعوة الى الوحدة تحت راية الجامعة الاسلامية، لأنهم وجدوا فيها وسيلة ممتازة لدعم حكمهم وصمودهم في مواجهة الضغوط الداخلة وفي تعزيز السياسة الخارجية [٢] .

بناءً على ذلك أعطى اوبنهايم اهتماماً خاصاً لمسألة التحول الذي شهدته سياسة حكومة الاتحاديين نحو تأييد الجامعة الاسلامية، فكتب تقريراً الى المستشار الالماني فون بيلوف عام ١٩٠٩م حول ذلك التحول مبيناً له، قائلاً: "**ان الاتحاديين قد ذهبوا في العام ذاته الى تأييد إعادة**

= بالانتشار بين عامي (١٩٠٢ – ١٩٠٦) فظهرت مجموعات جديدة للحركة في جنيف والقاهرة واستانبول، ثم اندمج الجميع في (جمعية الاتحاد والترقي) عام ١٩٠٦م وكان هدفهم إعادة الدستور وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، وعندما علم السلطان عبد الحميد بالمؤامرة حاول تدارك الموقف فعين سعيد باشا صدراً أعظم وأمر بإعادة الدستور الانتخابات وإلغاء الرقابة على المطبوعات والصحف، وأعلن أنور باشا قائد الانقلاب أن الحكومة الاستبدادية قد انتهت، وجرت إنتخابات مجلس المبعوثان العثماني، للمزيد ينظر:
إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦، ص ص ٢٠٧-٢٠٩ .

(١) على الرغم من الامتيازات التي حظي بها الألمان خصوصاً بعد الزيارة الأخيرة للامبراطور فيلهلم الثاني الى استانبول، قد جاء هذا التغير في موقف الامبراطور فيلهلم الثاني تجاه السلطان عبد الحميد الثاني، بعد وقوف الأخير ضد قيام تحالف سياسي وعسكري بين الدولتين الالمانية والعثمانية، لذلك أخذ الألمان يساهمون بشكل كبير في دعم الاتجاهات الرامية الى الاطاحة بالسلطان، ووجدوا ضالتهم المنشودة في جماعة تركيا الفتاة ، واستخدموا فئة من الضباط الموالين لهم في الجيش الثالث الموجود في مقدونيا من اجل الاطاحة بالسلطان عبد الحميد، وكان انور باشا واحداً من هؤلاء الضباط للمزيد ينظر:
سليمان جوقه باش، المصدر السابق، ص ٥٢٢- ٥٢٤ .

(٢) فرح، المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

دمج ٨٠٠ ألف مسلم من البوسنة بالدولة العثمانية" [١]، فأراد من خلال ذلك تعزيز ثقة ألمانيا بالسياسة الجديدة لحكومة الاتحاد والترقي، التي أخذت تتجه نحو تأييد الوحدة الاسلامية، فأخذ يشجع على التعاطف والتعاون بين حكومتهم و ألمانيا من خلال يوسف بك صادق ممثل الخديوي عباس حلمي لدى الحكومة العثمانية[٢]، وقد اتضح بعد مواصلة اوبنهايم لإرسال التقارير بأنه لم يلتزم بالتحذيرات الالمانية بشأن التقليل من نشاطه الذي يثير استفزاز بريطانيا فقد كثرت المزاعم ضده في الفترة الأخيرة، حيث كتب أحد رجال الاعمال السوريين المسيحيين الموالين لألمانيا في القاهرة رسالة الى عضو البرلمان الالمانية[٣]، محذراً من أن بقاء اوبنهايم في القاهرة يشكل تهديداً للسلم، في الوقت الذي لم يكن فيه الألمان مستعدون بعد لحرب مع البريطانيين [٤] .

وعلى الرغم من أن المسؤولين الألمان واصلو النظر الى الحملة ضد أوبنهايم على أنها ليست إلا جزءاً من جهد بريطاني واسع قصد به الإساءة الى المانيا وزعزعة الثقة بها، إلا أن ارتباطه المستمر بالقنصلية الالمانية في القاهرة أصبح شيئاً لا يمكن الدفاع عنه وإحراجاً لجميع الأطراف[٥]، فتغيرت مواقف من كان يدعمه ويشجع نشاطه، واقترحوا منحه إجازة مدفوعة الأجر لمدة عام، ثم تمت الموافقة على إقالته رسمياً من قبل وزارة الخارجية في تشرين الثاني ١٩١٠م، وللتخفيف من شدة الأمر عليه وتقديراً لجهوده السابقة في خدمة ألمانيا منحه الامبراطور فيلهلم الثاني لقب الوزير المتقاعد[٦].

وإلى جانب تلك الأسباب فقد وجدت أسباب أخرى أدت إلى إنهاء عمل اوبنهايم في القاهرة، ومنها صراعاته المستمرة مع القنصل برنستورف الذي لم يكن مؤيداً لاهتماماته الحماسية تجاه حركة الوحدة الاسلامية وما يمكن أن تفعله مصر في حالة اندلاع حرب أوروبية، والسبب الآخر

---

(١) نقلاً عن: فرح، المصدر السابق، ص ٣٦٥ .

(2) M.Mckale, War by revolution, p. 24 .

(٣) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦٥ .

(4) McMeekin, Op. Cit, p. 27 .

(٥) هيردبي، المصدر السابق، ص ٢٦٥ .

(6) McMeekin, Op. Cit, p. 28 .

هو رغبة اوبنهايم بمتابعة أعمال التنقيب في آثار تل حلف السورية التي اكتشفها سابقاً، والظهور بمظهر عالم آثار مما يتيح له التوغل في أراضي مشروع سكة حديد برلين– بغداد والحصول على دعم القبائل له [١] .

(1) Donald M. McKale, weltpolitik versus Imperium Britannica: Anglo- German rivalry in Egypt 1904-14, Canadian Journal of History/Annales Canadiennes d'Histoire, Vol. XXII, Toronto, 1987, p.p. 198-199 .

ثانياً: التنقيب في آثار تل حلف:

تفرغ أوبنهايم لإعادة التنقيب في تل حلف بعد إقالته من منصبه الدبلوماسي في القنصلية الألمانية بالقاهرة، وعلى الرغم من أن فكرة إكمال التنقيب لم تغادره، إلا أن انشغاله الدائم ونشاطه المستمر من أجل إبراق التقارير الى برلين حال دون ذلك، وفي لقاء جمعه مع مدير المتاحف العثمانية خليل بك، أثناء حضورهما في معرض للآثار في مدينة ميونيخ عام ١٩٠٩، تكلم أوبنهايم معه حول آثار تل حلف وكان خليل بك قد شجعه على إكمال ما بدأه، ونصحه بضرورة الإسراع في الحصول على إذن التنقيب من قبل الحكومة العثمانية[١]، وبالفعل قرر أوبنهايم عام ١٩١٠ إعادة إهتمامه بعلم الآثار، وشعر أن الوقت مناسب لبدء التنقيبات الفعلية في تل حلف، فاستطاع الحصول على إجازة قانونية بذلك من الحكومة العثمانية [٢].

بدأ أوبنهايم تجهيزه لبعثة التنقيب منذ نهاية عام ١٩١٠، وحرص على اختيار أفرادها اختياراً دقيقاً ومهنياً، فتكونت بعثته مجموعة من العلماء ذوي الاختصاصات المختلفة ومنهم عالم الآثار روبرت يوهان كولدوي (Robert Johann Koldewey) [٣]، والمنقب في آثار آشور وبابل فيلكس لانجينيجر (Felix Langenegger)، ومهندس معماري يدعى بول لوفلير (Paul Loffler)، وطبيب مصور يدعى سيمان (Seemann)، إلى جانب خادمه السوري طنوس معلوف، وقد استخدم اوبنهايم اتصالاته وعلاقاته القوية بالخارجية الألمانية لأجل تسهيل مسير وعمل البعثة فطلب منهم التوصية الى قنصليات ألمانيا في استانبول و بيروت و حلب و بغداد و الموصل و دمشق ومرسين

---

(1) Anderson , Op. Cit , p. 295.

(٢) ناديا خوليدس و لوتس مارتين، تل حلف والنقب الأثري فون اوبنهايم، ترجمة: فاروق اسماعيل، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٥٤ .

(٣) روبرت يوهان كولدوي (١٨٥٥م- ١٩٢٥): هو من أشهر علماء الآثار الألمان، متخصص بالهندسة المعمارية ومهتماً بصورة خاصة بعلم الآثار الكلاسيكية وتاريخ العِمارة، كان عضواً في البعثة الاثارية الألمانية التي توجهت الى العراق في خريف عام ١٨٨٦ برعاية إدارة المتاحف الملكية البروسية في برلين وتوجهت تلك البعثة الى خرائب تل هبة وسرغول التي تعرف بمدينة نينا القديمة الواقعة جنوبي العراق فاكتشفت آثاراً مهمة بالقرب من مدينة لجش القديمة، كما أوكلت جمعية الشرق الألمانية مهمة التنقيب عن عدد من المواقع القديمة الى كولدواي عام ١٨٩٧م كما ترأس بعثة المانية للتنقيب في موقع بابل عام ١٨٩٩م، للمزيد ينظر :
سالم الالوسي، المصدر السابق، ص ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

...، لتسهيل رحلته عبر تلك المناطق، وقد غطى اوبنهايم تكاليف البعثة من نفقته الخاصة لكنه طلب من الحكومة العثمانية إعفائه من الرسوم الجمركية على الواردات من معدات وأدوات التنقيب القادمة مع البعثة، وقد تم له ذلك بوساطة من وزارة الخارجية الألمانية، ثم أبرق طلباً إلى القنصلية الألمانية في حلب التي تعتبر نقطة الاتصال الرئيسية الأقرب بموقع تل حلف، من خلال رسالة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٠م طلب فيها تسهيل مهمة نقل المعدات وأدوات التنقيب الى حلب ثم الى تل حلف[١].

ومن جانب آخر فقد فسر البريطانيون إقالة اوبنهايم عن عمله في القاهرة على أنها ليست سوى استراحة مؤقتة قصدت بها وزارة الخارجية الألمانية خداع الرأي العام والتضليل على الدور الخفي الذي سوف يناط به في المرحلة القادمة، فالسلطات البريطانية حاولت لعدة أعوام العثور على بعض الذرائع لترحيله إلا أن الأمر لم يحدث، فاستندت هذه المرة على مجموعة من الوقائع، لا سيما عندما رأت أن خريطة تل حلف قد جاءت بالقرب من مسار سكة حديد بغداد [٢] .

ومن حسن حظ البريطانيين امتلاكهم موقعاً أثرياً في قرية كركميش (Karkamish)[٣] القريبة من تل حلف، وكان التنقيب قد بدأ في كركميش عام ١٨٧٨، وهي على بعد حوالي ستين ميلاً الى الشمال الشرقي من حلب، إلا أن النتائج الضئيلة التي أسفر عنها التنقيب أدت الى التخلي عنه، وعندما وصلت تمديدات سكة حديد برلين – بغداد الى الفرات عام ١٩١٠ تجدد اهتمام البريطانيين بكركميش، ليس بوصفه موقعاً أثرياً فحسب، وإنما موقعاً للمراقبة يمكن من خلاله الاطلاع على تطورات السكة الحديدية وعمل المهندسين و الخبراء الألمان، وقد تهيأت لهم الذرائع والأسباب العلمية الداعية الى ذلك الاهتمام بعدما كشف التنقيب الأخير أن الموقع يحوي آثاراً تعود الى حضارة الحثيين التي لم يعرف عنها إلا الشيء القليل، وعلى هذا الأساس أشعَّر المتحف البريطاني السلطات العثمانية

(1) Anderson, Op. Cit , p. 297 .
(2) Ibid, p. 298 .
(٣) كركميش: أُكتشف الموقع في ١٨٧٨-١٨٧٩م من قبل باتريك هندرسون (Patrick Henderson) القنصل البريطاني في حلب آنذاك، تحت رعاية المتحف البريطاني ، ينظر :
- D. T. Potts, A companion to the archaeology of the ancient near east, V 1, New York, 2012, p. 64 .

بتجدد اهتمامه بموقع كركميش، وعهد الى هوغارث (Hogharth)[١] بإدارة عمليات البحث ومباشرة التنقيب مجدداً في الموقع، ولتحقيق الاطلاع أرسلت حكومة لندن عملاء يعملون في الظاهر بصفتهم قناصل أو رحالة أو تجار أو علماء آثار، مهمتهم الحصول على المعلومات حول طبيعة التحركات الألمانية المشكوك بها، وإرسالها الى مراكز ارتباطهم، فوقع الإختيار على توماس إدوارد لورنس (T.E. Lawrence) [٢]، الذي وصل الى استانبول في نهاية تشرين الثاني ١٩١٠م في طريقه الى كركميش [٣] .

تزامن وصول البعثة البريطانية الى هناك مع مباشرة طاقم المهندسين الألمان الذين يرافقهم أوبنهايم عملهم على إنجاز إحدى خطوات تشييد السكة الحديد، وهي بناء ركائز جسر فوق نهر الفرات، وكان موقع الجسر الى جانب قلعة كركميش مباشرةً، ما يدل على أن الشكوك حول أوبنهايم وإقالته كانت في محلها [٤] فلا ريب أن يكون هدف البعثة مزدوجاً وأن عدداً من أفرادها وأهمهم لورنس كانوا يراقبون تحركات الألمان وما يقومون به من أعمال [٥] .

عمل لورنس انطلاقاً من مهامه الاستخباراتية، شأنه شأن غريمه أوبنهايم، على الإختلاط بأنصاف البدو والفلاحين، والتعرف على المزيد من أساليب حياتهم وتقاليدهم وأخذ يرتدي زيهم

---

(١) هوغارث (١٨٦٢-١٩٢٧): مستشرق ومؤلف بريطاني وأحد علماء الآثار المشهورين، وكان أستاذا لرجل المخابرات البريطاني لورنس في جامعة اكسفورد ورئيساً للبعثة الاثارية المعنية بالتنقيب في موقع كركميش قرب حلب ، للمزيد ينظر :
صبحي العمري، لورنس الحقيقة والأكذوبة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، ١٩٩١، ص ٨٦ .

(٢) توماس إدوارد لورنس (١٨٨٨م- ١٩٣٥): ولد في إحدى قرى مقاطعة كارنافون في ويلز البريطانية، كان اسم والده في الأصل تشامبان، علق بحب مربية بناته الاسكتلندية سارة وعاش معها دون ارتباط بعقد زواج شرعي، ثم عمد تشامبان الى تغيير اسمه الى لورنس، وجاءه من زوجته غير الشرعية خمسة ذكور كان توماس لورنس الثاني بينهم، وبعد أن تنقلت الأسرة اثني عشر عاماً استقرت في مدينة اكسفورد، وبدأ توماس دراسته هناك، وكان منذ صغره قوي البنية و نشيطاً يتميز بقوة الذاكرة، وظهرت هوايته للآثار منذ البداية ونمت مع نموه، مما جعله يعتني بدراسة اللغات فصار يجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية، للمزيد ينظر :
المصدر نفسه، ص ٦٣ .

(٣) فيليب نايتلي و كولن سمبسون، المخفي من حياة لورنس العرب، ترجمة: ايلي لاوند و إبراهيم العابد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت، ص ٤١ .

(4) Anderson, Op. Cit , p. 298 .

(٥) فيليب نايتلي و كولن سمبسون، المصدر السابق ، ص ٤١ .

المحلي، فأخذ بالتعاون مع رئيسه ليونارد وولي (Leonard Woolley)[١] الذي حل محل هوغارث في رئاسة البعثة البريطانية [٢]، بالعمل على نشر الشائعات حول العمل غير المطابق للمواصفات الذي يقوم به اوبنهايم في تل حلف، ونشر القصص الزائفة حول الكنوز الآثارية التي يستحوذ عليها اوبنهايم بطريقة غير قانونية ويقوم بإرسالها الى برلين [٣] .

زار اوبنهايم في منتصف تموز ١٩١٢ موقع كركميش، انطلاقاً من اهتمامه بعلم الآثار[٤]، وكان برفقة عدد من المهندسين وعلماء الآثار الألمان من بينهم هينريخ ميسنر (Heinrich Meissner) المسؤول عن تشييد خط حديد دمشق – المدينة المنورة، وسكة حديد بغداد، والتقوا هناك بلورنس لدقائق قليلة، لاحظ خلالها الأخير أن اوبنهايم مثير للاهتمام وجدير بالمراقبة، كونه موضع شك بالنسبة الى رجال المخابرات البريطانيين، وحسب معلومات وصلته عن اوبنهايم أنه ومنذ وصوله الى تل حلف تردد على زيارة شيوخ القبائل القريبة من موقع سكة حديد بغداد وقدم الهدايا لهم [٥] .

كما تأكد للقنصلية البريطانية في استانبول من خلال المراقبة الدقيقة لتحركات اوبنهايم أن أنشطته لم تقتصر على التنقيب في تل حلف فقط، بل عمل الى حد كبير في الترويج لسكة حديد بغداد بين السكان المحليين، حيث قام بزيارة القبائل العربية التي تعيش على طول طريق إنشاء السكة، مرتدياً الزي العربي[٦]، وتمكن من خلال مساعدة الأمين الألماني السابق للمكتبة الوطنية المصرية في في القاهرة برنهارد مورتس (Bernhard Moritz)[٧] من الحصول على دعم رؤساء العشائر

---

(١) ليونارد وولي (١٨٨٠-١٩٦٠): عالم آثار بريطاني ولد في لندن، عمل أميناً مساعداً لمتحف الاشموليان في أكسفورد (١٩٠٥-١٩٠٧)، اهتم بالحضارة الشرقية ما دفعه للاشتراك في حملة التنقيب في مدينة كركميش (١٩١٢-١٩١٤)، وأجرى أبحاثاً في سيناء ومدينة أور الاثرية، وتل عطشانة في الموصل. للمزيد ينظر:
حسين فهد حماد، المصدر السابق، ص ص ٦٧١- ٦٧٢.

(٢) صبحي العمري، المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(3) Anderson, Op. Cit , p. 298 .

(4) Ibid, p. 299 .

(5) Lawrence James, The golden warrior: The Life and Legend of Lawrence of Arabia , Hachette digital , London, 2005, p. 66 .

(٦) صورة اوبنهايم مرتدياً الزي العربي، ينظر : ملحق رقم (٨) .

(٧) برنهارد مورتس (١٨٥٩ – ١٩٣٩): مستشرق ألماني، قام برحلات الى العراق والمغرب بحثاً عن المخطوطات والآثار، والآثار، رافق عالم الآثار روبرت كولدفاي في عمليات التنقيب عن الآثار في بلاد ما بين النهرين وخلال المدة ١٨٩٦ – ١٩١١ عمل أميناً لمكتبة الخديوي في القاهرة فقام بجولات بحثية في سيناء والحجاز، للمزيد ينظر:
https://de.wikipedia.org/wiki/Bernhard_Moritz .

الكردية والعربية في منطقة وادي الخابور، لمشروع السكة الحديد، كما عمل مع مورتس خلال المدة ذاتها على تحريض بعض القبائل العربية المؤيدة للسكة الحديدية من أجل تقويض قبائل أخرى معارضة لمرور السكة عبر أراضيها، وفي الوقت ذاته فإن علماء آثار ألمان آخرون قد أقاموا علاقات وثيقة مع العرب المحليين في حين نقبوا عن آثار قصر يعود لزمن الخلافة العباسية في سامراء [١] .

وعندما بدأ أوبنهايم بالتنقيب كان فريقه متكوناً من تسعة من الموظفين الألمان الى جانب خمسمئة وخمسون من عمال التنقيب المحليين وأغلبهم من البدو[٢]، وسعياً منه الى إثراء المتاحف الألمانية بمكتشفات تل حلف، فقد أبرق في الرابع والعشرين من شباط ١٩١٢، الى فيلهلم فون بود (Wilhelm von Bode) [٣] أمين متحف القيصر فريدريخ (Friedrich) رسالة شرح فيها أهمية موقع تل حلف، مبيناً حاجته الى وسائل نقل مناسبة لإيصال المكتشفات الى برلين، وأوضح له أن من المؤسف أن تذهب تلك الثروة الأثرية الى استانبول، و أمله بأن يكون لألمانيا نصيبها من ذلك النتاج العلمي الكبير، كما أعطى اوبنهايم للتصوير الفوتوغرافي دوراً رئيسياً خلال عمليات التنقيب، فقد أنشأ غرفة خاصة في مقر البعثة قرب موقع التنقيب، من أجل تسجيل وإجراء التحليلات البصرية للعينات الأثرية المستخرجة[٤] .

عاد أوبنهايم الى ألمانيا أواخر صيف عام ١٩١٣ بعد انتهاء عمليات التنقيب، مخلفاً وراءه الكنوز الأثرية الضخمة التي تحتاج الى اهتمام المسؤولين الألمان لنقلها وإدراجها ضمن قائمة الكنوز الشرقية المحفوظة في متاحف ألمانيا وأوروبا، ولأجل ذلك حاول أوبنهايم إقناع المتاحف الملكية في برلين بأن تقوم بإيواء جزء من مكتشفات تل حلف، التي تمكن بعد مصاعب وجهد كبيرين من إقناع

---

(1) Donald M. Mckal, Germany and the Arab Qustion Before World War I, The Historian, Vol. 59, No. 2, Wiley, New York, 1997, p. 316 .

(2) Max von Oppenheim, Tell Halaf La plus ancienne capitale soubaréenne de Mésopotamie, Syria, T. 13, Fasc. 3, Damas, 1932, p. 242 .

(٣) فيلهلم فون بود (١٨٤٥- ١٩٢٩): مؤرخ ومدير متاحف ألماني، ساعد في رفع مكانة متاحف برلين الى مكانة بارزة على مستوى العالم، بعد دراسته الفنون أصبح مساعداً في ادارة متحف برلين عام ١٨٧٢، وفي ١٩٠٦ تم تعيينه مديراً عاماً لجميع المتاحف الملكية الألمانية، وبقي في منصبه حتى تقاعده عام ١٩٢٠م، للمزيد ينظر:
https://www.britannica.com/biography/Wilhelm-von-Bode .

(4) Peter Hewitt Christensen, Architecture, Expertise and the German Construction of the Ottoman Railway Network, 1868-1919, Doctoral dissertation, Harvard University, 2014, p.p. 301- 302 .

السلطات العثمانية بالسماح له بشحنها الى ألمانيا، كما طلب من المتاحف الألمانية المساهمة بحوالي ٢٧٥,٠٠٠ مارك، كنفقات للترميم والتغليف والتأمين والشحن، لكنه لم يتوصل الى إتفاق مقبول معهم، حيث رفضت جمعية الشرق الأدنى المسؤولة عن متحف القيصر فريدريخ إستيعاب القطع الآثارية بحجة معاناتها من الضائقة المالية (١)، لذا بقيت الآثار مهددة بالخطر المحتمل فقد اندلعت الحرب العالمية الاولى، ولم يتمكن اوبنهايم من العودة الى موقع تل حلف، نظراً لإستدعائه من قبل الحكومة الألمانية للتفرغ مجدداً للعمل الاستخباراتي عام ١٩١٤ (٢).

وقد تحدث اوبنهايم عن المدة التي قضاها باحثاً ومنقباً في تل حلف، قائلاً :

" **خلال إقامتي الأولى لمدة عامين ونصف في تل حلف من ١٩١١ الى ١٩١٣م قمت فضلاً عن أعمال التنقيب، برحلات دراسية جديدة قادتني إلى قلعة شرقاط اشور على نهر دجلة، حيث كانت جمعية الشرق الألمانية تنفذ أعمالاً تنقيبية، وكما في رحلاتي السابقة كنت اتابع هدفاً مزدوجاً هو : متابعة بقايا الحضارات القديمة وبالأخص تحديد دائرة انتشار أقدم حضارة عرفها تل حلف من خلال دراسة التلال الواقعة في محيطه من جهة، والقيام بزيارات متكررة الى قبائل بدوية جديدة أو الى بطون منها بهدف جمع أكبر قدر ممكن من المواد لكتاب البدو، من جهة اخرى هذه الرحلات كانت تعد بعناية في معسكرنا على تل حلف، فكنت اختار لكل مرحلة منها أفضل الأدلاء من البدو، بوجه عام، كانت الرحلات تتم في الصيف قبل كل شيء لتحديد مواقع المياه في البوادي التي كان لها أهمية عظيمة بالنسبة لحياة البدو ... كنت أتلقى في تل حلف نفسه زيارات أهم شيوخ البدو ممن لا يترددون في القيام بأسفار تستمر أياماً عديدة من أجل القدوم إلي، ... كنت رجلاً معروفاً في جميع ارجاء الصحراء السورية وبلاد ما بين النهرين وحتى العراق، وقد عقدت أواصر علاقة شخصية وطيدة مع عدد كبير من شيوخ هذه المنطقة** " (٣).

---

(١) ناديا خوليدس ولوتس مارتين، المصدر السابق، ص ص ١٢٠ – ١٢٤ ؛

-Gossmsn, Op. Cit, p. 147.

(٢) ناديا خوليدس و لوتس مارتين، ((تل حلف والمنقب ماكس فرايهر اوبنهايم))، مجلة آفاق المعرفة، عدد ٦٢٨، دمشق، ٢٠١٦، ص ٣١١ .

(٣) نقلاً عن: أوبنهايم، البدو، ج١، ص ص ٦٠ – ٦١ .

الفصل الثالث

دور اوبنهايم في الدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) .

- المبحث الأول: مقترحات اوبنهايم وخططه لنشر الدعاية الألمانية ١٩١٤م.

اولاً: ظروف وأسباب إختيار اوبنهايم لتولي مهام الدعاية.

ثانياً: مذكرة اوبنهايم الى الحكومة الألمانية في تشرين الاول ١٩١٤.

ثالثاً: إعلان الجهاد العثماني وتطور عمل اوبنهايم .

رابعاً: دور اوبنهايم في عمل البعثات الألمانية الى العالم الإسلامي.

- المبحث الثاني: دور وكالة اخبار الشرق في نشر الدعاية الألمانية.

أولاً: التنظيم الداخلي لوكالة أخبار الشرق.

ثانياً: نشاطات ومهام الوكالة.

- المبحث الثالث: دور اوبنهايم في الدعاية للحرب المقدسة ١٩١٥- ١٩١٨ .

أولاً: لقاء اوبنهايم مع الأمير فيصل بن الحسين ١٩١٥ .

ثانياً: رحلة اوبنهايم الى بلاد الشام ومصير الدعاية الالمانية حتى عام ١٩١٨.

المبحث الأول: **مقترحات أوبنهايم وخططه لنشر الدعاية الألمانية ١٩١٤م** .

أولاً: **ظروف وأسباب اختيار أوبنهايم لتولي مهام الدعاية**:

نتيجة لعمله في الشرق بوصفه دبلوماسياً وعالم آثار ومعرفته الواسعة بأوضاع العالمين العربي والاسلامي وارتباطه بصداقات مع عدد كبير من الشخصيات السياسية والحزبية والفكرية العربية والاسلامية، استطاع أوبنهايم أن يكسب ثقة إمبراطور ألمانيا كونه يمتلك برنامجاً واسعاً لمناهضة دول الوفاق الودي [١]، في مناطق نفوذها واستعمارها وذلك أثناء أشد مراحل التنافس الاستعماري التي سبقت الحرب العالمية الاولى، فقد دعا باستمرار من خلال تقاريره الى إستغلال مشاعر المسلمين في إذكاء نيران الجهاد الاسلامي ضد أعداء ألمانيا، ومن هنا أُطلق عليه لقب "الأب الروحي للجهاد الإسلامي" في حين وصفته الدوائر البريطانية "جاسوس القيصر" " Kaiser's Spy" وقد سببت سياسته الداعمة لحركة الجامعة الاسلامية إرباكاً لدى الدوائر الاستعمارية البريطانية والفرنسية وأزعجت بشكل خاص المندوب السامي والحاكم البريطاني في مصر لورد كرومر مما أدى الى مطالبات رسمية بإبعاده عن العمل في مصر لأكثر من مرة [٢].

---

(١) الوفاق الودي(Entente cordiale)1904 : أُطلق هذا المصطلح على التحالف الذي عقد بين بريطانيا والحلف الثنائي المتكون من فرنسا وروسيا، ويعود ذلك الى رغبة بريطانيا في التقرب من فرنسا بالخصوص لعدة أسباب فألمانيا أخذت تثير الكثير من المتاعب والمخاوف في الدوائر السياسية البريطانية بسبب الجهود الضخمة التي كان يبذلها الامبراطور فيلهلم الثاني لإنشاء أسطول ألماني حربي يضارع الأسطول البريطاني، كما كانت الدبلوماسية الالمانية نشطة للغاية من اجل تنفيذ مشروع سكة حديد برلين- بغداد الذي اعتبره البريطانيون رأس حربة مصوبة الى الهند، كما تصاعدت المضايقات الألمانية لحكومة الاحتلال البريطاني في مصر مما جعل البريطانيين مضطرين للحصول على تأييد فرنسا لمشروعاتهم الاستعمارية في مصر والسودان، كما أرادت بريطانيا تجنب الصدام مع فرنسا في مجالها الحيوي مثل المغرب، وقد انعكست مشاعر التقارب بين الطرفين على طبيعة العلاقات الودية بينهما، فقد ساعدت الزيارة التي قام بها ملك بريطانيا إدوارد السابع إلى فرنسا في خلق جو الألفة والتعاطف بين الصحافة الفرنسية والبريطانية وبين الشعبين، فاتجه الطرفان إلى الدخول في مفاوضات تمهيدية حددت المشكلات الرئيسية المعلقة، وانتهت المفاوضات بعقد الوفاق الودي في ٨ نيسان ١٩٠٤م، ينظر:
عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ص ٤٢٠- ٤٢١ .
(٢) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ص ٨٣ - ٨٤ .

كما اتضح بشكل كبير تأثر الامبراطور فيلهلم الثاني باستراتيجية الحرب المقدسة التي أكد عليها اوبنهايم، من خلال الاهتمام بالدولة العثمانية وتأكيد التحالف الوثيق معها تمهيداً لاستغلال ذلك في مواجهة دول الوفاق، فقد كتب الامبراطور في تموز ١٩١٤م برقية الى الجنرال اوتو ليمان فون ساندرز (Otto Liman Von Sanders)[١]، رئيس البعثة العسكرية الألمانية في استانبول المسؤولة عن إعادة تنظيم الجيش العثماني، طالباً منه البقاء لمدة أطول[٢]، وجاء في جزء من برقيته :

" **على قناصلنا وعملائنا في تركيا والهند تحريض كل العالم الاسلامي من أجل الثورة الضارية ضد شعب صغار التجار، المكروه وعديم الضمير (بريطانيا)، فعندما ننزف نحن، فعلى بريطانيا أن تخسر الهند على الأقل** " [٣] .

وبسب تصادم المصالح الأوروبية مع الدولة العثمانية، فقد شعرت كل من الإمبراطورية الألمانية والدولة العثمانية بضرورة الإسراع في عقد حلف عسكري بينهما، فبادر أنور باشا وزير الحربية في الثاني والعشرون من تموز ١٩١٤، باقتراح عقد معاهدة دفاع ضد روسيا، وفعلاً عقدت معاهدة التحالف السرية في الثاني من آب ١٩١٤م بين كل من الدولة العثمانية من جهة وألمانيا والنمسا من جهة أخرى وتضمنت تقديم المساعدات الحربية للدولة العثمانية من ألمانيا في حالة نشوب حرب، وأن تتولى ألمانيا الدفاع عنها إذا ما هددت بحرب، وعلى أثر ذلك انضمت البعثة الحربية الالمانية تحت قيادة فون ساندرز للجيش العثماني [٤] .

---

(١) اوتو ليمان فون ساندرز (١٨٥٥-١٩٢٩): قائد عسكري ألماني، ولد في منطقة ستولب (Stolp)، التابعة لمدينة بوميرانيا (Pomerania) الألمانية، وقد بدأ حياته العسكرية في عمر الشباب عام ١٨٧٤م، والتحق بفوج المشاة ١١٥ التابع للجيش الامبراطوري الألماني، وسرعان ما نُقل الى سلاح الفرسان، وتمت ترقيته الى رتبة لواء (Major- General) وخدم في هيئة الأركان العامة الألمانية حتى عام ١٩٠٦، للمزيد ينظر:
Ronald Pawly, The Kaisers warlords: German commanders of world war I, Osprey Publishing, London, 2003, p. 49 .

(٢) سنو، ألمانيا والاسلام . . .، ص ٨٧ .

(3) Quoted in: David Olusoga, The world's war, Head of Zeus, London, 2014, p. 92 .

(٤) لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الاولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٢ .

أيد مسؤولو الحكومة الالمانية التحالف الأخير مع الدولة العثمانية، لتنفيذ فكرة الحرب المقدسة التي دعا اليها أوبنهايم سابقاً، فقد كتب هلموت فون مولتكه (Helmuth von Moltke)[١]، رئيس أركان الجيش الألماني، إلى وزارة الخارجية في ٢ آب ١٩١٤، وبمناسبة توقيع معاهدة التحالف، قائلاً :

" **إن إحداث تمردٍ في الهند ومصر وكذلك في القوقاز له أهمية قصوى، ومن خلال معاهدة التحالف مع الدولة العثمانية، أصبح بإمكان وزارة الخارجية تنفيذ هذه الأفكار وتحريض الدول الاسلامية المتعصبة** " [٢] .

وتعقيباً على رسالة مولتكه، فإن الحكومة الألمانية وموظفوها نظروا كغيرهم من الاوروبيين، الى الجامعة الاسلامية على أنها حركة تعصب ديني ضد أوروبا المسيحية، ومن جهة أخرى فإنهم يحتاجون إلى تعصبها في صراعهم مع دول الوفاق، كونها الوسيلة الوحيدة القادرة على خدمة أهداف بلادهم من الحرب، عبر تجييش المسلمين خلف شعاراتها ومضامينها، لذلك فإن إعلان الجهاد كان أحد الشروط الألمانية للتحالف مع الدولة العثمانية، ووصف مراقبون ألمان بأن إعلان الجهاد المقدس من قبل السلطان العثماني سيكون وسيلة قوية تسير جنباً الى جنب مع الجيوش العثمانية في مستعمرات العدو، كما أن الجهاد سيجعل من دول الوفاق ليس عدواً للدولة العثمانية فحسب وإنما للإسلام قاطبةً [٣] .

تمكنت ألمانيا إذاً بفضل خطابها السياسي الداعم للإسلام وتطور علاقاتها بالدولة العثمانية في مختلف المجالات، وإعلانها عن سياسة الحفاظ على سلامة تلك الدولة والابتعاد عن الإستعمار

(١) هيلموت فون مولتكه (١٨٤٨-١٩١٦): ولد في مدينة جيرسدورف (Gersdorf)، وقد انظم الى الجيش الالماني منذ عام ١٨٦٩م وتلقى تدريبه العسكري الدقيق، واكتسب خبرة القيادة في فوج الحرس، وقد أصبح معاوناً لعمه الذي كان رئيساً للأركان العامة، ثم تمت ترقية فون مولتكه الى رتبة عقيد (Colonel) عام ١٨٩٥م، والى لواء بعد أربعة أعوام، وتولى في عام ١٩٠٠م قيادة شعبة الحرس الأولى في الجيش الألماني، ثم عينه الامبراطور فيلهلم الثاني رئيساً لهيئة الأركان العامة الألمانية في ١٩٠٦م، للمزيد ينظر:
- Pawly, Op. Cit, p. 55 .

(٢) نقلاً عن: سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٨٨ .

(٣) عبد الرؤوف سنو، "الإسلام في الدعاية الالمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الاولى"، مجلة بحوث تاريخية مهداة الى منير اسماعيل، دار نشر السياسة والتاريخ، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٨٤.

تجاه ممتلكاتها، أن تصبح الدولة المفضلة لدى العثمانيين ومصدر أمل المسلمين في التحرر من الاستعمار الأوروبي، واعتقد الإتحاديون أن ألمانيا يمكنها حماية دولتهم من خطر التقسيم، ومن ثم يمكن للدولة العثمانية استعادة مكانتها الدولية وأجزاء من ولاياتها التي خسرتها، كما اعتقدوا أن بإمكانهم إعادة فرض سلطانهم على المسلمين وعودة دولتهم مجدداً سيدة الشرق، و أن انتصارهم في الحرب إلى جانب ألمانيا يمكن أن يغير الكثير مما خسروه سياسياً على الساحة الدولية، و يمكن عندها إعادة قوة الدولة العثمانية اقتصادياً وسياسياً وتحديثها(١).

أما السلاح الأبرز الذي شغل حيزاً كبيراً من اهتمام المسؤولين الألمان، هو بث الدعاية الألمانية الهادفة الى تحريض العرب والمسلمين على الثورة ضد دول الوفاق عند اندلاع الحرب، وقد حظي المقترح بموافقة القيادة الألمانية وتأييدها، ففي الحادي والثلاثين من تموز ١٩١٤م دعا المستشار الألماني بتمان هولفغ الى ضرورة قيام ألمانيا الى جانب الحرب العسكرية ضد العدو، أن تصد أيضاً دعايته الكاذبة حول ألمانيا والنظرة الخاطئة التي تعطى عنها، فتطلب ذلك القيام بدعاية مضادة من خلال طبع منشورات وتوزيعها داخل أوروبا وخارجها(٢) .

ومن أجل اتخاذ الخطط المناسبة للدعاية عن ألمانيا وحلفائها، استدعت وزارة الخارجية الالمانية اوبنهايم في الثاني من آب ١٩١٤(٣) يوم توقيع المعاهدة السرية مع العثمانيين، لكي يتولى مهمة وضع خطط بث الدعاية الالمانية أثناء الحرب العالمية، فوافق اوبنهايم ولم يتردد عن خدمة وزارة الخارجية، وباشر معها برسم مخططاته الطموحة حيث رأى بأن الدعاية الجهادية يجب أن تنطلق من برلين نفسها من خلال إنشاء مركز تبادل معلومات ومخابرات تكون مهمته نشر الدعاية المضادة لدول الوفاق الودي، وأن يتم توزيع نشرات الدعاية باللغات الألمانية، الفرنسية، الانجليزية، الروسية والهولندية على الجبهة الغربية، و باللغات العربية، العثمانية، الفارسية

(١) سنو، ألمانيا والاسلام . . .، ص ٩٠ .
(٢) المصدر نفسه، ص ٩١ .
(3) Kamran Arjomand, Die iranische Moderne im Exil: Bibliographie der Zeitschrift Kave,Berlin 1916-1922 by Tim Epkenhans, International Journal of Middle East Studies, Vol. 34, No. 1, Cambridge, 2002, p. 149 .

والهندوستانية في الشرق إلى جانب اللغة السواحيلية في بلدان شرق أفريقيا الألمانية والبريطانية [١]. بذلك فإن فكرة إثارة الجهاد الاسلامية في الحرب، هي صنع ألماني بدراسة وتخطيط من اوبنهايم.

كانت ألمانيا منذ الثامن والعشرين تموز ١٩١٤م قد أعلنت الحرب على صربيا بعد رفضها الإستجابة لطلب النمسا حول الاعتراف بأن المتمردين الصربيين كانوا المسؤولين عن إغتيال ولي عهد النمسا والمجر في سراييفو وعدم تسليمهم الى فيينا لمحاكمتهم هناك، لذلك حشدت روسيا في الحادي والثلاثين من تموز جيشها بصفتها حليفةً لصربيا، وهذا ما دفع ألمانيا في الثالث من آب الى تعبئة جيشها أيضاً وإعلان الحرب على روسيا وحليفتها فرنسا، كما قامت ألمانيا بإذكاء شرارة نيران الحرب العالمية الأولى عندما أقدمت على اختراق حياد بلجيكا واحتلالها، مما دفع بريطانيا الى توجيه إنذار شديد للحكومة الالمانية طالبتها فيه بسحب قواتها من بلجيكا، ونتيجة لعدم استجابتها أعلنت بريطانيا الحرب عليها رسمياً في الرابع من آب ١٩١٤م [٢]، فأخذ اوبنهايم في تلك الأثناء يعمل على صياغة مخططات الدعاية الألمانية ورأى بأن عاملين ضروريين لنجاح تلك الدعاية في المناطق التي تستعمرها بريطانيا وفرنسا وروسيا، العامل الأول هو تعزيز التعاون الوثيق بين ألمانيا والدولة العثمانية، والثاني هو دعم إنشاء المنظمات الإسلامية والقومية المتطرفة في عدائها لدول الوفاق، إنطلاقاً من مصالح التحالف الألماني العثماني المشتركة المتمثلة بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية من خطر التقسيم من جهة، والرغبة المشتركة في مواجهة و هزيمة دول الوفاق وإضعاف نفوذها وهيمنتها في الشرق من جهة أخرى[٣].

دَوّنَ أوبنهايم مخططاته على شكل مذكرات وتقارير ليقوم بتقديمها الى الحكومة الألمانية في برلين مباشرة، وفي هذا السياق كتب مذكرتَين بتاريخ الثامن عشر من آب ١٩١٤م الى المستشار بتمان هولفغ، أكد فيهما على ضرورة دعم المجهود الحربي الألماني بخطة منسقة تقوم

---

(1) McMeekin , Op. Cit, p. 90 .

(2) Gossman, Op. Cit, p. 81 .

(3) Jules Stewart , The Kaiser's mission to Kabul, I.B Tauris, London, 2014, p. 30 .

على ترجمة أخبار الحرب الى لغات مختلفة وإيصالها الى الشعوب الاسلامية، ولذلك الغرض اقترح اوبنهايم توظيف المحاضرين المسلمين اللذين يعملون في معاهد الاستشراق و الجامعات الألمانية [١] .

كما أكد في مذكرتَيه على أن تقوم ألمانيا بتجهيز وتسليح الجماعات الاسلامية الصوفية المتشددة الموجودة في ليبيا واليمن والسودان، وأن تدعوا الحكومة الألمانية المنفيين كالخديوي المصري المخلوع عباس حلمي الثاني للحصول على تأييده المهم، وأن ترفع مستوى التمرد والكفاح الاسلامي والقومي ضد فرنسا وبريطانيا في بلدان الشمال الافريقي وفي روسيا والهند من خلال دعوة أبناء تلك البلدان المبعدين بسبب الاحتلال والذين يعيشون في استانبول وأوروبا، وتنظيمهم على شكل لجان ثورية وتشجيعهم ودعمهم بالمال والسلاح بالتعاون مع الحكومة العثمانية، كما أوصى بأن يكون الوصول الى الهند البريطانية من خلال تحريض أمير أفغانستان حبيب الله خان[٢] على غزوها بواسطة جيش من المسلمين الأفغان، حيث رأى اوبنهايم بأن الأمير الأفغاني يمكن أن يجهز حوالي ٤٠-٥٠ ألف مقاتل مسلم مسلح [٣] .

ونتيجة لإعجاب المستشار الالماني بمخططات اوبنهايم الطموحة، فقد منحه الإذن بإنشاء وترأس مكتب صغير داخل وزارة الخارجية الألمانية يقوم بترجمة أخبار الحرب وإنتاج منشورات الدعاية المؤيدة لألمانيا [٤]، وتوزيعها في أنحاء العالم الاسلامي باللغات العربية والعثمانية والفارسية والتترية والأردية والصينية [٥]، ومنذ أيلول ١٩١٤ أصبح اوبنهايم يساهم بشكل كبير في

(1) Jacob M. Landau, Pan–Islam history and politics, Routledge, London, 2016, p. 105.

(٢) حبيب الله خان (١٨٧٢- ١٩١٩): نجل عبد الرحمن خان أمير أفغانستان (١٨٨٠-١٩٠١)، ولد في طشقند، وتولى إمارة افغانستان عام ١٩٠١ خلفاً لوالده، والتزم الحياد تجاه الأطراف المتحاربة طول مدة الحرب العالمية الاولى، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها كل من الحكومة العثمانية والألمانية لجذبه الى جانبهما، تم اغتياله في مقاطعة لغمان ١٩١٩، للمزيد ينظر:
فؤاد صالح السيد، أعظم الأحداث المعاصرة (١٩٠٠ – ٢٠١٤)، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ٢٠١٥، ص٩٩.

(3) McMeekin, Op. Cit, p. 91 .
(4) M. Mckale , War by revolution, p. 59 .
(5) M. Landau, Op. Cit , p. 105 .

تأمين تكاليفه، ويساعده في إدارته كارل إميل شابنغر فون شوفنغن (Karl Emil Schabinger Von Schowingen) [١]، والباحث في الشؤون الشرقية اويغين متفوخ (Eugen Mittwoch)[٢]، وقد أخذ على عاتقه مهمات عديدة تمثلت بنشر مطبوعات صحف وتقارير الحرب، والقيام بدور فعال في الاستخبارات الخارجية الألمانية، وإشعال النشاطات الثورية في أماكن محددة من العالم الإسلامي[٣].

استغل اوبنهايم كل جهد ومصدر ممكن لتنفيذ مخططاته، فاجتمع في برلين بعدد من الثوار الهنود اللذين كانوا مستعدين للتعاون مع المانيا، وشكل من خلالهم لجنة الاستقلال الهندية في برلين [٤]، بوصفها لجنة وطنية تقدم المشورة إلى وزارة الخارجية الالمانية بشأن أفضل الوسائل لنشر دعايتها الحربية في الهند بما في ذلك الدعاية الاسلامية [٥]، وأخذ أوبنهايم ينظم تلك اللجنة من خلال تجنيد مجموعتين من الهنود ضمت الأولى الطلبة الجامعيين الذين يعيشون في برلين والمناطق الأخرى المتعاطفين مع ألمانيا في الحرب، أما المجموعة الثانية فتشمل المتطرفين البنغال والسيخ، مع تأييد واسع من قبل الجاليات الهندية المهاجرة في غرب أمريكا و شرق آسيا، وقد تمكن اوبنهايم من تجنيد العديد من الأعضاء الى صفوف اللجنة من أماكن مختلفة، فمن سويسرا استطاع تجنيد الناشط البنغالي تشاتو باديايChatto phadhyaya) [٦]، والمنفي من جنوب الهند

---

(١) شابنغر فون شوفنغن (١٨٧٧ – ١٩٦٧): دبلوماسي ومترجم ألماني في وزارة الخارجية، والذي خلف أوبنهايم في رئاسة قسم وكالة أخبار الشرق في برلين بعد توجه اوبنهايم الى استانبول عام ١٩١٥، للمزيد ينظر: سنو، ألمانيا والاسلام . . .، ص ٩٤ .

(٢) أويغين متفوخ: أستاذ متخصص بتاريخ الحضارة المصرية في جامعة برلين، للمزيد ينظر :

- Jefferson Adams, Historical dictionary of German intelligence, Toronto, 2009, p. 314.

(3) M. Mckale , War by revolution, p. 67 .

(4) Kris Manjapra, Age of entanglement : german and Indian intellectuals across empire, Harvard university press, Cambridge- Massachusetts, 2014, p. 88 .

(5) Shiraz Maher, Ties that Bind: How the story of Britain's Muslim Soldiers can forge a national identity, London , 2011, p. 30 .

(٦) تشاتو باديايي: ولد عام ١٨٨٠م في عائلة من أصل بنغالي، وبعد مسيرة علمية رائعة أصبح والده مؤسساً ومديراً لكلية حيدر آباد، وكان ناشطاً في تشكيل المؤتمر الوطني الهندي، أما شقيقته فهي ساروجين نايدو (Sarojini Naidu) اشتهرت بوصفها شاعرة وبعد الحرب عملت بشكل وثيق مع المهاتما غاندي في حملة ال=

الهند جامباك رامان بيلاي (Champak Raman Pillai)[١]، وفي ألمانيا قام بتجنيد المؤرخ الهندي بوبيندرانات دوتا (Bhupendranath Dutta)، و براباكار (Marthe Prabhakar) [٢].

كما انظم الى اللجنة بعض الهنود المهاجرين الى الولايات المتحدة من قادة حركات التمرد في الهند وهما طارق ناث داس(Tarak nath Das) [٣]، والعضو المسلم مولوي بركة الله (Maulvi Barakat Allah)[٤]، وعلى الرغم من الحماس الكبير الذي تميز به اولئك الاعضاء لكنهم كانوا مبتدئين في السياسة لذلك فقد كثف اوبنهايم من جهوده للاتصال بثوار أكثر خبرة بالتخطيط والتنظيم [٥] فتمكن من تجنيد أحد الشخصيات البارزة الى اللجنة وهو القومي الهندي هار دايال (Har Dayal) [٦]، وحدد اوبنهايم مهام اللجنة التي تتمثل بالتحريض على التمرد

= (لا عنف) في مجابهة الاحتلال البريطاني، ويعود تبني تشاتو باديايي للمبادئ الثورية الى عام ١٩٠٩، للمزيد ينظر:

- Antony Best, Britains retreat from empire in east Asia 1905 – 1980, Routledge, London, p. 26 .

(١) جامباك رامان بيلاي: كان رئيساً لمجموعة وطنية في مدينة زيوريخ الالمانية تسمى(لجنة الولاء للهند الدولية)، وناشراً لمجلة الولاء للهند (Pro India) التي بدأت بالنشر قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، للمزيد ينظر:

- Emily Clara Brown, Har Dayal: a portrait of an Indian intellectual, Doctoral Dissertation, the University of Arizona, USA, 1967, p. 341 .

(٢) براباكار: طالب هندي درس في جامعة هايدلبرغ (Heidelberg) الالمانية، ثم امتهن التدريس في جامعة دويسلدورف (Dusseldorf) في المانيا، للمزيد ينظر:

- Thomas G. Fraser, Germany and Indian revolution 1914-1918, Journal of contemporary history, Vol. 12, No. 2, New York, 1977, p. 257 .

(٣) طارق ناث داس: أحد الوطنيين الهنود المبعدين، عاش في أمريكا منذ عام ١٩٠٨، ودرس لثلاثة فصول دراسية في جامعة كاليفورنيا من ١٩١٢م الى ١٩١٤م، وحصل على الجنسية الأمريكية في حزيران ١٩١٤م، للمزيد ينظر:

- Brown, Op. Cit, p. 343 .

(4) Richard J. Popplewell, British intelligence and the defence of the Indian empire 1904- 1924 , Frank Cass, London, 1995, p. 177 .

(5) G. Fraser, Op. Cit, p. 257 .

(٦) هار دايال (١٨٨٤-١٩٣٩): عرف بأنه قومي هندي متحمس فقد كان له دور في تشكيل حزب تمرد (Ghadr) في سان فرانسيسكو عام ١٩١٣، وكان له أنشطة دعاية قومية بين آلاف من السيخ الذين كانوا يعملون

الهندي من خلال إثارة التطرف في بين صفوف الجيش الهندي المنتشر على الجبهة الغربية والشرق الأوسط، وفي رفاقهم الموجودين في مستعمرة الهند نفسها، وإيصال المنشورات الثورية التي يتم إعدادها في برلين، على أن تحمل تلك المنشورات طابعاً سياسياً تدعوا الهنود إلى المطالبة بحق تقرير المصير والتحرر من الاستعمار البريطاني[١] .

تمكنت وزارة الخارجية الالمانية بمساعدة لجنة الاستقلال الهندية من الاتصال بالثوار الهنود في الولايات المتحدة، فقد تحولت السفارة الالمانية في واشنطن الى مركز للتواصل بين الثوار من جهة والوزارة والوكلاء الهنود الذين يعملون لصالحها في الشرق الاوسط من جهة أخرى، و قام السفير الالماني في واشنطن فرانز فون بابن **(Franz Von Papen)** [٢] بتنظيم عمل الجماعات الثورية الهندية من خلال تقديم الأموال وأوراق المرور المزورة التي مكنتهم من السفر بين الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا ثم أخذت شحنات الأسلحة الألمانية تصل الى الهند لتجهيز الشباب الثوري الذي يسعى الى إسقاط حكومة الاحتلال[٣] .

بوصفهم مزارعين في الساحل الغربي للولايات المتحدة الامريكية، ثم عاد هار دايال الى الهند في بداية اندلاع الحرب العالمية الاولى، وحاول تنظيم ثورة مسلحة ضد البريطانيين، للمزيد ينظر:

- Brown, Op. Cit, p. 1 .

(1) Olusoga, Op. Cit, p. 301 .

(٢) فرانز فون بابن (١٨٧٩- ١٩٦٩): سياسي ودبلوماسي ألماني، شغل منصب الملحق العسكري في واشنطن، قبل الحرب العالمية الاولى، وتم إبعاده بسبب اتهامه بالتجسس، فتم استدعائه للخدمة العسكرية على الجبهة الغربية وهناك أعد بابن مجموعة من التقارير التي تشير الى أساليب مختلفة لإحداث الجهاد وقد قدم تلك التقارير الى هيئة الاركان العامة الالمانية، ثم شغل منصب رئيس هيئة أركان الجيش العثماني الرابع في فلسطين حتى نهاية الحرب، ثم أصبح نائباً عن الجناح اليميني في الحزب الكاثوليكي الوسطي من ١٩٢١ – ١٩٣١م، وتم تعيينه رئيساً للوزراء في عهد جمهورية فيمار، فأعلن عن توقف المانيا عن دفع تعويضات الحرب العالمية الاولى، وقد استقال من رئاسة الوزراء ليساهم في إيصال هتلر اليها، فقد اتفق مع الامبراطور هندنبرغ حول تعيين هتلر رئيساً للوزراء، ينظر :

- C. L. Sulzberger, German Preparations in the Middle East, Foreign Affairs, Vol. 20, No. 4, USA, 1942, p. 664 ;

الخوند، المصدر السابق، ج٣، ص ص ١١٥- ١١٦ .

(3) M. Mckale, War by revolution , p.p. 78 - 79 .

وتزامناً مع إرسال الأسلحة وإشعال نيران التمرد قررت القيادة الألمانية بناء على توصيات أوبنهايم، التنسيق مع الدولة العثمانية بشأن إرسال البعثة الدبلوماسية الى أفغانستان، المكلفة بإقناع الأمير حبيب الله خان بالهجوم على الهند، حيث دعم السفير الالماني في استانبول فون فنغنهايم **(Von Wangenheim)** [١]، وجهة نظر وزير الحرب العثماني أنور باشا الذي ادعى بأنه كان على اتصال دائم مع الأمير الأفغاني حبيب الله وأن الأمير مستعد لأي عملية عدائية ضد بريطانيا وروسيا، لذلك وضعت وزارة الخارجية في برلين لجنة خاصة لتنظيم البعثة الى بلاد فارس وأفغانستان، وكان اوبنهايم أحد أعضاء تلك اللجنة، إلى جانب آرنست ياكه **(Ernst Jaeckh)**[٢] مستشاره للشؤون العثمانية [٣]، وفي يوم انعقاد اجتماع اللجنة في مقر وزارة الخارجية بشأن بعثة أفغانستان زار فيلهلم فاسموس **(Wilhelm Wassmus)** [٤] القنصل الألماني في بوشهر

---

(١) فون فنغنهايم (١٩١٢م – ١٩١٥): أحد رجال الامبراطور الالماني فيلهلم الثاني، وسفيره الى استانبول، خدم الحكومة الالمانية في سفاراتها في كوبنهاغن ومدريد واثينا والمكسيك فاكتسب خبرات ثمينة، و جمع بين مبادئ الألمان الحربية وحنكة البريطانيين السياسية، وقد جاء الى استانبول وله غاية يسعى ورائها وهي تأكيد وضمان مساعدة الحكومة العثمانية لألمانيا في الحرب، للمزيد ينظر :

هنري مورغنثو، مذكرات السفير الأمريكي في الاستانة، ترجمة: فؤاد صروف، المركز الأكاديمي للأبحاث، تورونتو- كندا، د . ت ، ص ١٤ .

(٢) آرنست ياكه (١٨٧٥- ١٩٥٩): ولد في مدينة أوراخ (Urach) الالمانية عام ١٨٧٥م، وبدأ مسيرته الاحترافية بعد الانتهاء بنجاح من دراسته للدكتوراه في عام ١٨٩٩، ثم تولى منصب رئيس تحرير صحيفة هايلبرون – نيكار (Heilbronner- Neckar) لأكثر من عقد من الزمان حتى عام ١٩١٢م ، وبعد الانتهاء من عمله في الصحيفة كرس اهتمامه بالإمبراطورية العثمانية، حيث كان قد ذهب في رحلة بحرية لها منذ عام ١٩٠٨، وقد طور اهتمامه بالشعب التركي وثقافته، ثم أخذ يستخدم علاقاته وقدراته على تكوين العلاقات القوية في كل مكان من ألمانيا والدولة العثمانية من أجل تعزيز التحالف الالماني العثماني في السنوات التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى وأثناء الحرب، للمزيد ينظر:

- George Griffin, Ernst Jackh and the search for German cultural Hegemony in the ottoman empire, Master Thesis, Bowling Green state University, Ohio-USA, 2009, p.p. 3- 4.

(3) M. Mckale, War by revolution, p. 79 .

(٤) فيلهلم فاسموس (١٨٨٠ – ١٩٣١): ولد عام ١٨٨٠، انتمى منذ عام ١٩٠٦ الى شعبة الترجمة التابعة الى وزارة الخارجية الألمانية، كان أول عمل له خارج بلاده في مدغشقر ثم انتقل منذ العام ١٩٠٩ إلى بلاد فارس ليشغل منصب وكي قنصل في ميناء بوشهر، فقضى عاماً كاملاً في منصبه لينقل ثانيةً الى مدغشقر ثم عاد بعد ثلاث سنوات الى بوشهر قنصلاً هذه المرة، وفي غضون الاشهر التي سبقت نشوب الحرب العالمية الاولى جاب

رؤسائه في الوزارة، وتم الإجماع على أن فاسموس هو الأكثر خبرة ومعرفة ببلاد فارس لذلك تم اعتماده على التو عضواً في البعثة وقائداً لها، فتحركت من برلين أواخر شهر آب ١٩١٤ متجهةً الى استانبول، وعانت البعثة منذ البداية من الافتقار الى التنسيق والتسرع، وتأجيل الامدادات بالمعدات والاسلحة(١) .

بسبب قلة التنسيق قرر فاسموس التخلي عن قيادة البعثة فكتب الى اوبنهايم في الرابع من أيلول بأن الشخص المناسب لمواصلة القيادة هو أوسكار ريتر فون نيدرماير **(Oskar Ritter V. Niedermayer)**(٢)، فقد كان فاسموس متتبعاً لأسفار نيدرماير وتنقلاته في بلاد فارس، وذكر لأوبنهايم الكثير من مؤهلاته، فقد كان نيدرماير باحثاً وله الكثير من الأصدقاء في كل مدينة حتى في الهند ومنهم الأثرياء، ويجيد اللغة الفارسية والروسية وأصبح معروفاً من قبل سكان المناطق الحدودية لأفغانستان بشكل وثيق(٣).

أرسل اوبنهايم مبعوثاً خاصاً الى نيدرماير خلال شهر أيلول لإقناعه بالانضمام الى البعثة المتوجهة الى أفغانستان، وكان حينها يؤدي عمله بوصفه ضابطاً في فوج المدفعية الألمانية

فاسموس مناطق العشائر في جنوب ايران، وأقام اتصالاً وثيقاً مع أبرز زعمائها واصبح وجهاً مألوفاً في المنطقة، للمزيد ينظر :

سميرة عبد الرزاق عبد الله العاني، العلاقات الإيرانية ـ الألمانية منذ أواخر القرن التاسع عشر – ١٩٣٣م، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٩١م ، ص ١٠٢ .

(١) هيردبي، المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(٢) اوسكار فون نيدرماير (١٨٨٥ – ١٩٤٨): هو عالم آثار ألماني يبلغ من العمر آنذاك تسعة وعشرين عاماً، كان ضابطاً في المدفعية الالمانية ومتعلماً تعليماً عالياً، فقد درس الجغرافيا وفقه اللغات في جامعة ايرلانجن الالمانية وهو مثل اوبنهايم كان محباً للشرق، جاسوساً أحياناً، تعلم على يد المستشرق جورج جاكوب المتخصص بالثقافات السامية، تم اختيار نيدرماير لقيادة بعثة (الحرب المقدسة) الألمانية الى بلاد فارس وأفغانستان والتي تهدف الى كسب مساعدة تلك القوى لأجل إسقاط الحكم البريطاني في الهند. للمزيد ينظر:

- Thomas L. Hughes, The German mission to Afghanistan 1915-1916, Germany studies review, Vol. 25, No. 3, Maryland, USA, 2002, p. 455 ;

- Sean McMeekin, The Islamic-Israelite World, Common Knowledge, Volume 19, Issue 2, Duke University Press, NC- USA, 2013, p. 278 .

(3) McMeekin, The Berlin- Baghdad … , p. 216 .

المرابط على الخطوط الدفاعية القريبة من مدينة نانسي، تحت إمرة الجيش السادس الألماني وقد أبدى نيدرماير موافقته على الطلب بعد السماح له من قبل قيادته العسكرية، مما يدل على التنسيق العالي بين هيئة الأركان العامة للجيش الألماني وبين وزارة الخارجية من أجل إنجاح الدعاية الألمانية، وأصر على اصطحاب مجموعة من رفاقه [١]، الذين يثق بهم الى أفغانستان، الى جانب شروط أخرى وافقت عليها اللجنة، فتوجه نيدرماير نحو استانبول في أواخر أيلول ١٩١٤م وحالما وصل الى البوسفور في أوائل تشرين الأول ١٩١٤م بدأت المتاعب والعراقيل تواجه بعثته ولاسيما من قبل أنور باشا، فقد كتب نيدرماير رسالة الى اوبنهايم بعد وقت قصير من وصوله الى استانبول، أوضح فيها قلة الثقة من جانب الأتراك، كما اشتكى من اللامبالاة من قبل السفير الالماني في استانبول فنغنهايم تجاه بعثته، وكان ذلك آخر اتصال بين نيدرماير وأوبنهايم[٢]، بالرغم من ذلك واصلت البعثة طريقها فقد انطلقت في كانون الاول ١٩١٤م من استانبول الى حلب ومنها الى بغداد وقد انظم اليها خمس وعشرون عسكرياً ألمانياً، وفي بغداد تركهم فاسموس، ليواصل نيدرماير قيادة البعثة نحو ايران[٣].

ثانياً: **مذكرة أوبنهايم إلى الحكومة الألمانية في تشرين الأول ١٩١٤م** :

رفع اوبنهايم في مطلع تشرين الأول ١٩١٤م الى المستشار الالماني بتمان هولفغ مذكرة بعنوان " **إثارة البلاد الاسلامية الخاضعة لأعدائنا**"، وتعتبر تلك المذكرة الأهم والأكثر تحديداً لكيفية محاربة دول الوفاق عبر إستغلال الجهاد الاسلامي المقدس و السلطان العثماني بصفته خليفة

(١) عددهم خمسة عشر، وبينهم من زملائه الضباط وممن لهم خبرة في المتفجرات، ومنهم أطباء عسكريين أحدهم أخوه ويدعى فرتز Fritz، ومترجمين من أصول فارسية، وقد حملوا معهم رسالة موقعة من الامبراطور الالماني الى أمير أفغانستان "حبيب الله خان" الى جانب الهدايا الثمينة مثل الذهب والميداليات الملكية، والبنادق الالمانية، للمزيد ينظر :

- McMeekin, The Berlin- Baghdad . . ., p. 212 .

(2) Ibid, p. 217 .

(٣) فريتز غروبا، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ج١، ترجمة: فاروق الحريري، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩، ص ٧.

ونشر الدعاية بإسمه [١]، لذلك ركز اوبنهايم في بداية المذكرة على ضرورة تنشيط التعاون مع الدول العثمانية عسكرياً ودعائياً، حيث قال :

"**إن الشرط الأهم لإثارة الثورة في الأراضي الاسلامية ضد أعدائنا هو تنشيط التعاون مع العثمانيين تحت راية السلطان "الخليفة" ...، يجب علينا دعمهم بالمال والرجال والعتاد، من أجل الحصول على نتائج مرضية** " [٢] .

كما حدد اوبنهايم في مذكرته كيفية الإضرار بمصالح بريطانيا من خلال إشعال الثورة في الهند وإرسال حملة عثمانية الى مصر، قائلاً:

"**عندما يقوم العثمانيون بغزو مصر وتندلع الثورة في الهند سيتزعزع مركز بريطانيا. الرأي العام فيها سيضغط على الحكومة في لندن ويجبرها إما أن ترسل على الأقل نصف أسطولها الى مياه الهند من أجل حماية مواطنيها المقيمين هناك، فضلاً عن إستثمارها للملايين من أموال البلاد من أجل المحافظة على مكانتها في العالم، أو يمكن التوقع بأن بريطانيا لن تكون قادرة على تحقيق ذلك مما يجبرها على عقد السلام وفق الشروط المواتية لنا**"[٣].

وبشأن السيطرة على مصر رأى اوبنهايم بأن نجاح الحملة العثمانية عليها والتي من المحتمل أن يكون للبدو دوراً كبيراً فيها، ستؤدي إلى إثارة ثورات ضخمة في الداخل، وتمرد كبير في صفوف الجيش الانجلو– مصري، ما يتسبب بإغلاق قناة السويس أمام السفن البريطانية وقطع إتصالها مع الهند [٤] .

---

(١) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٨٥ .

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit , p. 83 .
(2) Quoted in: Ibid, p. 84 ; Eugene Rogan, Rival jihads: Islam and the Great War in the Middle East, 1914–1918, Journal of the British Academy, Vol. 4, London, 2016, p. 3 .
(3) Gossman, Op. Cit, p. 85 .

وأكد بأن جميع مسلمو مصر ومن ضمنهم علماء الأزهر والجماعات الاسلامية، يؤيدون الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا، كرهاً بالبريطانيين، فيما أشار وفقاً لمعلوماته بأن الأقباط ومسيحيو سورية والأرمن يؤيدون دول الوفاق، كما لم يستثنِ أوبنهايم من مخططاته أهمية كسب تعاون الخديوي المخلوع عباس حلمي، والطريقتين السنوسية والمهدية في التأثير على أوضاع مصر، وخلص الى أن عودة مصر بأيدي العثمانيين وبدعم من الخبراء والمستشارين الألمان، سيغير مجرى الحرب كلها[١] .

كما أوضح في مذكرته أهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه بلاد فارس وأفغانستان، وسُبل اقناع حكامهم للتعاون في كلا المجالين العسكري والدعائي مع قوى الوسط [٢]، ملفتاً انتباه المستشار إلى ضرورة جمع الدولة العثمانية وبلاد فارس وأفغانستان في حلف واحد، تكون فيه أفغانستان رأس حربة لمهاجمة الهند وطرد بريطانيا منها، وتكون بلاد فارس الجسر البري الذي تعبر عليه القوات العثمانية الى أفغانستان، ورأى أوبنهايم أن يسبق ذلك عقد معاهدة بين استانبول وطهران بوساطة ألمانية من أجل إزالة الشكوك فيما بينهما، واعتبر أن إنضمام أفغانستان الى دول الوسط سيكون أهم لحظة من لحظات الحرب [٣]، وأن نجاح ذلك التحالف الثلاثي سيؤدي الى تعزيز الانتفاضة في الهند، من خلال مناشدة التضامن الاسلامي، وتوجيه حملة عسكرية الى الخليج العربي والأراضي الشمالية الغربية، تكون مهمتها السيطرة على آبار شركة النفط الانجلو – فارسية ومستودعات التخزين والمصافي النفطية ومن ثم قطع إمدادات النفط على الأسطول البريطاني في الخليج [٤] .

أما بالنسبة الى روسيا فقد أعطى اوبنهايم توقعاته بأنه حالما يتم القضاء عل أسطولها في البحر الأسود، فإن المسلمين الخاضعين لها سوف يقومون بالثورة ولا سيما في القوقاز، كما اقترح أن يسبق أي نشاط عسكري عثماني ضد روسيا، تدمير منابع النفط في باكو، وعلى المنوال نفسه

---

(١) عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام . . . ، ص ٨٥ .

(2) Gossmsn, Op. Cit , p. 85 .

(٣) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٨٦ .

(4) Gossman, Op. Cit , p. 86 .

اعتقد اوبنهايم بسهولة تحريض مسلمي المغرب ضد فرنسا وذلك بسبب سياستها التعسفية تجاه السكان، ورأى اوبنهايم إن إيصال الاسلحة والأموال الى تلك المنطقة سوف يدفع الناس الى الثورة ضد فرنسا، وعلى الرغم من عدم توقعه حدوث ثورة عامة في المغرب، إلا أنه اعتقد بوقوع ثورات متفرقة ستشغل فرنسا ويكون لها تأثير في كل من الجزائر وتونس، حيث الكراهية للفرنسيين هناك لا تقل عن تلك التي لدى المغاربة [١] .

نصت المذكرة على بعض الاقتراحات العملية من جانب اوبنهايم لإنشاء آلة دعاية فعالة ومنظمة يتم تشغيلها من قبل الحكومة الالمانية والاتحاديين، الهدف منها هو إقناع المسلمين لاسيما أولئك الذين يعيشون تحت السيطرة البريطانية والفرنسة والروسية، بأن الألمان سينتصرون في الحرب مما سيدفع الى الثورة داخل بلدانهم، وتحقيقاً لتلك الغاية اقترح اوبنهايم إنشاء مكتب استخبارات في برلين يتولى إدارته بنفسه ويعمل به مستشرقون ألمان، ومحاضرين من أصول شرقية لغرض إعداد منشورات تتناسب مع ظروف بلدانهم، والإفادة من جميع القنصليات الألمانية في الشرق ومن الرعايا ورجال الأعمال الألمان في البلدان الأخرى، عن طريق إنشاء وكالة للمعلومات في جميع المراكز السكانية الرئيسية التي تتمتع بأكثريات مسلمة في العالم [٢] .

وتضمنت المذكرة أيضاً آخر مقترحات اوبنهايم حول أساليب استغلال الغضب والإستياء في صفوف القوات المسلمة ضمن جيوش بريطانيا وفرنسا، من خلال إسقاط منشورات دعائية من الجو تشجعهم على الفرار واللجوء الى الجانب الألماني، الى جانب فصل الأسرى المسلمين من قوات دول الوفاق عن غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، و تخصيص المخيمات الجيدة لهم ومعاملتهم بصورة جيدة وتلبية جميع احتياجاتهم الدينية، والتأثير على أولئك الذين يستجيبون للمعاملة الحسنة وإقناعهم بالمشاركة في الدعاية المضادة لدول الوفاق أو القتال الى جانب ألمانيا، أو إرسالهم للتسلل إلى الوحدات العسكرية في الجيش البريطاني والفرنسي ونشر روح التمرد بين

---

(١) سنو، الاسلام في الدعاية الالمانية . . .، ص ١٨٦.

(2) Gossman, Op. Cit , p. 84 .

إخوانهم المسلمين في تلك الوحدات[١]، وخصت المذكرة الأسرى من أبناء المغرب العربي في المعسكرات الألمانية ودعت الى التأثير عليهم بحيث ينقلون فيما بعد الى ليبيا ويجري إدخالهم الى الجنوب التونسي والجزائري كي يزحفوا بعدئذ للهجوم على القوات الفرنسية في المغرب العربي [٢] .

حدد اوبنهايم في ختام مذكرته الهدف المركزي لبلاده، وهو جعل الإسلام سلاحاً يخدم المصالح الألمانيّة، فقال :

" **إن الإسلام سوف يكون أهم أسلحتنا على الإطلاق في الصراع المجبرين عليه ضد بريطانيا، لأن علينا أن نخوضه بالسكين ...، لقد تمكنا من فرش الأرضية لثورة إسلامية عامّة، وأن إمبراطور ألمانيا قد أدرك منذ الوهلة الأولى أهمية هذه اللحظة التي يمكن من خلالها الاستفادة من الشعوب الاسلامية، بعدما ثبت في نظر المسلمين إجلاله للإسلام وأظهر لأتباع هذا الدين المودة والمساعدة ...، إن عشرون عاماً من الإقامة في الشرق تجعلني مقتنعاً بأن جلالة الامبراطور يحظى في كل العالم الاسلامي على الاحترام والتبجيل من أعماق القلوب** " [٣].

ثالثاً: **إعلان الجهاد العثماني وتطور عمل اوبنهايم** :

ذكر السفير الالماني في استانبول فنغنهايم للسفير الأمريكي هنري مورغنتو خلال لقاء جمعهما في مكتب الاول، قائلاً :

" **إن المانيا كانت ترمي الى إثارة العالم الاسلامي على المسيحيين، و تسعير حرب دينية للقضاء على بريطانيا وفرنسا في مستعمراتها الاسلامية كالهند ومصر والجزائر وغيرها، وأن الدولة العثمانية بحد ذاتها ليست شيئاً مهماً، فجيشها صغير ضعيف ولا تنتظر منه اعمالاً**

---

(3) Ibid, p. 86 .

(٢) عماد الدين غانم، عمليات الغواصات الألمانية في المياه الليبية وحركة الجهاد ١٩١٥ – ١٩١٨ دراسة في تاريخ العلاقات الليبية الألمانية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، بنغازي، ٢٠٠٣، ص ٧١ .

(٣) نقلاً عن: سنو، ألمانيا والاسلام . . .، ص ص ٨٦ - ٨٧ .

مجيدة في ساحات القتال، ولكن نحن لا نرى في الدولة العثمانية إلا العالم الاسلامي، فإذا تَمكنا من إثارة الرأي الاسلامي العام ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا نكون قد أرغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب " (١) .

ويتضح من ذلك مدى اقتناع الحكومة الالمانية بما أوجزه اوبنهايم في مذكرته الأخيرة، وتبنيها رسمياً لمقترحه بشأن دفع الحكومة العثمانية لإعلان الجهاد ضد دول الوفاق، وبالفعل آلت الأحداث الى ما تصبوا اليه ألمانيا حيث أعلنت الدولة العثمانية في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩١٤م الحرب على دول الوفاق وتضامنها مع حليفتها ألمانيا، وأُقيم احتفالاً كبيراً في مسجد السلطان محمد الفاتح في استانبول ألقى فيه السلطان العثماني ووزير الحرب أنور باشا خطابات حماسية تدعوا الناس الى الإلتحاق بالقتال ضد أعداء الاسلام، كما تمت صياغة فتاوى الجهاد الخمسة من قبل شيخ الإسلام خيري بك (مفتي الدولة في استانبول)، وأكدت الفتاوى على أن:

"**الجهاد ضد قوى الوفاق واجب مقدس على كل فرد مسلم وأن أي مسلم لا يلبي دعوة الجهاد سوف يحل عليه غضب الله، وأي مسلم يقاتل الى جانب تلك القوى ضد جنود الاسلام فانه يستحق نار جهنم** " (٢).

وفي الرابع عشر من تشرين الثاني أعلن السلطان العثماني من استانبول بصفته خليفة للمسلمين الجهاد العام (٣)، وبعد ذلك بوقت قصير دعا شيخ الاسلام كل العالم الاسلامي الى النهوض ومحاربة الذين ظلموهم قروناً متوالية (٤)، كما قُرِأت دعوى الجهاد التي دعت الى شد أزر الخليفة في الحرب المقدسة، في الجوامع ونشرتها الجرائد وانتشرت كثيراً في انحاء العالم الاسلامي(٥)، وبتوجيه من اوبنهايم تم إحضار عدد من السجناء المسلمين من المعسكرات الألمانية

---

(١) نقلاً عن: مورغنثو، المصدر السابق ، ص ١١٧.

(2) Quoted in : Gossman, Op. Cit , p. 87 .

(3) Geoffrey Hamm, British intelligence and Turkish Arabia: strategy, diplomacy and empire 1898-1918, doctoral dissertation, university of Toronto, Toronto, 2012, p. 214 .

(٤) مورغنثو، المصدر السابق، ص ١١٧ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٨

وإدخالهم الى السفارة الالمانية في استانبول، وقام أولئك السجناء بمرافقة السفير الالماني فنغنهايم لاستقبال الحشود المؤيدة للجهاد والتحالف مع ألمانيا، والتي تجمهرت أمام مبنى السفارة الألمانية، فكان الهدف من وجود أولئك السجناء في السفارة هو خلق صورة حية للتضامن المشترك بين الطرفين فقد رفع السجناء شعارات تحيي السلطان بوصفه الخليفة، كما ارتفعت الهتافات بحق الامبراطور الألماني بوصفه حليفاً للإسلام [١] .

أثبتت توقعات اوبنهايم التي أوردها في مذكرته صحتها فخلال يومين من إعلان الجهاد العام، وصلت الأخبار من الهند بأن بعض ضباط الجيش البريطاني قد أُعدموا من قبل حشود مسلمة، واندلعت أعمال الشغب في الجزائر، كما هلل جمهور القاهرة بنشرات الأخبار التي أَعلنت الانتصارات الأولية التي حققتها ألمانيا، كما انتشرت أنباء حركات التمرد بين الآلاف من الجنود المسلمين في الجيش الهندي البريطاني، وتناقلت الصحف في عواصم الدول الأوروبية أخبارها، كلمة جديدة غير مألوفة هي الجهاد **(Jihad)**[٢].

تزامناً مع ترجمة فتاوى الجهاد إلى اللغات المختلفة كالعربية والفارسية والفرنسية والانجليزية ونشر الاعلان الرسمي للجهاد في الصحف العثمانية في المدة بين (١٥ – ٢٥) تشرين الثاني[٣]، انتهى اوبنهايم من كتابة نشرة دعائية على شكل كتيب بعنوان (**إباحة دم الكفار في بلاد المسلمين مع الافلات من العقاب**) [٤]، كتبه باللغة العربية معتمداً في تأليفه على أدلة وآيات من القرآن الكريم [٥]، لإثارة العقائد الدينية في كل من يقرأه ووضع فيه وصفاً مسهباً للطرق التي يجب أن يتبعها المسلمون في جهادهم من اجل التخلص من أعداء الاسلام [٦] .

---

(1) Gossman, Op. Cit, p. 87 .

(2) Olusoga, Op. Cit, p. 303 .

(3) Gossman, Op. Cit , p. 89 .

(4) Olusoga, Op. Cit , p. 304 .

(5) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 135 .

(٦) موغنثو، المصدر السابق ، ص ١١٨ .

إحتوى كتيب اوبنهايم الجهادي رؤية مفصلة عما سماه السفير الامريكي مورغنثو (رغبة القيصر بإقحام ٣٠٠ مليون مسلم في مذبحة عظمى ضد المسيحيين) [١]، فتضمن محتواه ما يلهب مشاعر المسلمين حيث تباكى على مرحلة التدهور التي وصلت اليها الأمة الاسلامية ملقياً باللوم على الاحتلال الاوروبي المسيحي[٢] وخاطب المسلمين بقوله :

" **أيها المؤمنون تأملوا حال الاسلام الحاضرة فلا بد لكم عندئذ من ذرف الدموع الحارة على حالته المحزنة، انكم تشاهدون البلدان الواسعة وفيها الملايين العديدة من اخوانكم، في قبضة أعدائكم وأعداء الله، البريطانيين المشركين ...، تشاهدون مصر، مراكش، الجزائر، تونس والسودان، الملايين يعانون ألواناً من الآلام تحت سلطة أعداء الله ورسوله، تشاهدون بلاد سيبيريا وتركستان وكييف وبخارى والقوقاز والقرم وغيرها، إن سكانها المسلمون يئنون تحت نير الظلم والاستبداد، وترون مدينة الخلفاء مسرحاً لمظالم المستبدين، وكيفما وجهتم انظاركم ترون أعداء دينكم البريطانيين والروس والفرنسيين يدوسون حقوقكم ويسومونكم مر العذاب والشقاء ...**"[٣] .

كما ذكَّر الكتيب المسلمون بما يتمتع به الاوروبيين من امتيازات بينما يفتقرون هم الى أبسط صفات العيش الكريم، حيث خاطبهم قائلاً:

" **لقد طفح الكيل أنتم تزرعون وهم يحصدون، أنتم تتعذبون وهم في بحبوحة من العيش يمرحون، أنتم إلى أدنى الدرجات تهبطون وهم درجات العز والمجد يتسنمون، هم الأسياد وأنتم العبيد، وما ذلك إلا نتيجة تفرقكم وانقسامكم ...**" [٤] .

---

(1) A. C. Grayling, The Challenge of things: thinking through troubled times, Bloomsbury, London, 2015, p. 23 .

(2) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 135 .

(٣) نقلاً عن: مورغنثو، المصدر السابق، ص ١١٨ .

(٤) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ١١٩ .

و رأى اوبنهايم أن الدعاية الجهادية لا تتم إلا بدعم صريح من القرآن الكريم، فحينما دعا في كتابه المسلمين لقتل الاوروبيين المسيحيين استند الى آيات تحث على قتل الكفار وتستثني بعضهم إذا ما اعتبروا من أصدقاء الاسلام ومساندين له من خلال عهد مكتوب بينهم وهو بذلك أراد إستثناء الألمان والنمساويين وكل من تحالف مع الدولة العثمانية [١] موضحاً ذلك بقوله:

" **الجهاد واجب مقدس على كل مؤمن، واعلموا إذ إنكم تقدرون أن تهرقوا دماء الأعداء إلا دماء حلفائنا الألمان والنمساويين، فكل من يقتل واحداً من هؤلاء المشركين الذين يستبدون بنا سراً وعلناً، خيراً يجازيه الرحمن الرحيم، فليقسم كل مسلم في كل أنحاء العالم بأنه يقوم بما عليه نحو الطغاة الظالمين لأنهم أعداء الإيمان ...**" [٢] .

كما أوضح في كتابه الأساليب التي يمكن أن ينتهجها المسلمون في قتال أعدائهم، فأشار الى أهمية نشر وممارسة أنواع أخرى من الجهاد، تسير جنباً الى جنب مع الجهاد المنظم الذي تؤديه الجيوش الاسلامية في ساحة القتال، وقصد اوبنهايم بذلك، **(الجهاد الفردي)**، أي القيام بعمليات اغتيال لمسؤولي دول الوفاق، مشيراً الى أهمية انتشار تشكيلات سرية وخلايا جهادية وراء خطوط العدو في أماكن عديدة مثل مصر والهند ومختلف البلاد الاسلامية، وأن تستهدف تلك الجماعات والخلايا حياة المسؤولين الاوروبيين، وتعمل في الوقت ذاته على عرقلة تجارة دول الوفاق في العالم الاسلامي [٣] .

(1) McMeekin , The Berlin – Baghdad … , p. 135 .

(٢) نقلاً عن: مورغنثو، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(3) McMeekin , The Berlin – Baghdad … , p. 136 .

رابعاً: **دور اوبنهايم في عمل البعثات الألمانية الى العالم الإسلامي**[١] :

١- بعثة ليو فروبينيوس (Lio Frobenius) [٢]:

وجدت خطط اوبنهايم استجابة واعجاباً كبيرين بين مسؤولي الحكومة ووزارة الخارجية الالمانية، فتقرر مع إنطلاق الحرب العالمية الأولى إرسال بعثات الى أماكن بعيدة من أرجاء العالم الاسلامي لتحريض سكانها على الثورة ضد دول الوفاق، فوضع مكتب اوبنهايم الجهادي خطط إرسال البعثة الألمانية الأولى إلى السودان، وإلى جانب المسافة البعيدة التي تصل إلى حوالي ألف ميل براً نحو الحجاز، كان على البعثة مواجهة خطر المرور بالمدينة المنورة ثاني المدن الاسلامية المقدسة، والإبحار من ميناء جدة نحو اليمن، وهي موانئ البحر الأحمر الرئيسية التي كانت تحت المراقبة البريطانية الشديدة، ورحلة الاوروبيون في الحجاز محفوفة بالمخاطر، فحتى ذلك الوقت لا يسمح لهم بدخول مكة المكرمة أو المدينة المنورة بوصفهم كفاراً، كما أن إرسال بعثة ألمانية الى الحبشة أو السودان من شأنه أن يواجه أخطاراً كثيرة ومنها غارات البدو[٣].

وعليه فإن إرسال بعثة دعاية جهادية ألمانية عبر تلك الأراضي كان يتطلب شجاعة وخبرات وبراعة كبيرة، وقد توفرت تلك الخبرات في شخص ليو فروبينيوس، الذي امتلك مؤهلات مناسبة جعلته الخيار الأمثل لتولي تلك المهمة، وأكاديمياً ومغامراً استعمارياً جمع بين مجموعة تخصصات فهو عالم آثار، وإثنوغرافيا (علم الشعوب البدائية) ومؤهلاته تلك جذبت إهتمام اوبنهايم فقام باستدعائه وتكليفه بترأس البعثة إلى الحبشة والسودان رسمياً، وبدأ مهمته في منتصف تشرين الثاني ١٩١٤ إنطلاقاً من السفارة الألمانية في استانبول، بعد أن تسلم منشورات الدعاية وأسلحة

---

(١) تعددت البعثات الالمانية لتحريض العالم الاسلامي على الثورة ضد دول الوفاق، ينظر :ملحق رقم (٢) .

(٢) ليو فروبينيوس (١٨٧٣-١٩٣٨): عالم آثار ومغامر ألماني اختص بعصور ما قبل التاريخ، ووضع نفسه تحت تصرف بلاده السياسي والعسكري، كانت له اكتشافات جغرافية حازت على إعجاب العالم، اكتسب شهرة واسعة بوصفه خبيراً في الشؤون الافريقية، وصديقاً مقرباً للإمبراطور فيلهلم الثاني، للمزيد ينظر:
Leo Frobenius' Secret Mission in Arabia and Eritrea (1914–1915). https://cy.revues.org.

(3) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 143 .

وأموال لازمة للرشاوى، كما طلب تزويده بمداليات تحمل رمز التاج الامبراطوري الألماني لتقديمها كهدايا لشيوخ العرب [١] .

سارت بعثة فروبينيوس حسب المخطط الذي وضع لها، إلا أنها واجهت في ميناء ينبع على ساحل البحر الأحمر مشكلة لم يكن اوبنهايم يتوقع حدوثها، فقد قرر المستشرق الألماني برنهارد موريتز والذي كان مكلفاً بالتهيئة لإنشاء مركز للدعاية الالمانية في المدينة النورة، أن يتجه نحو السودان بعد الحصول على الموافقة من السفير الالماني في استانبول فنغنهايم، متجاهلين بذلك مهمة فروبينيوس الرسمية المكلف بها من قبل اوبنهايم، وعندما علم فروبينيوس بالأمر إستاء بشدة على الرغم من احترامه لعمل موريتز ومعرفته ببراعته اللغوية لكنه رأى بأن موريتز قليل المعرفة بثقافة شعب السودان وعاداته، وقد اشتكى على إثر ذلك من إهمال المسؤولين الالمان له، مما سبب له شعوراً مريراً اثر على سير رحلته، وعلى الرغم من قيامه بجمع معلومات استخباراتية مفيدة عن الحجاز، إلا أن بعثته انتهت بالفشل اذ لم يتمكن من الوصول الى الحبشة و السودان كما كان مقرراً، فقد تم ترحيله قسراً من أريتيريا الخاضعة للاحتلال الايطالي، فرجع الى برلين ملقياً اللوم وأسباب الفشل على وزارة الخارجية الالمانية لإهمالها وعدم تقديرها لخدمته [٢] .

٢- بعثة الويز موزل (Alois Musil) [٣]:

بقي قلب الصحراء العربية عشية الحرب العالمية الاولى أرضاً مجهولة الى حد كبير بالنسبة للأوروبيين، وكان شيوخ القبائل والمحاربون البدو والتجار مدرجين ضمن برنامج الجهاد

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 145 .

(2) Ibid, p.p. 147 - 151 .

(٣) الويز موزل (١٨٦٨م – ١٩٤٤): ولد في قرية ريخترزدورف التشيكية، لعائلة نمساوية الأصل، تخصص في علم اللاهوت والعهد القديم، وأجاد اللغتين العربية والعبرية، وفي عام ١٨٩٥م نال شهادة الدكتوراه، سافر الى فلسطين حيث طور معرفته باللغة العربية والعبرية في مدرسة الآباء الدومينيكان في القدس، تم تكليفه قبيل الحرب العالمية من قبل اكاديمية فيينا، بالقيام برحلة علمية في أطراف جنوب سورية وشمال غرب الجزيرة العربية، وتتبع أحوال البدو مرتدياً الزي العربي على أنه بدوي، وقام بالتقاط الصور الجغرافية والشعبية، ونشرها في عمله الذي انجزه بعنوان بلاد العرب الصخرية "Arabia petraea"، للمزيد ينظر:
ألويز موزيل، في الصحراء العربية: رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب ١٩٠٨ – ١٩١٤، ترجمة: عبد الاله الملاح، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١٠م، ص ٨ .

العثماني – الالماني لمساندة الحملة العثمانية المقترحة للهجوم على قناة السويس الخاضعة للسيطرة البريطانية، وكان اوبنهايم بحاجة الى عميل قادر على اختراق هذا الحرم الداخلي للإسلام، فوقع الاختيار على النمساوي ألويز موزل الذي كانت له علاقات صداقة مع عدد من الشيوخ العرب والمسلمين خلال سفره على مسافة طويلة داخل الصحراء العربية قبيل الحرب العالمية[١] .

عند إعلان فتوى الجهاد العام وجد موزل نفسه من أكثر المرشحين للقيام بمهمة إثارة الحرب المقدسة بين عرب البدو، عندها أراد اوبنهايم استدعاءه الى مكتبه في برلين لإطلاعه الأهداف التي يسير عليها، وتوضيح أي شكوك عالقة حول تلك الأهداف، لكن موزل كان متحمساً للإسراع بأداء مهمته دون إضاعة الوقت بالقدوم الى برلين، وفي ٢ تشرين الثاني غادر فيينا نحو استانبول، وقد اندهش بشدة لأن كلاً من أنور باشا وليمان فون ساندرز لم يكونا مطلعين على بعثته أو مهتمين بها [٢] .

ولا شك في مسألة التنسيق العثماني – الألماني بشأن مرور تلك البعثة نحو الجزيرة العربية فقد كُلف موزل بحشد العشائر العربية هناك مثل عشائر الرّولة[٣] والحويطات وحلفائهم للوقوف في وجه الأطماع البريطانية، والامتناع عن التخطيط لثورة أو تمرد على الدولة العثمانية [٤]، وقد وصل موزل الى إمارة الجوف، ثم توجه الى إمارة حائل **(كلاهما يقع شمال غرب شبه الجزيرة العربية)** لحثهما على عقد صلح وتشكيل جبهة قوية متحدةً ضد دول الوفاق، كما قام بالإتصال بالشيخ سعود بن ملحم أحد شيوخ قبيلة عنزة للغرض ذاته [٥] .

---

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 154 .

(2) Ibid, p.p. 157- 158 .

(٣) الرولة: هم فرع من قبيلة عنزة العربية، اتخذوا من صحراء النفوذ في الجزيرة العربية منطقة انتشار لهم، غير أن الحروب الوهابية دفعتهم الى النزوح نحو الشمال، ومع انهم اعتنقوا الوهابية حوالي عام ١٨٠٠ شأن قبائل عنزة الاخرى، فقد حاولوا الفرار من جباية الضرائب، فعبروا الفرات، ومن أبرز شيوخ الرولة، فيصل، وسطام بن شعلان، والنوري. للمزيد ينظر: اوبنهايم، البدو، ج١، ص ص ١٧٣ - ١٩٠ .

(٤) ألويز موزيل، المصدر السابق، ص ٩ .

(٥) مطلق البلوي، العثمانيون في شمال الجزيرة العربية ١٩٠٨- ١٩٢٣م ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٧م ، ص ١٧٠ .

إتصفت تقارير موزل الميدانية التي أبرقها الى اوبنهايم بالمثيرة للاهتمام حول الشيوخ العرب هناك، فقد وصف في تقاريره ابن سعود بأنه كان مأجوراً لدى لندن ولكنه لم يعتبره أداة بيدها تماماً فقد اخذ الذهب والذخائر من البريطانيين ليس لأنه يحبهم بل لأنه يحتاج لتلك المواد لإدامة نفوذه في الجزيرة العربية، وكان ابن سعود حسب تقارير موزل بدوي يكره كل الأجانب بما فيهم البريطانيين والألمان بوصفه مسلماً وعلى المذهب الوهابي يكره كل الكافرين، لذلك كان مستعداً لتنفيذ مشيئة السلطان العثماني بوصفه الخليفة في حال زودته الحكومة العثمانية بالامتيازات التي يحتاجها، اما بالنسبة لبقية الشيوخ فمن وجهة نظر موزل لم يكونوا أدوات جيدة للجهاد، فسعود بن ملحم كان غنياً ولم يكن مستعداً للمخاطرة بثروته من أجل التورط في الحرب العالمية الاولى[١]، وقد سعى موزل الى اقناع اولئك الزعماء بأن يحققوا التفوق العربي وأن يساندوا الدولة العثمانية في حربها، لكنهم كانوا أكثر اهتماماً بقتال بعضهم البعض من قتال البريطانيين، لذا فإن بعثة موزل لم تحقق شيئاً [٢] .

٣- بعثة فريتز كلاين (Fritz Kline)[٣] :

انقسمت وجهات النظر في وزارة الخارجية الألمانية حول كيفية عرقلة المصالح البريطانية في الخليج العربي مع انطلاق الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ بين إتجاهين، ومثل الإتجاه الاول ألبرت بالين **(Albert Ballin)**[٤] صاحب مشروع الخط الملاحي هامبورغ – أمريكا الشمالية،

---

(1) McMeekin , The Berlin – Baghdad … , p. 164 .

(2) Timothy J. Paris, In defence of Britains middle eastern empire : a life of sir Gilbert Clayton, London, 2016, p. 35 .

(٣) فريتز كلاين (١٨٨٨- ١٩٤٥): دبلوماسي ألماني ترأس البعثة الدبلوماسية الى العراق عام ١٩١٤ والتي زارت مدينة كربلاء من أجل الاتصال بالمرجعيات الدينية الشيعية هناك، من أجل إقناعهم على إعلان الجهاد ضد دول الوفاق والانضمام الى جانب الحلف الألماني العثماني في الحرب. للمزيد ينظر:
سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ص ١٢٥- ١٢٦ .

(٤) ألبرت بالين (١٨٥٧-١٩١٨): نبيل وتاجر ألماني، ولد في مدينة هامبورغ لأمه أماليا بالين من عائلة تجارية المانية، والده هو صموئيل بالين، كان البرت واحداً من بين تسعة أولاد لتلك العائلة، ترك دراسته الأكاديمية والتحق بالعمل التجاري مع والده، وبعد وفاة والده تولى بنفسه الأعمال التجارية وأسس خط شحن للبضائع بين هامبورغ وأمريكا، وقد امتلك أسطولاً من السفن التجارية وصل الى أربعة عشر باخرة عام ١٩٠٠، استطاع من خلالها ممارسة أعماله في الخليج العربي ووصلت الى البصرة قبيل الحرب العالمية الاولى، وقد اكتسب بالين=

فقد رأى ضرورة السيطرة على منشأة عبادان النفطية من خلال إرسال بعثة ألمانية وبمساندة قوات عثمانية تسيطر على منطقة الكارون على طول ممر شط العرب المائي، وبذلك تفوز المانيا بمصدر من مصادر الثروة النفطية التي لا تنتهي [١] .

أما الاتجاه الثاني فقد مثله اوبنهايم الذي اقترح تدمير منشأة عبادان النفطية وإشعال النيران فيها، إلا أن أغلب وجهات النظر في وزارة الخارجية وآراء ممثلي هيئة الأركان العامة ساندوا رأي بالين، فتقرر بالاتفاق مع حكومة استانبول ارسال مفرزة كبيرة من القوات العسكرية الالمانية والقوات العثمانية لاحتلال عبادان ومنطقة الكارون بالكامل، ودعت هيئة الأركان العامة ووزارة الخارجية في الرابع من تشرين الثاني الكابتن فريتز كلاين من أجل قيادة الحملة [٢].

ترافقت الاستعدادات الالمانية للحملة مع نزول قوة مشاة من الجيش الهندي البريطاني على رأس الخليج العربي كما أخذ مكتب الهند للدعاية الحربية ينظم نشر الدعاية المؤيدة لبريطانيا بين القبائل العربية المحلية، وأمرت الحكومة الهندية البريطانية أحد مسؤوليها السياسيين في الخليج يدعى شكسبير[٣] بالسفر الى ابن سعود حاكم نجد لإقناعه بالانحياز الى جانب بريطانيا أثناء الحرب، وهذا يعني أن بريطانيا قد تحركت لتأمين سيطرتها العسكرية على الخليج، لهذا السبب ولصعوبة شحن الأسلحة والقوات العسكرية من ألمانيا الى استانبول فالخليج، أُجبر الألمان على تغيير خطة بالين واعتماد خطة اوبنهايم، فقررت هيئة الأركان بالاتفاق مع وزارة الخارجية إرسال كلاين وفرقة تتكون من اثنّي عشر ضابطاً لمهاجمة حقول النفط البريطانية في عبادان وتدميرها،

= خبرة كبيرة عن الحركة التجارية في الخليج، وقرر خدمة مصالح بلاده السياسية والاضرار بالمصالح التجارية البريطانية، فالتحق بوزارة الخارجية الالمانية. للمزيد ينظر:

- Johannes Gerhardt, Albert Ballin, Hamburg University Press, Hamburg, 2009, p.p. 10-30 .

(1) M. Mckale , War by revolution , p. 83 .

(2) Ibid, p. 84 .

(٣) شكسبير: ضابط بريطاني برتبة نقيب، تم تعيينه بصفته موظفاً سياسياً على الكويت عام ١٩١١م، وكان صديقاً للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ويُعد شخصية غامضة في تاريخ العلاقات البريطانية السعودية، وعلى الرغم من كونه أصغر الوكلاء السياسيين الذين خدموا في الخليج العربي، إلا أنه من أشهرهم نظراً لاستكشافاته وصوره الفوتوغرافية للصحراء العربية وعلاقته بعبد الرحمن آل سعود. للمزيد ينظر:

زكريا كورشون، المصدر السابق، ص ٣٣٨؛ ((وفاة النقيب شكسبير)): مكتبة قطر الرقمية، http://www.qdl.qa .

بمساعدة من قوات الدرك الفارسي الموالية للألمان، والمسلحة تسليحاً جيداً، فضلاً عن تعاون بعض البدو المحليين من قبائل فارسية وعربية [١] .

وبحلول نهاية العام ١٩١٤ وتزامناً مع بدء انطلاق البعثة، تدفقت التعزيزات البريطانية الى الخليج حيث انتشر حوالي ١٢,٠٠٠ عنصر من قوات الجيش الهندي على الشاطئ الخليجي، لذا قام اوبنهايم بدعم البعثة بمجموعة من الرجال الأكثر خبرة في شؤون الشرق الأوسط ومنهم علماء آثار[٢] ونظراً لضرورة استمالة رجال الدين الشيعة في كربلاء الى جانب دول الوسط و مساندة الدولة العثمانية في جهادها، ولأن تحقيق الهدف الأصلي من البعثة وهو الوصول الى الكارون يتطلب المرور مباشرة من خلال كربلاء فقد نظر اوبنهايم لتنفيذ البعثة على أنها أمر ضروري لضمان الحصول على مباركة مفتي الشيعة العام (المرجع الأعلى) في كربلاء للجهاد العثماني السّني، وعلى الرغم من أن هناك أسباباً كثيرة دعت الألمان ومن بينهم اوبنهايم الى الاعتقاد بأن الشيعة سيرحبون بتدمير الامبراطورية البريطانية والروسية لكن ذلك لا يعني أنهم يحملون قدراً كبيراً من المودة لألمانيا [٣].

بصرف النظر عن الأهمية الروحية لدعم الشيعة للحرب المقدسة التي عول عليها اوبنهايم كثيراً، فإن بعثة كلاين كانت صغيرة جداً شملت ستة ألمان فقط فضلاً عن مترجم ونبيل فارسيّن إلى جانب بعض العرب، وعلى الرغم من افتقار البعثة للعدد اللازم لمهاجمة القوات البريطانية في الخليج، لكنها مناسبة بشكل مثالي لتحقيق المهمة الخفية في التحريض وإثارة الحرب المقدسة بشكل دقيق، وفي الوقت الذي تطلبت فيه بعثة نيدرماير السابقة لعدد أكبر من الرجال من أجل إقناع أمير أفغانستان بقوة ألمانيا فإن بعثة كلاين لم تتطلب سوى المزيد من الدبلوماسية، ذلك أن إرسال عدد كبير من الألمان إلى مدينة كربلاء سينظر اليه بوصفه هجوماً صارخاً مشابهاً الى حد بعيد لغزو الكفار لمكة المكرمة، ولم يكن المرجع الديني في كربلاء ليوقع على فتوى الجهاد تحت تهديد

(1) M. Mckale, war by revolution, p.p. 84 - 85 .
(2) Ibid, p. 203 .
(3) Ibid, p. 204 .

السلاح، و إن فعل فإن ذلك سيعتبر فاقداً للشرعية لدى المسلمين الشيعة [١]. بذلك أوكلت الى بعثة كلاين مهمتين أساسيتين حسب توجيه اوبنهايم، وقد قُدمت مهمة الحصول على التأييد الشيعي لفتوى الجهاد، على المهمة الثانية المتمثلة بالوصول الى الكارون و الاضرار بالمصالح البريطانية.

في تلك الأثناء كان استهداف قناة السويس الذي أشار أوبنهايم الى أهميته في تقاريره السابقة، من واجب الجيش العثماني الرابع بقيادة جمال باشا [٢]، الممول والمجهز جزئياً من قبل الألمان، وبالتعاون مع رئيس البعثة العسكرية الألمانية المساندة للجيش الرابع [٣] الجنرال كريس فون كرسنشتاين (Kress von Kressenstein)[٤] وقبل البدء بشن الهجوم على القناة، اتفق الطرفان العثماني والألماني على أهمية الخديوي السابق لمصر عباس حلمي، في شن الحملة، و عندما كان عباس حلمي في فيينا، أراد أن يعرض شروطه مقابل دعمه للحملة، فقد أرسل رسالة الى اوبنهايم ليكون وسيطاً بينه وبين حكومة الاتحاديين، ومن أجل الاتفاق معه زار اوبنهايم الخديوي المخلوع في فيينا بتاريخ الأول من كانون الثاني ١٩١٥، وقدم عباس حلمي شروطه خلال اللقاء، وهي أن يقوم الألمان بضمان حصوله على وعد من الباب العالي باحترام سيادة مصر اذا تمت الاطاحة بالاحتلال البريطاني، وأن يضمن له الألمان الجلوس على عرش مصر مجدداً، وقد

---

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 205 .

(٢) دعا أنور باشا وزير الحربية العثمانية والي الشام جمال باشا، وأخبره بعزمه على الشروع في مهاجمة قناة السويس لأجل إرغام بريطانيا على إبقاء قوات كبيرة في مصر وبالتالي التخفيف من الكثافة العسكرية البريطانية في الميدان الغربي، والحيلولة دون حشد قوات بريطانية لإنزالها في الدردنيل، ورغبة منه في اتمام ذلك المشروع فقد اتخذ أنور باشا عدة خطوات في سورية، فبما أن الألمان قد علقوا أهمية كبيرة على إنفاذ ذلك المشروع اهمية كبيرة فقد قام أنور بتعيين الكولونيل فون كريس رئيساً لهيئة أركان الحرب وأرسله الى دمشق بوصفه ملحقاً للبعثة العسكرية الالمانية، وقد طلب أنور من جمال باشا بعد أن عرض عليه خطوات التهيؤ لشن الحملة على السويس أن يكون قائداً للجيش الرابع وأن يتولى بنفسه مهمة تنفيذ الهجوم على القناة، فأجابه جمال باشا بأن واجبه المقدس يحتم عليه القبول بقيادة الجيش الرابع، للمزيد عن تفاصيل اللقاء بين أنور باشا وجمال باشا، ينظر: مذكرات جمال باشا السفاح، تعريب: علي أحمد شكري، دار البصري، بغداد، ١٩٦٣م، ص ص ١٥٣-١٥٤ .

(3) Olusoga, Op. Cit, p. 306 .

(٤) كريس فون كرسنشتاين (١٨٧٠- ١٩٤٨): قائد في الجيش الألماني ولد في مدينة نورنبرغ في ١٤ نيسان ١٨٧٠، تجند ضمن الحرس الامبراطوري في ميونخ، وتدرج في المراتب العسكرية حتى أصبح جنرالاً في البعثة العسكرية الألمانية إلى الدولة العثمانية لمساندة الجيش العثماني عام ١٩١٤، فأصبح كرسنشتاين قائداً للفيلق الثامن في الجيش العثماني عند دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى الى جانب ألمانيا، وأصبح في صيف عام ١٩١٥ رئيس أركان الجيش الرابع العثماني، الذي تهيأ للهجوم على قناة السويس. للمزيد ينظر:
Spencer C. Tucker, World War I: Encyclopedia, V. 1, California, 2005, p. 651 .

نقل أوبنهايم تلك المطالب الى القيادة الألمانية، ومن خلال التشاور بين السفير الألماني فنغنهايم و الاتحاديين تمت الموافقة على مطالب عباس حلمي من أجل الاستفادة منه في الهجوم المقرر على قناة السويس [١].

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p.p. 169- 171 .

المبحث الثاني: **دور وكالة أخبار الشرق في نشر الدعاية الألمانية** .

أولاً : **التنظيم الداخلي لوكالة أخبار الشرق** :

كان مقر مكتب أوبنهايم في برلين يمثل قاعدة الإنطلاق للدعاية الجهادية والتقارير الحربية عن الوضع في الجبهة الغربية، والبعثات التي تحركت من برلين لتحريض العالم الاسلامي على الثورة والانضمام الى الجهاد المقدس الى جانب الدولة العثمانية وألمانيا، وكانت معظم تكاليفه تؤمن من قبل أوبنهايم نفسه، ولكن تطور المهام التي القيت على عاتق هذا المكتب، أدت الى تحويله الى منظمة رسمية تمول بشكل كبير من قبل وزارة الخارجية الالمانية في بداية عام ١٩١٥[١]، وقد أُطلق على تلك المنظمة اسم " **وكالة أخبار الشرق**" (Nachrichtenstelle Fur den Orient) برئاسة اوبنهايم وإشراف وزارة الخارجية، والقسم السياسي في قيادة الأركان العامة متمثلاً بشخص رودولف نادولني (Rudolf Nadolny) [٢]، وأن الهدف الرئيسي للوكالة تقوية مشاعر الصداقة بين الألمان وشعوب الشرق وتقريبهما مع بعضهما، من أجل تطوير علاقاتهما لخدمة المصالح المشتركة [٣] .

غادر اوبنهايم في بداية العام ١٩١٥ برلين متوجهاً الى استانبول، بصفته ملحقاً في السفارة الألمانية هناك، من أجل إنشاء غرف أخبار تابعة لوكالة أخبار الشرق، والتي توفر لسكان المدن الرئيسية في الدولة العثمانية الاطلاع على تطورات الحرب[٤]، وقد كان إنشاء الوكالة بوصفها

---

(1) Erik Jan Zurcher, Jihad and Islam in world war I, Leiden University Press, Holland, 2016, p. 83 .

(٢) رودولف نادولني (١٨٧٣-١٩٥٣): ولد في ١٢ تموز بالقرب من مدينة لوتزن (Lotzen) الالمانية، وهو ابن عائلة غنية مالكة للأراضي، وبعد حصوله على شهادة القانون من جامعة كونيغسبرغ (Konigsberg)، انظم الى وزارة الخارجية في نيسان ١٩٠٢م وشغل مناصب دبلوماسية في الامبراطورية الروسية وبلاد فارس والبوسنة وألبانيا قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، كما قام بتوجيه الدعم السري لجماعات المعارضة الحكومية في روسيا خلال الحرب، للمزيد ينظر:

- Adams, Op. Cit, p. 315 .

(٣) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٩١ ؛

- Peter Heine, Al-Ǧihād: eine deutsche Propagandazeitung im 1. Weltkrieg, Die Welt des Islams, New Series, Vol. 20, Issue 3/4, Brill, 1980, p. 197 .

(4) Guido Knopp, Der heilige krieg, C. Bertelsmann, Munchen , 2011 , p. 78 .

مؤسسة لجمع المعلومات الاستخباراتية أولاً، واستخدام تلك المعلومات لأغراض الدعاية ثانياً، إلا أن النشاط الثاني أصبح الدعامة الأساسية لعمل الوكالة، أما النشاط الاستخباراتي فقد كان من مهام اللجان الثورية مثل لجنة الاستقلال الهندية التي أسسها اوبنهايم، ثم لجنة الشباب المصري في جنيف والتي كانت مفيدة بشكل خاص لعمل الوكالة بسبب قدرتها على التواصل مع مصر من سويسرا المحايدة خلال الحرب، وقد وضعت تلك اللجان أهدافها الخاصة قبل كل شيء والتي تتلخص في الحصول على إستقلال بلدانها فوق المصالح الألمانية والعثمانية، فالمصريين على الرغم من رغبتهم في التخلص من الحكم البريطاني، إلا أنهم عارضوا إعادة دمج بلادهم مع الدولة العثمانية [١] .

لكن سرعان ما تحطمت أمنيات اللجنة المصرية، ففي التاسع من شهر شباط وبعد قيام الحملة العثمانية على قناة السويس، أرسل بروفر صديق أوبنهايم الذي رافق البعثة بصفته مستشاراً ألمانياً، رسائل الى السفير الألماني فنغنهايم وإلى أوبنهايم، يخبرهما بالنتائج السيئة للحملة موضحاً أن اوبنهايم قد بالغ بشكل كبير في إمكانيات الدعاية الإسلامية، وأوضح له بأن التوتر العربي العثماني كان منتشراً في صفوف الجيش العثماني مما يعني أن مفهوم الأخوة الإسلامية في الجيش كان مجرد مبالغة [٢]، وقد خسرت الحملة حوالي ثمنمئة مقاتل، فقد فشلت في إقتحام القناة وبدأت بالتراجع نحو الأراضي المقدسة، أما الانتفاضات الجهادية التي كان من المتوقع حدوثها في القاهرة، فلم تحدث، لأن الشعب المصري والجنود المسلمين في القوات البريطانية لم يُظهروا أي علامة على التمرد، هذا ما أثبت صعوبة إقتحام قناة السويس [٣] .

ومن جانب آخر فإن العمل الواسع والمهام الكبيرة لوكالة أخبار الشرق فرض على اوبنهايم الاستعانة بفريق من المستشرقين، كما استقطب عدداً كبيراً من الشخصيات السياسية، والفكرية، الوطنية، العربية، الاسلامية والصوفية المعروفة، بهدف نشر المؤلفات والإشراف على إصدار

---

(1) Zurcher, Op. Cit , p. 87 .
(2) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p.p. 178- 179 .
(3) Olusoga, Op. Cit, p. 306 .

الصحف والمجلات و تحريرها، وإلقاء الخطب والترويج لما هو في مصلحة ألمانيا [١]، وجاء تنظيم الوكالة على النحو الآتي:

١- القسم العربي _ الموظفون الألمان :

ضم القسم الاستاذ اويغين متفوخ، و المترجم بروبستر (Probster)[٢] وقد شغل منصب نائب القنصل الألماني في المغرب قبل الحرب، والمترجم كارل اميل شابنغر، والمترجم شرودر (Shroder)، الدكتور روت بوكا (Dr. Ruth Buka)، والدكتور ماكس بروفر صديق اوبنهايم في مصر، ووكيل المخابرات الالمانية في سورية وفلسطين أثناء الحرب[٣] .

٢- القسم العربي _ الموظفون العرب :

ضم هذا القسم الدكتور أحمد فالي، وهو مصري محاضر في كلية اللغات الشرقية في جامعة برلين، و الشيخ صالح الشريف التونسي [٤]، الشيخ عبد العزيز جاويش، الداعية المصري للوحدة الاسلامية، ومحمد منصور رفعت، وهو طبيب مصري وقومي راديكالي كان منفياً في سويسرا، وإثنان من أحفاد بطل الاستقلال الجزائري الشهير عبد القادر الجزائري، أحدهما يدعى علي جاء الى برلين بصحبة صالح الشريف التونسي في كانون الأول ١٩١٤ [٥] .

---

(١) سنو، ألمانيا والاسلام . . . ، ص ٩٤ .

(٢) بروبستر: مستشرق ألماني لمع نجمه في الثلث الأول من القرن العشرين الى جانب مستشرقين كبار أمثال هارتمان وكارل هاينريش بيكر فقد تميزوا بأنهم إنتقلوا بالدراسات الاسلامية من التاريخانية الى سوسيولوجيا الاسلام أوالانثروبولوجيا الثقافية والتاريخية تحت تأثير المستشرق المخضرم ماكس فيبر ومجموعة من علماء مدرسة الاستشراق البريطانية. للمزيد ينظر:
رضوان السيد، المصدر السابق، ص ص ٤١ – ٤٢ .

(3) Zurcher, Op. Cit , p. 84 .

(٤) صالح الشريف التونسي (١٨٦٩ – ١٩٢٠م): جزائري الأصل هاجر والداه الى تونس، أصبح معلماً في مدينة الزيتونة، وهاجر الى دمشق واستانبول، وتولى تدريس أنور باشا وزير الحربية العثماني اللغة العربية، و إصطحبه معه الى ليبيا وكان معتمداً لديه، ووصف بعدها بأنه مستشار لأنور باشا، وقدم التونسي الى برلين في كانون الاول ١٩١٤ بصحبة الأمير علي بن الامير عبد القادر الجزائري، للمزيد ينظر :
عماد الدين غانم، المصدر السابق، ص ٧٣ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٤ .

٣- القسم الفارسي _ الموظفون الألمان والفرس :

ضم هذا القسم كلاً من الاستاذ اوسكار مان (Oskar Mann) مدير القسم حتى وفاته أواخر عام ١٩١٥، والدكتور سيباستيان بيك (Sebastian Beck)، الذي خلف اوسكار مان في رئاسة القسم وصار في وقت لاحق أستاذاً للغات الشرقية في جامعة برلين، أما الموظفون الفرس في هذا القسم فهم كل من:

أسد الله خان هداية، وتقي زاد، وكاظم زاد، وهم الذين شكلوا لجنة الاستقلال الفارسية في برلين شأنها شأن اللجان القومية التي شكلت بتشجيع من اوبنهايم [١] .

٤- القسم العثماني _ الموظفون الألمان والعثمانيون :

ضم هذا القسم كلاً من الأستاذ مارتن هارتمان (Martin Hartman) [٢]، مديراً للقسم، والدكتور والتر ليمان(Walter Lehmann)، الدكتور غوتهارد ياشكه (Gotthard Jaschke)[٣]، أما الموظفون العثمانيون في القسم فهم كل من، خليل خالد بك (Halil Halid Bey)، كان

---

(1) Zurcher, Op. Cit, p. 84 .

(٢) مارتن هارتمان (١٨٥١-١٩١٩): مستشرق ألماني، أهتم باللغة العربية وأنتج دراسات قيمة تتناول موضوعات من العصور الاسلامية، وقد اتصل بالشرق من خلال عمله بالتدريس في معهد اللغات الشرقية في برلين، ذلك المعهد الذي أنشأه بسمارك عام ١٨٨٧، وقد اهتم كثيراً بدراسة الأوضاع المعاصرة لعهده، وخاصة حول المجتمع والأدب، والمسألة العربية في الدولة العثمانية، وكان يعبر عن آرائه الشخصية التي كثيراً ما انطبعت بطابع الاندفاع الشديد في تناوله للأحداث المعاصرة، وعلى غرار البعثة العلمية الفرنسية في المغرب التي تأسست حوالي عام ١٩٠٥، والتي بدأت تصدر مجلة تختص بدراسة الاسلام في عصوره الحديثة، فقد حفزت تلك الخطوات هارتمان الى الاشتراك مع قلة من المفكرين في تأسيس "الجمعية الالمانية لعلم الاسلام " في عام ١٩١٢، وعمل على إخراج مجلة ألمانية تختص بالعالم الاسلامي وتهتم بصفة خاصة بحاضره الحي، وهي مجلة عالم الإسلام (Welt des Islams) ، للمزيد ينظر:

مصطفى ماهر وكمال رضوان، المصدر السابق، ص ص ٧٣- ٧٥ ؛

- Suzanne L. Marchand, German orientalism in the age of empire : Religion, Race, and Scholarship, Campridge University press, Campridge, 2009, p.p. 356- 360.

(3) Zurcher, Op. Cit , p. 84 .

قنصلاً عاماً للدولة العثمانية في بومباي، و صلاح الدين أحد القادة في البحرية العثمانية وعمل مترجماً في هذا القسم، و الدكتور سعدي (Saadi) وهو صحفي عثماني [١].

٥- القسم الهندي _ الموظفون الألمان :

عَمل في هذا القسم، كل من المبشر المسيحي فرديناند غراتش (Ferdinand Gratsch) مديراً للقسم، والدكتور هيلموت فون غلاسناب (Helmut Von Glasenapp)[٢]، ورجل الأعمال الألماني آرنست نيونهوفر (Ernst Neuenhofer)، والمبشر مستر والتر (Mr. Walter)، أما الموظفون الهنود في هذا القسم، فكانوا ثمانية عشر موظفاً، من بينهم هار دايال الهندوسي الثوري، الى جانب شاتو بادياي أعضاء اللجنة الداعية إلى استقلال الهند، **أما القسم الصيني**، فتولى إدارته وتنظيمه الدكتور هيربرت مولر (Herbert Muller)، وبالنسبة **للقسم الروسي**، فتولى إدارته هارالد قوزاق (Harald Cosack)، وأعضاء آخرين من الجورجيين والتتار [٣] .

ثانياً : **نشاطات ومهام الوكالة**:

إلى جانب الخدمة الصحفية التي كانت تؤديها السفارة الالمانية في استانبول، فقد حدد اوبنهايم مهام الوكالة بالتصدي لدعاية العدو، والقيام بدعاية مضادة تؤدي الى تحريض المسلمين في العالم على الثورة ضد دول الوفاق من خلال مبعوثين ألمان الى تلك البلدان، والحصول على المعلومات الاقتصادية والسياسية والعسكرية في تلك المناطق وفي الدول المحايدة أيضاً، مع محاولة إقناع شعوبها وحكامها بوجهة النظر الألمانية [٤] .

كما كان من مهام الوكالة إثارة شكوك المسلمين بأهداف دول الوفاق من جراء الحرب، و من أبرز النشاطات التي اضطلعت بها الوكالة، تحرير الأنباء التي تصلها من برلين، ومن ثم نقلها

---

(1) Zurcher, Op. Cit, p. 85 .

(٢) غلاسناب (١٨٩١- ١٩٦٣): عالم ألماني تخصص في شؤون الحضارة الهندية والأديان في الجامعات الألمانية. ينظر: سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٦٠٠ .

(3) Zurcher, Op. Cit , p. 85 .

(٤) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ص ٩١ - ٩٢ .

إلى المسلمين باللغات العربية، العثمانية، الفارسية، الهندوسية، الأردية، والسواحيلية، ولغات مسلمي القرم الخاضعين لروسيا، ومن أجل ذلك استعان اوبنهايم بمتخصصين ألمان وشرقيين لترجمة تلك الأخبار ومواد الدعاية والوثائق المهمة الى اللغات الشرقية، من واجبات الوكالة أيضاً مراقبة الصحافة المحلية والدولية والأحداث المحلية والبريد الوارد من الشرق الى الوزارات الألمانية، وتقديم ملخصات لإفتتاحيات الصحف العثمانية، كما عملت الوكالة في الوقت ذاته على إنشاء مكتبة شرقية عن الحرب، تتضمن صحفاً وكتيبات دعاية شرقية وعثمانية، ولم تستثن الوكالة من مهماتها عرض أفلام الدعاية وتدريس اللغة الألمانية في صالاتها [١] .

عدَ اوبنهايم المدرسين الألمان الذين يتولون تعليم اللغة الالمانية في الولايات العثمانية هم أكبر عامل مساعد للدعاية، في المجالين السياسي والاقتصادي، ورأى أن يتولى الدبلوماسيون والقناصل الألمان توزيع منشورات الدعاية في المشرق والمغرب العربي، على أن تعاونهم في المشرق العربي شركة سكة حديد بغداد والمؤسسات المصرفية والتجارية والثقافية الالمانية، ومؤسسات اوروزدي باك (Orosdi Back)[٢] النمساوية بفروعها في استانبول وحلب وبيروت والقاهرة، ولم يستثن اوبنهايم من مخططاته الطرق الصوفية، والمكانة الدينية لمكة المكرمة بوصفها مركزاً للحج، ومن خلالها يمكن تحريض العالم الاسلامي ضد بريطانيا وفرنسا، فأولى اهتماماً مباشراً بنشر الدعاية بين الحجيج الذي كان ينطلق من دمشق باتجاه المدينة المنورة، أو دس عملاء هنود مسلمين بينهم، لتوزيع المنشورات والتأثير فيهم [٣] .

سار العمل في وكالة أخبار الشرق حسب رؤية اوبنهايم، في أربعة مجالات رئيسية؛ أولها جبهات القتال مع العدو التي يحارب فيها جنود مسلمون حلفاء لألمانيا، عبر التشهير بالعدو بأنه

---

(١) سنو، ألمانيا والاسلام . . .، ص ٩٣ .

(٢) اوروزدي باك: يرجع إنشاء هذه السلسلة من المتاجر إلى أودلف أوروزدى الذي كان ضابطاً بالجيش المجري افتتح أول محل له لبيع الملابس بمدينة جالاتا عام ١٨٥٥.ولقد بدأ أوروزدى وأبناؤه وهم من عائلة باك ذات الأصول النمساوية المجرية بإنشاء معارض شبيهة في أماكن متعددة بما فيها بغداد وإسطنبول وبيروت. للمزيد ينظر:
(أوروزدي باك)، الانترنت . http://www.almosul.com/

(٣) سنو، الاسلام في الدعاية الالمانية.....، ص ١٩٠ .

يحارب بجنود شرقيين ومسلمين، والمجال الثاني هو التأثير النفسي في أسرى الحرب المسلمين في المعتقلات الالمانية لجعلهم يلتحقون بالجيوش العثمانية، أما المجال الثالث يتضمن الاهتمام بنشر الدعاية في الدول المحايدة وفي البلدان الاسلامية الحليفة لألمانيا وإقامة علاقات شخصية مع دوائر شرقية في تلك الدول، وبالنسبة للمجال الرابع والأخير هو القيام بالدعاية في ألمانيا نفسها، من خلال التبرير للرأي العام الالماني حول أسباب التحالف مع دولة إسلامية [١] .

وعلى الصعيد الإعلامي طلبت الوكالة من الصحف الالمانية توطيد علاقاتها بالصحف المحلية الموجودة بكثرة في استانبول وتزويدها بالأخبار عن مجريات الحرب، وبوصف أوبنهايم هو الأكثر خبرة بأوضاع الشرق وتقاليده الاجتماعية وتعصبه للدين فقد رأى بأن تأخذ تلك الصحف بعين الاعتبار في تقاريرها التقاليد الشرقية وحساسيات الشرقيين وأن تتجنب العبارات المسيئة للمسلمين، وأن تتبع الإسهاب في أخبار الانتفاضات في الهند وطموحات الشعب الهندي وبقية البلدان الاسلامية من أجل الاستقلال [٢].

وقامت الوكالة بفصل القسم الفرنسي عن القسم الألماني في جريدة اللويد العثمانية (Osmanischer Lioyd) [٣]، وبتمويل من تجار وصناعيون ألمان، أصبح هدفها إيصال آراء الحكومة الالمانية الى المثقفين العرب والعثمانيين، وعملت الجريدة على تزويد الوكالات والصحف العربية بالأخبار، كما قامت وكالة أخبار الشرق منذ أوائل نيسان ١٩١٥، بإنشاء صحف ونشرات خاصة باللغة الالمانية، وأهمها صحيفة مراسلات مكتب أخبار الشرق (Korrespondenzblatt der Nachrichtenstelle fur den Orient)، وصحيفة المشرق الجديد (Der neue Orient)، وصحيفة صوت من المشرق (Stimmen des Orients)، وكان الهدف الرئيسي منها هو نقل المعلومات الملائمة للدعاية عن الشرق والاسلام الى الرأي العام الألماني[٤] .

---

(١) فرح، المصدر السابق، ص ٢٣٩ .
(٢) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٩٤ .
(٣) اللويد العثمانية: جريدة باللغة الألمانية تأسست في استانبول عام ١٩٠٨م لمجابهة دعاية دول الوفاق، ينظر : المصدر نفسه، ص ٩٥ .
(٤) المصدر نفسه، ص ٩٦ .

دعمت وكالة أخبار الشرق الصحف والمجلات الاسلامية في برلين، ومنها مجلة العالم الإسلامي (Die Islamische Welt) [١]، وصحفاً عربية في بلاد الشام كالعهد، والرأي العام[٢]، والاتحاد العثماني، كما قدمت القنصلية الالمانية في حيفا دعمها المالي لصحيفة المهاجر، الصادرة لصالح الجالية الجزائرية في دمشق، كما تقربت القنصلية من محمد كرد علي، صاحب جريدة المقتبس، وعملت على نقل تحرير جريدة المفيد[٣] من بيروت الى دمشق، بسبب قوة تأثيرهما في الرأي العام العربي [٤] .

ومن نشاطات الوكالة تفعيل عمل الرابطة الألمانية _ العثمانية التي كانت تعمل منذ تاريخ إنشائها في شباط ١٩١٤م على دعم وتعزيز العلاقات الثقافية بين ألمانيا والدولة العثمانية، وتعزيزها، كما أُفتتح المركز الاقتصادي الألماني _ العثماني عام ١٩١٥، وجاء تفعيل تلك المؤسسات الثقافية والاقتصادية بعد نصيحة وجهها اوبنهايم الى المسؤولين الألمان من أجل الالتفات الى الشأنَّين الاقتصادي والثقافي في الدولة العثمانية، وذلك بعدما حقق النفوذ الألماني العسكري في الجيش العثماني مكانة مرموقة عبر المستشارين والخبراء الألمان [٥] .

---

(١) مجلة العالم الاسلامي: وهي مجلة شهرية ناطقة باللغة الالمانية، ساهم في إصدارها بشكل كبير كل من عبد العزيز جاويش ومثقفون عرب في برلين، وقد تم تمويلها من قبل الدولة العثمانية ومن أجهزة الدعاية الالمانية، وكان الهدف منها تعريف القارئ الألماني بالعالم الاسلامي، وتدعيم العلاقات بين ألمانيا والدولة العثمانية، للمزيد ينظر:
سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ١١٤ .

(٢) الرأي العام: صحيفة بيروتية، لصاحبها طه المدور، وكانت لسان حال جمال باشا والي سورية، للمزيد ينظر:
شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية واللبنانية من العهد العثماني حتى الاستقلال ١٨٠٠-١٩٤٧، ج١، منشورات أسمار، باريس، د . ت، ص ٢٦٠ .

(٣) المفيد: جريدة بيروتية، أسسها عبد الغني العريسي أحد الشباب العرب المتحمسين لقوميتهم، وقد تميزت الجريدة بقيمتها العالية، وأخبارها الموثوقة، وقد اهتمت بنشر الكثير من مقالات العرب القوميين الذين ذهبوا فيما بعد ضحايا لمشانق جمال باشا والي الشام، ينظر:
توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٥ .

(٤) سنو، ألمانيا والإسلام . . . ، ص ٩٥ .

(٥) سنو، الاسلام في الدعاية الألمانية . . . ، ص ١٩٣ .

ومن أبرز نشاطات وكالة أخبار الشرق هو استغلال السجناء المسلمين في ألمانيا لخدمة الدعاية الجهادية والجانب الحربي وفقاً لمخططات اوبنهايم، فقد تم في تموز ١٩١٥ إنشاء معسكر ومسجد الهلال (Halbmondlager) في ناحية فونسدورف (Wunsdorf) في برلين في تموز ١٩١٥م، ومعسكر فاينبرغر (Weinbergerlager) في منطقة تسوزن (Zossen) قرب مدينة بوتسدام[١]، ولم تكن تلك الجهود غاية في حد ذاتها ولكنها كانت جزءاً من هدف رسمه اوبنهايم وهو التأثير على السجناء المسلمين وأسرى الحرب في ألمانيا وتغيير أفكارهم من أجل تشكيل قوة عسكرية منهم يمكن إرسالها الى استانبول للإنضمام الى الحلف الألماني- العثماني أثناء الحرب[٢].

كان المشروع جزءاً من مخططات الجهاد الاستراتيجية التي وضعها أوبنهايم في مذكرة تشرين الأول، عندما أكد على أن تؤخذ الكثير من المسائل في نظر الاعتبار ومنها مراعاة شروط إعداد الطعام الحلال بالنسبة للسجناء المسلمين، ودفن جنائز السجناء بما يتفق مع وصايا الاسلام الدينية، مع مراعاة تخصيص أماكن للصلاة وتوفير الأماكن الدافئة لهم، مع ضرورة بقاء العملاء الألمان والهنود في المعسكرات طوال الوقت للعمل بوصفهم مترجمين [٣] .

وأُقيم المسجد في غضون خمسة أسابيع صيف عام ١٩١٥ بوصفه بناء خشبي الاطار وقد شارك السجناء المسلمون في عملية البناء[٤]، وجاء تصميم المسجد حسب توصيات اوبنهايم على الطراز العثماني، من قبة دائرية واسعة ومأذنة واحدة [٥]، وتم توزيع صور المسجد في جميع أنحاء

---

(١) سنو، الاسلام في الدعاية الألمانية . . .، ص ١٩٤ .

(2) Vera Ericson von Bahr, Halv måne, heligt krig: Radikalisering av muslimska krigsfångar I Halbmondlager under första världskriget–en arkivstudie, Kandidatuppsats, Södertörns högskola, Stockholm, 2016, S.S. 8 - 9

(3) David Motadel, Islam and Nazi Germanys war, London, 2014, p. 22 .

(4) Zurcher , Op. Cit, p. 187 .

(٥) وضعت مجلة ميونخ الالمانية في أحد أعدادها الصادرة عام ١٩١٦ صورة مسجد الهلال، يجلس أمامه السجناء المسلمون، ينظر: ملحق رقم (٥) .

أنحاء العالم الاسلامي وانتشرت الشائعات الألمانية بأن تكلفة المسجد قد تم تحملها من قبل الامبراطور فيلهلم الثاني شخصياً [١]، وكان إفتتاحه بداية شهر رمضان عام ١٣٣٣هـ المصادف في الثالث عشر من تموز ١٩١٥، وجرت فيه الخطب والاحتفالات الدينية والصلوات بحضور السفير العثماني في برلين وعدة جنرالات وممثلين عن هيئة الأركان العامة الالمانية [٢] .

وقدم أوبنهايم تعليمات مفصلة الى سلطات معسكري الاعتقال ومسجد الهلال لتكون بمثابة القوانين التي تسير عليها إدارة وتنظيم أُمور السجناء، فقد حدد المتطلبات الدينية والغذائية والثقافية للسجناء، وأصبحت تلك التعليمات هي الأساس الذي تقوم عليه إدارة تلك المعسكرات، وأصبح معسكر الهلال عبارة عن مركز للحياة الدينية اليومية للأسرى المسلمين، فقد أُقيمت فيه صلاة الجماعة، وكان يلقي الخطب الدينية مجموعة من رجال الدين والطلبة الذين يعملون لصالح ألمانيا[٣]، كما أُقيمت ورش للعمل يتعلم فيها السجناء ممارسة الفنون والحرف اليدوية، وبناءً على توصيات أوبنهايم كان يتم أخذ السجناء في رحلات ميدانية إلى المناطق الريفية القريبة من المعتقلات وإلى برلين بهدف كسب ثقتهم ليكونوا أكثر تعاوناً مع السلطة القائمة عليهم [٤] .

كما أُقيمت مراكز التجنيد التي تعنى بتلقين السجناء لتحويلهم الى جهاديين، وقد أشرف أوبنهايم على الكثير من تلك المراكز، وقام بتعيين وكلاء دعاية تابعين لمكتب أخبار الشرق للعمل بصفتهم ملقنين للسجناء، ومن بين اولئك الوكلاء مسلمون يعيشون في ألمانيا قبل الحرب، وقد أخذوا يُذَكرون السجناء بالتحالف العثماني الألماني، ورفعوا فوق بوابة المعسكر صورة السلطان العثماني أملاً في الحصول على المزيد من ثقة السجناء، وتم توزيع كتب الدعاية عليهم بلغاتهم الخاصة، وتشجيعهم على المشاركة في الأنشطة التعليمية بما في ذلك تعلم اللغة الألمانية [٥].

---

(1) Olusoga, Op. Cit, p. 311 .
(2) Zurcher, Op. Cit, p. 187 .
(3) Gerhard Höpp, Muslime in der Mark : als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen , Das Arabische Buch , Berlin , 1997 , S. 120 .
(4) Olusoga, Op , Cit , p. 312 .
(5) Ibid, p. 313 – 314 .

حرص اوبنهايم على نشر وتوزيع الصحف بين السجناء بوصفها وسائل مهمة لنشر الدعاية، فقد أشرف بنفسه على إصدار جريدة هندوستان (Hindostan)[١] القومية للسجناء الهندوس، وأخذت تصدر باللغتين الهندية والأردية، وجريدة الجهاد (EL Dschihad)[٢]، الخاصة بالسجناء المسلمين[٣]، وقد استعان اوبنهايم بمجموعة من المستشرقين الالمان ليكونوا بمثابة هيئة تحرير لتلك الصحف، ومن أبرزهم هيربرت مولر، وعالم الهنديات غلاسناب، كما استعان بعدد من الشخصيات الاسلامية لتحرير صحيفة الجهاد ومنهم عبد العزيز جاويش، وصالح الشريف التونسي، ومنصور رفعت، وكان بعض هؤلاء يزور معسكري الاعتقال من وقت الى آخر لإلقاء الخطب والمحاضرات على السجناء المسلمين [٤] .

تعاونت حكومة الاتحاد والترقي وعلى رأسها أنور باشا بشكل وثيق مع وكالة أخبار الشرق، فبعد صدور فتوى الجهاد قاموا بتشكيل منظمة رسمية تهدف الى زيادة القوة السياسية والايديولوجية للدولة العثمانية وجهاً لوجه ضد الوفاق، وساهمت المخابرات العثمانية بتشكيل تلك المنظمة التي أُطلق عليها (المنظمة الخاصة) أو التشكيلات (Taskilat) باللغة العثمانية، وعرفت كذلك بوزارة الشؤون الشرقية في استانبول، وتألفت من حوالي ٣٠٠٠٠ عضو من العسكريين والمدنيين وكان معظمهم من أصل عربي، وكان لتلك المنظمة نشاطاً مزدوجاً فقد عملت على تنسيق المقاومة في الأراضي الاسلامية المحتلة من قبل الوفاق، من خلال تنظيم الجماعات الثورية ونشر الدعاية

---

(١) جريدة هندوستان: صممت من قبل وكالة اخبار الشرق بإشراف اوبنهايم، لتوزيعها بين الأسرى الهنود في المعسكر الخاص بهم، الذي يسمى معسكر الهنود (Inderlager)، وهو جزء من معسكر الهلال في وونسدورف . للمزيد ينظر:

Heike Liebau, Hindostan (newspaper), in: 1914-1918-online. International Encyclopedia of the First World War: http://dx.doi.org/10.15463/ie1418.10468.

(٢) الجهاد: تتولى مهمة نشر الاخبار حول الوضع العسكري والدعاية المؤيدة لألمانيا والدولة العثمانية، وقد وافقت وزارة الحرب الالمانية على أصدارها، وأعطت هيئة الاركان العامة الالمانية موافقتها عليها ايضاً، وقد ظهرت الطبعة الاولى منها في اربع صفحات في اذار ١٩١٥م وبثلاث لغات هي العربية والعثمانية والروسية، للمزيد ينظر:

- Gabriel Yonan, Lest we perish A forgotten holocaust : The Extermination of the Christian Assyrians in Turkey and Persia, 1996 , p. 96 ;

- ملحق رقم (٤) .

(3) Olusoga, Op. Cit , p. 315 .

(٤) سنو، ألمانيا والإسلام . . . ، ص ٩٧ .

المؤيدة للعثمانيين، والدعم المالي والتنظيمي لمختلف أنواع المطبوعات مثل الصحف والمنشورات والكتيبات، وقد نفذت تلك المهام بالتعاون مع وكالة اخبار الشرق، وبدوره فقد أيد أوبنهايم وبشكل كامل المنظمة الخاصة أملاً في التحريض على الثورات [١] .

وقد نشطت الدعاية الألمانية في الشرق وصولاً إلى المغرب العربي، فقد تركز عمل وكالة أخبار الشرق في تلك البلاد على تحريض القبائل ضد فرنسا وتوزيع الأموال عليها، أما بشأن مصر فقد عين اوبنهايم مندوبين له في روما ونابولي وبيروت وطرابلس الليبية وأثينا لجمع المعلومات عن أوضاعها، كما قام بتشكيل فروع للمخابرات في تلك المناطق للاتصال بها ودفع شعبها الى الثورة في الوقت المناسب، كما وضع شيفرة خاصة للاتصال ونقل المعلومات الاستخباراتية بين الاسكندرية واستانبول وفيينا [٢] .

(1) Nurullah Ardic, Islam and the politics of secularism: The caliphate and middle eastern modernization in the early 20th century, Routledge, London, 2012, p. 193 .

(٢) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ٩٩ .

المبحث الثالث :دور أوبنهايم في الدعاية للحرب المقدسة ١٩١٥ - ١٩١٨.

أولاً: لقاء اوبنهايم مع الأمير فيصل بن الحسين ١٩١٥م :

أشار أوبنهايم في وقت مبكر من العام ١٩١٤ وقبل التأكد من دخول الدولة العثمانية في الحرب الى خطورة الجهود البريطانية الرامية إلى إنشاء مكة جديدة قائمة على خلافة مستقلة عن التأثيرات العثمانية الالمانية، من خلال التأثير على الشريف حسين بن علي للوقوف الى جانب دول الوفاق [١]، وقد تزايدت الأدلة لدى الجانب الألماني على تعاطف الشريف حسين مع بريطانيا، خاصة بعد عدم استجابته للحكومة العثمانية بإرسال قوات لمساندة الهجوم العثماني الألماني على قناة السويس، الى جانب قيامه باعتقال برنهارد موريتز الذي أرسلَته وزارة الخارجية الألمانية الى الجزيرة العربية لإنشاء مركز دعاية واستخبارات في جدة [٢] لكن تلك الأمور لم تقنع أوبنهايم الذي رأى بأن عدم الثقة من جانب ألمانيا وحكومة الاتحاديين تجاه الشريف حسين غير مبررة، مستنداً على آراء ومواقف الشريف المؤيدة للخديوي المصري المخلوع عباس حلمي، كما أجرى أوبنهايم تحقيقاً أقنعه بوجود دسيسة من الباب العالي العثماني ضد الشريف حسين، بغية عزله عن منصب الشرافة على مكة المكرمة [٣] .

ومن حسن حظ أوبنهايم كان فيصل بن الشريف حسين متوجهاً الى استانبول ١٩١٥ من أجل تسوية الخلافات بين حكومة الاتحاديين و والده شريف مكة [٤]، وفي طريقه الى العاصمة العثمانية قام فيصل بزيارة طويلة الى دمشق في آذار ١٩١٥م وكان هدفها الخفي تشجيع وحشد المثقفين والعسكريين العرب لمساندة التمرد الموالي لدول الوفاق ضد الحكم العثماني، بعدها توجه نحو استانبول لمعرفة الرأي العام هناك، إلا أن استقباله كان متواضعاً فأنور باشا وزير الحربية،

---

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad ... , p. 192 .

(2) Donald M. Mckale, German policy toward the Sharif of Mecca 1914–1916, The Historian, Vol. 55, No. 2, Wiley, New York, 1993, p. 306 .

(3) M. Mckale , War by revolution, p. 109 .

(4) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 192 .

وسعيد حليم باشا[١] الصدر الأعظم كانا مطلعين عموماً على علاقة الهاشميين ببريطانيا، لذا رفضوا تلبية طلبه بالاجتماع بهم لتسوية الخلافات القائمة، لكن أوبنهايم الذي عرف الشريف حسين وولده سابقاً والذي ربما غابت عنه حقيقة تفاهمات الشريف مع بريطانيا، قد إستغل الفرصة في خطوة مهمة منه للتقريب بين مكة والاتحاديين، وتوجه لزيارة فيصل في فندق (بيرابالاس) في استانبول بتاريخ ٢٤ نيسان من العام ذاته [٢] .

ومن الأسباب الرئيسية التي شجعت الأمير فيصل على الذهاب الى استانبول رغم معرفته بوجهة نظر الاتحاديين تجاه والده، هو رغبته في معرفة وجهة النظر الألمانية لاسيما بعد أن لاحظ الانقسام في الرأي بين القوميين في سورية فبعضهم أرادوا منه تولي قيادة الثورة العربية ضد الدولة العثمانية، والبعض الآخر متمثلاً بالعسكريين رأوا بأن ألمانيا ستفوز قريباً بالحرب، ومن الأمور التي شجعتهم على ذلك الإعتقاد هو فشل الاعتداءات الانجلو– فرنسية على مضيق الدردنيل في شهري شباط وآذار ١٩١٥م للحد من الدفاعات العثمانية [٣] .

تبادل فيصل واوبنهايم في بداية اللقاء المجاملات الشخصية، أما المجاملات السياسية فقد كانت مثيرة للاهتمام حيث قال فيصل في بداية حديثه : " **أشكر الله أن مصالح الإسلام متطابقة تماماً مع مصالح ألمانيا** " [٤] .

---

(١) سعيد حليم باشا (١٨٦٣-١٩٢١): سياسي عثماني ولد في القاهرة، وهو حفيد القائد المصري محمد علي باشا، تولى منصب الصدر الأعظم للحكومة العثمانية بين عامي (١٩١٢ – ١٩١٦)، ووقع خلالها بنود التحالف العثماني – الألماني، إلا أنه عرف بمعارضته لدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى، أقدم على الاستقالة إلا أن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي استطاعوا تغيير رأيه، أغتيل في روما عام ١٩٢١، للمزيد ينظر:
مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ٩٨٤ .

(2) Sean McMeekin, The Ottoman Endgame , Penguin press, New York, 2015, p. 204.

(3) M. Mckale, German policy … , 1914–1916, p.p. 307-308 .

(4) Quoted in: McMeekin, The Ottoman Endgame, p. 205 ; Sean McMeekin, Jihad-cum-Zionism-Leninism: Overthrowing the World, German-Style, Historically Speaking, Vol. 12, Number. 3, Boston, Massachusetts, 2011, p. 5 .

وعلى الرغم من أن فيصل إعترف بوجود فرق في الدين بين الدولة العثمانية وألمانيا، لكنه رأى بأن الدين لا ينبغي أن يقف في طريق المصالح المادية المتبادلة بينهما، فكان هذا الكلام مناسباً لأوبنهايم لكنه أراد تأكيداً أكثر، مؤكداً للأمير فيصل مراراً وتكراراً على ضرورة إنشاء إتحاد حقيقي للشعوب الاسلامية من أجل إقناعه بفكرة الحرب المقدسة، وقبل كل شيء يجب أن لا يكون هناك حديث عن نقل مركز السلطة الروحية إلى مكة المكرمة، فقد أصر اوبنهايم على أن الخلافة العثمانية يجب أن تبقى دائماً فذة ومركزية نحو الإتجاه الذي تتوجه إليه أنظار المسلمين[١] .

كما حذر اوبنهايم فيصل بأن عدم إحتفاظ الخليفة العثماني بالسيطرة على الأماكن المقدسة سيؤدي الى وضع بريطانيا يدها على مكة والمدينة المنورة، وبعد ذلك على جميع الدول الاسلامية، وإذا تمت تلك السيطرة على الحجاز فإن بريطانيا ستكون في وضع يُمَكنها من قمع حجاج مكة المكرمة ومنعهم من ممارسة الشعائر الدينية، كما أكد اوبنهايم أن من واجب جميع المسلمين إبتداءً من الشريف حسين وعشيرته الهاشمية محاربة المؤامرات الأجنبية، واتباع وصايا الخلافة العثمانية، وبهذه الطريقة يكون الحفاظ على قوة وهيبة الإسلام [٢] . من ذلك نلاحظ استخدام اوبنهايم أُسلوب الدعاية الاسلامية مع الأمير فيصل، ومحاولة لفت نظره الى حجم المشاكل التي يمكن أن يتعرض لها المسلمون لو انتهت الحرب لصالح بريطانيا، وفي الوقت ذاته لوح للأمير بمكانة معينة إذا ما أصبح ووالده الى جانب دول الوسط .

لم يختلف فيصل مع اوبنهايم حول التأثير الضار للنفوذ البريطاني على الحج وعلى الإسلام بشكل عام، واتفق معه على كراهية بريطانيا لكنه لم يشترك معه في مسألة تقديس الخليفة العثماني وسيادته على البلاد الاسلامية، لاسيما وأن مؤسسة الخلافة كانت لمدة من الزمن أداةً عاجزة بيد حكومة الاتحاديين، وكان الغرض الحقيقي من رحلة فيصل هو استطلاع نوايا أنور وطلعت باشا تجاه والده الشريف حسين الذي اكتشف أدلة على تخطيط الاتحاديين لتنحيته عن منصب الشرافة على مكة المكرمة، كما اعترف فيصل لأوبنهايم ضمناً أثناء اللقاء بأن والده كان

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 195 .

(2) Ibid, p. 196 .

يعلم جيداً أن فكرة الحرب المقدسة بكاملها قد تم صنعها من قبل اوبنهايم والامبراطور الألماني مع حكومة الاتحاديين من أجل تسخير القوة الالمانية للمصالح العثمانية [١] .

كما أكد فيصل لاوبنهايم أن الشريف حسين لم يكن متردداً في الإنضمام إلى الجهاد ولكن الاتحاديين كان عليهم أن يتبعوا نهجاً أكثر جديةً نحو الحرب المقدسة، فقد ذكر فيصل بأن حكومة الاتحاديين قد أفسدت نقاء وقدسية الأماكن المقدسة، من خلال إنشاءها للمدارس العلمانية على النمط الاوروبي، في مكة والمدينة المنورة، وبدلاً من تعليم اللغات الاوروبية للعرب والحجاج المسلمين كان يجب على تلك الحكومة أن تجعل من مكة مركزاً للدعوة إلى الدين الإسلامي والإنضمام إلى الجهاد[٢]. إذاً نلاحظ محاولة فيصل لخداع اوبنهايم وإيهامه بأن الشريف حسين مدافع رئيسي عن الاسلام، وصديق قوي لألمانيا، لكنه وصف الاتحاديين بالتناقض، وشكك في نواياهم تجاه الشريف حسين، ليبرر تأخر الأخير عن مساندة الجهاد، فمن غير المقنع إعتراضه على إنشاء المدارس العلمانية وتعليم اللغات الاوروبية، ذلك أن أبناء الشريف حسين قد تعلموا اللغات وبعض الفنون، فيمكن القول أن تلك الحجج كانت محاولة من فيصل لإبعاد الأنظار عن تفاهمات الشريف حسين مع بريطانيا.

على الرغم من أن إدعاءات فيصل حجة ذكية لإتهام العثمانيين بالخيانة ولكن الفوز عليهم كان يتطلب منه تقديم حيل بلاغية أكثر، لذا أكد لأوبنهايم إستعداد والده الشريف حسين لتجهيز جيش من الفرسان العرب وغيرهم من البدو للمشاركة في الهجوم المستقبلي على قناة السويس، دون أن يحدد حجم تلك القوة ولا الإطار الزمني لتنظيمها وبقي الغموض مخيماً على وعد فيصل بإرسال مبعوثين لتعزيز الجهاد في الصومال والسودان والهند البريطانية [٣]، فقد استفسر اوبنهايم من فيصل حول الامكانات التي يمكن أن تقدمها مكة لتنفيذ العملية المقترحة لرفع راية الثورة والحرب المقدسة في الهند، فأجاب فيصل عن ذلك بغموض وتهرب واضح :

---

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad …, p. 197 .
(2) Ibid, p. 196 .
(3) Ibid, p. 197 .

" **اننا سوف نقوم بواجبنا وسوف نغادر بعد ذلك والى الله تؤول مسألة نجاحنا** " [١] .

لذا أصر أوبنهايم على فيصل بأن يقدم تلك الوعود رسمياً لأنور باشا، فرتب الفرصة لعقد لقاءٍ بينهما مرتين في الأُسبوع الأخير من نيسان ١٩١٥ جزءاً من محاولة التقريب وتسوية الخلافات بين مكة والحكومة العثمانية [٢]، كما أقنع اوبنهايم أنور باشا ووزراء آخرين بضرورة الابتعاد عن فكرة عزل الشريف حسين من منصبه، وأهمية استغلاله جيداً من أجل الحرب المقدسة، وقد أثنى السفير فنغنهايم على فكرة اوبنهايم وعلى مهارته وذكائه الدبلوماسي[٣] .

وللتأكد من ولاء الشريف حسين طلب أنور باشا من فيصل بأن يشارك أحد أبناء الشريف شخصياً في الهجوم الذي اعتزم العثمانيون شنه على قناة السويس، وأن يجهز الشريف بدو الحجاز وسورية للانضمام إلى واجب الجهاد المقدس ضد بريطانيا، وقد وعد فيصل من جانبه بإرسال مبعوثين جهاديين إلى الصومال والسودان والهند [٤]، كما تعهد فيصل لاوبنهايم وأنور بأن يتولى والده نشر أفكار الوحدة الإسلامية وإرسال تقارير تفصيلية عن أوضاع الحجاز إلى الحكومة العثمانية الأسبوع تلو الآخر ولكن أوبنهايم كان على ما يبدو يجهل أن فيصل، وقبل فترة وجيزة من اللقاء، قد أمضى وقتاً في سورية مع القوميين العرب المناهضين للعثمانيين، وذلك من أجل تقدير وتقييم قوتهم لخدمة والده [٥] .

لقاءات فيصل مع اوبنهايم وأنور باشا جعلته يفكر بجدية حول كيفية دعم والده الشريف حسين للحرب المقدسة، لذا فقد ذكر لأوبنهايم في اجتماع أخير بينهما بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩١٥ مجموعة من المهام التي يمكن أن تؤديها مكة لخدمة الجهاد المقدس، والإضرار بالمصالح البريطانية في الخليج، ومن أهمها أن مكة المكرمة يمكن أن تكون مركزاً لتجنيد المجاهدين، بسبب

---

(1) Quoted in: McMeekin, The Berlin – Baghdad …, p. 198 .
(2) Ibid, p. 198 .
(3) Isaiah Friedman, British pan-Arab Policy 1910- 1922 , Transaction publishers, New jersey, 2010 , p. 47 .
(4) McMeekin,The Berlin – Baghdad … , p. 199 .
(5) M. Mckale, war by revolution , p. 110 .

أهميتها القدسية عند المسلمين ولكونها ستكون غطاءً مثالياً للتجسس ونشر الدعاية الألمانية، كما ذكر فيصل لأوبنهايم أن أعداد السودانيين المقيمين في الحجاز قد تضاعفت في الأعوام الخمس الماضية الى ما يقارب الثلاثين ألف شخص، لذا من الممكن إرسال جزء صغير منهم الى وطنهم لإثارة الجهاد المقدس هناك، وبذلك فإن السلطات البريطانية في الخرطوم والقاهرة ستعاني من مشكلة خطيرة، أما الهند فقد كرس لها فيصل أثناء اللقاء تفكيراً عميقاً وكان مقتنعاً بأن مكة المكرمة هي نقطة الانطلاق المثالية لإنتفاضة جهادية خطيرة فيها، فهناك بين الحجاج سنوياً الآلاف من الهنود الذين يمكن تجنيدهم وإرسالهم الى بلادهم لينشروا هناك قصصاً حول المجاعات الناتجة عن الحصار الذي يفرضه البريطانيون على مكة والمدينة المنورة، مما يؤدي الى إثارة المشاعر الإسلامية في الهند ضد القوات البريطانية، وقد وعد فيصل بأن كل ذلك يمكن أن يتم إذا قامت حكومة الاتحاديين بتوفير الأموال اللازمة لدعم والده [١] .

أما أوبنهايم فقد وعد الأمير فيصل بإعتلاء كرسي الحكم في مصر بعد تحريرها من البريطانيين [٢]، ومن ناحية أخرى رفض اوبنهايم طرح فكرة ألمانية تقضي بتعيين الشريف حسين في منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية خشية أن يثير ذلك التعيين عضب حكومة الاتحاد والترقي التي تحاول إزاحة الشريف حسين عن منصب الشرافة في الدولة العثمانية [٣] .

مع ذلك لم يتوقع فيصل الحصول على دعم مادي من وزير الحرب أنور باشا، ولا حتى بالأسلحة التي يحتاجها والده لتجهيز الكتائب العربية لشن الهجوم على السويس، لذا فقد اتضحت مبكراً علامات الفشل الذي سيئول إليه الاتفاق، حتى أن اوبنهايم المتفائل بطبيعته في جميع المسائل المتعلقة بالجهاد لم يكن مقتنعاً تماماً بأن الشريف حسين سيحصل على الدعم الأكيد، وبعد تلك اللقاءات زعم اوبنهايم أنه حقق نتيجة إيجابية لا يمكن إنكارها، ألا وهي منع حدوث فجوة

---

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 199

(2) Malcolm Brown, T. E. Lawrence in war and peace, Greenhill books, London, 2005, p. 102 .

(٣) سنو، ألمانيا والإسلام . . . ، ص ١٠٨ .

أو قطيعة تامة بين الخلافة وشريف مكة خلال الحرب، وبطبيعة الحال كان تفانيه في سبيل الحصول على تأييد الشريف حسين للحرب المقدسة والتحالف العثماني – الألماني، لأنه رأى في ذلك التأييد وحده وبمصادقة الشريف يمكن أن تكتمل فكرة الحرب المقدسة التي بقيت ناقصة دون تلك المصادقة، وأن دعم الجمهور للشريف حسين يساعد كثيراً على توحيد المسلمين تحت راية السلطان العثماني [١]، وقد أشاد السفير الألماني في استانبول فنغنهايم بعمل أوبنهايم الدؤوب ومفاوضاته الدبلوماسية مع فيصل، وخلص الى أن اوبنهايم قد ساهم في تحسين العلاقات بين الحكومة العثمانية والشريف حسين [٢] .

(1) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 200 .
(2) M. Mckale, German policy … , p. 309.

ثانياً: **رحلة أوبنهايم الى بلاد الشام ومصير الدعاية الألمانية حتى عام ١٩١٨م** :

كلفت وزارة الخارجية الألمانية أوبنهايم بعد لقائه بالأمير فيصل برحلة إلى سورية تستغرق بضعة أشهر، وكان مقرراً أن يتخذ من دمشق مقراً له، يرافقه كل من صديقه بروفر وبعض المسلمين الهنود، وكانت غاية الرحلة تنظيم مركز للمخابرات والمعلومات في القنصلية الألمانية هناك[١]، تكون مهمته تأمين إتصال آمن للمعلومات يبدأ من سورية وينتهي بأوروبا عبر استانبول، وإتصال آخر يربط بين سورية، مصر، السودان والمناطق الأفريقية الخاضعة لدول الوفاق، وتأمين اتصال بين بين سورية وبلاد فارس وأفغانستان والهند [٢] .

ومن أساليب الدعاية ومحاولات كسب ود العرب والمسلمين في سورية فقد أشار أوبنهايم الى أهمية تقديم هدية من جانب الامبراطور فيلهلم الثاني الى ضريح صلاح الدين الأيوبي في دمشق، لأجل أن يعيد الى الأذهان ذكرى ذلك القائد ويدعو أبناء العرب على الاقتداء به والمبادرة الى محاربة دول الوفاق أحفاد الصليبيين الذين جاءوا الى البلاد لانتزاعها من يد المسلمين، هكذا حسنت الفكرة في عين الامبراطور الألماني الذي أوصى معامل بلاده صنع ثريا ثمينة لكي تُعلق في ضريح صلاح الدين الايوبي، وكان من مهام أوبنهايم إيصال الهدية الى دمشق نيابة عن الامبراطور [٣] .

وصل اوبنهايم الى بيروت في العشرين من تموز ١٩١٥، وحال وصوله الى هناك عقد اجتماعاً في الفندق الالماني دوتشرهوف (Deutscher Hof)، حضره قناصل وموظفون ألمان لمناقشة مسألة تنظيم الدعاية للحفلة المقبلة والخطة الواجب إتباعها في سبيل تقديم هدية الامبراطور، فصَدرت الصحف في اليوم الثاني وفيها نبأ قدوم أوبنهايم حاملاً الهدية من الإمبراطور الالماني، وأن الاستعدادات اتُخِذَت لأن تكون الحفلة ضخمة للغاية، وكان من رأي أوبنهايم

---

(1) M.Mckale, war by revolution , p. 111 .

(٢) سنو، ألمانيا والإسلام . . . ، ص ١٠٠ .

(٣) عزيز بك، سورية ولبنان في الحرب العالمية : الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية، ترجمة: فؤاد ميداني، بيروت، ١٩٣٣م ، ص ٢٢٥ .

والقنصل أن تعلق الثريا في أول شهر شوال أي بعد حفل عيد الفطر ولكن شيوخاً من المسلمين هناك كان لهم رأي آخر فقد اقترحوا تعليقها والاحتفال بتنويرها ليلة ٢٧ رمضان أي ليلة القدر لأهمية المناسبة في نفوس المسلمين، وقد أيد اوبنهايم هذه الفكرة التي جاءت مطابقة لما أراد، وفي السادس آب من العام ذاته، تم الاحتفال بتعليق هدية الامبراطور بحضور أركان بارزين من السلطتين العثمانية والألمانية، وألقى اوبنهايم وبعض المشايخ الدمشقيين خُطباً حثوا فيها المسلمين على الوقوف الى جانب الدولة العثمانية والمانيا خدمة للإسلام ودفاعاً عنه ضد القوى الاستعمارية، وتغنى الجميع خلالها بأعمال صلاح الدين الأيوبي السابقة، وأعمال جمال باشا الحاضرة [١] .

رسم أوبنهايم، وطور خططاً من أجل استخدام أبناء القبائل العربية لخدمة الدعاية الالمانية كذلك الحال في سورية و شمال شبه الجزيرة العربية، فأنشأ في عدة مدن وقنصليات ألمانية محلية شبكة واسعة من مراكز الدعاية، وخلال الأشهر الأربعة التالية، أنشأ مقره الرئيسي في دمشق، وقام بالترحال في الريف السوري، مرتدياً الزي البدوي، وبمرافقة بروفر وحيازته على الكثير من النقود، فأخذ أوبنهايم يتوقف في المدن والقرى والواحات مبشراً بالرابطة الإسلامية الجامعة، داعياً لكره المسيحيين، وتحديداً البريطانيين منهم [٢] .

كما عمل على استخدام الصحافة المحلية في سورية لأغراض ألمانية ودراسة إمكانية الإفادة من الدعاية الألمانية في سورية بشأن الأسرى المسلمين في المانيا، والعمل على إنشاء صحف جديدة، ودعم الحملة العثمانية المنشودة على الهند، وتجنيد متصوفين وأئمة مساجد وأعيان وشيوخ عشائر وكسب العملاء والناشطين، والسهر على ترويج الأخبار عن قوة الاقتصاد الألماني بما يخدم مصالحها [٣] .

ولكن تلك المناشدات لم تعجب إلا القليل من المستمعين العرب، لا سيما وأن أوبنهايم معروفٌ بأصوله اليهودية المنبوذة لدى العرب والمسلمين وممثلاً لدولة مسيحية، فضلاً عن ذلك

---

(١) عزيز بك، المصدر السابق، ص ٢٢٦ .

(2) M.Mckale, war by revolution , p. 112 .

(٣) سنو، ألمانيا والإسلام . . .، ص ص ١٠٠ - ١٠١ .

كانت نشاطاته تخضع لرقابة عثمانيين متنبهين وحذرين، يعارضون مهمته في الحقيقة، كما بدأت التوترات والخلافات بين الألمان والعثمانيين بالتزايد، على جميع المستويات السياسية منها والعسكرية، ففي سورية صعّب جمال باشا، والي الشام، من مهمة اوبنهايم حيث شرع في الشك بوجود مؤامرة معادية لحكومة الاتحاد والترقي بين القوميين العرب المحليين، خاصة بعد فشل حملته على قناة السويس، ونتيجة لذلك، قام بتغيير سياسته تجاههم، فانتقل من التوفيق والتهدئة إلى القمع، وأعدم بذلك أحد عشر شخصاً من القوميين وحكم بالإعدام غيابياً على خمس وأربعون آخرين، و قام أيضاً بسحب الوحدات العسكرية العربية واستبدالها بقوات عثمانية [١] .

تلقى البريطانيون من جانبهم، تقارير تقول بأن الخلافات قائمة بين أعدائهم، ومنذ آيار ١٩١٥، كان البريطانيون في القاهرة على علم بمهمة أوبنهايم، وبعد تمركزه في دمشق، عَلِمت المخابرات البريطانية، أن أوبنهايم والقناصل الألمان في حيفا وحلب وسورية كانوا يشجعون على مذابح الأرمن[٢] على أيدي العثمانيين[٣]، كما إن نائب القنصل الألماني في حيفا لويتفيد فون هارديغ (Loytved Von Hardegg)[٤]، قام بمساعدة اوبنهايم في مهمته جيداً فعمد الى توزيع

---

(1) M.Mckale, war by revolution , p. 156 .

(٢) واجهت السلطة العثمانية المظاهرات والحركات الثورية الأرمنية الداعية الى التحرر وإعلان الحقوق الأرمنية المسيحية، من خلال عمليات قمع وابادة منظمة بعد أن رأت فيها تهديداً للأمن، فأنشأت فرقة الفرسان الحميدية المتكونة من الأكراد والألبان وأنيطت بها مهمة قمع الأرمن وترويعهم، وازدادت منذ عام ١٨٩٤ بعد أن زادت السلطة العثمانية من الضرائب المفروضة على الأرمن فنشأ عصيان شعبي واسع، دفع السلطة الى شن حملة ابادة كبيرة سميت (بالمذابح الأرمنية) ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ نتج عنها قتل حوالي مئة ألف أرمني، أما في عام ١٩١٥ فبسبب تقهقر الجيش العثماني أمام القوات الروسية وتهديد قوات الوفاق للعاصمة العثمانية عبر حملة الدردنيل، وفشل الحملة العثمانية على مصر، بحث الاتحاديون عن كبش فداء فقاموا بإلقاء لوم الهزيمة على الأرمن واتهموهم بالخيانة العظمى لعدم تطوعهم في الجيش وعدم تعاطفهم مع الدولة العثمانية و انضمام بعظهم الى روسيا، مما دفع الجيش العثماني الى اتخاذ خطوات قمع ونهب لمتاجر الأرمن، الى جانب عمليات نفي وتهجير من مناطق سكناهم بحجة حماية المدنيين والقوات المسلحة من خيانة متوقعة من الأرمن المتعاطفين مع روسيا. للمزيد ينظر:
محمد رفعت الإمام، القضية الأرمنية في الدولة العثمانية ١٨٧٨- ١٩٢٣، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص ٢٧- ٢٨، ص ٦٠ .

(3) M.Mckale, war by revolution, p. 157 .

(٤) فون هارديغ: نائب القنصل الألماني في مدينة حيفا، ساهم بنشر الأنشطة الثقافية الألمانية هناك ومنها إنشاء المعهد الفني في حيفا والقائه كلمة في حفل افتتاح المعهد في نيسان ١٩١٢ معبراً عن تمنيات الحكومة الألمانية =

منشورات تحث كل مسلم في فلسطين على قتل اثنين على الأقل من الرعايا البريطانيين والفرنسيين، كما نشر شائعات بأن القيصر قد تحول الى الدين الاسلامي[١]، وعلى الرغم من أن وثائق الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الالمانية الخاصة بالمسألة الأرمنية تضمنت تقريراً أو برقية أرسلها أوبنهايم بشأن الأحداث الجارية عام ١٩١٥ والمتعلقة بالأرمن [٢]، إلا أن جانباً من الغموض بقي مخيماً حول ما إذا كان أوبنهايم قد تورط بشكل من الأشكال في إبادة الأرمن، ولم يكن هناك دليل على ذلك التورط، بصرف النظر عن نشاطاته المتعلقة بجمع المعلومات الاستخبارية، ونظرياته التي تقوم على تبني مفهوم الجهاد الاسلامي من قبل الألمان [٣] .

جذب أوبنهايم بشكل خاص اهتمام مارك سايكس (Mark Sykes) [٤]، وهو شخصية رئيسية في المكتب الحربي البريطاني ، وعندما جاء سايكس إلى مصر لتولي مهامه الاستخباراتية، أرسل إلى لندن معلومات أكثر عن أوبنهايم، ولم تأتِ هذه المعلومات في الحقيقة من أجهزة الاستخبارات بل مما سمعه مصدر روسي، فقد جعل سايكس من أوبنهايم شخصية مهولة واصفاً إياه باليهودي ذي الثروة الضخمة، والصديق الشخصي للإمبراطور الألماني، وأعلن أيضاً أن الألمان يشنون حرباً دينية شرسة ضد بريطانيا العظمى، وأصر على خطأ أن أوبنهايم كان يقود عمليات بلاد فارس وأفغانستان، كما استنتج أيضاً بأن جهود دعايته وبرنامجه الاسلامي لم يترك

= بنجاح المؤسسة، ساهم في إرسال تقارير الى وزارة الخارجية الألمانية عبر فيها عن آراءه حول النشاط اليهودي المتزايد في فلسطين، وحث وزارة الخارجية على أن تولي إهتماماً أكبر للحركة الصهيونية. للمزيد ينظر:
Gad J. Bensinger, Palestine in German Thought and Action 1871 – 1914, Doctoral Dissertation, Loyola University Chicago, 1971, p. 192 .

(1) J. Paris, Op. Cit, p. 36 .
(2) Vardges Mikaelyan, Die armenische Frage und der Genozid an den Armeniern in der Türkei (1913 - 1919). Dokumente des politischen Archivs des Auswärtigen Amts Deutschlands, Jerewan, 2004, S.S. 222 – 223 .
(3) Donald Bloxham, The great game of genocide: imperialism, nationalism, and the destruction of the ottoman Armenians, Oxford , 2005, p. 119 .
(٤) مارك سايكس (١٨٧٩- ١٩١٩): ولد في منطقة سليدمير (Sledmere) في مقاطعة يورك (York) في بريطانيا، وهو الابن الوحيد للسيد تاتون سايكس (Tatton Syekes) والسيدة جيسيكا كريستينا (Jessica Christina)، وقد تلقى تعليمه الاولي في مدينة سليدمير، وسافر مع والده الى مصر عام ١٨٨٨م، للمزيد ينظر :
- Shane Leslie, Mark Sykes: His life and Letters , London, 1923, p.p. 1-2 .

أثراً بين أنصار المدرسة العثمانية القديمة فحسب بل انسجم تماماً مع توجهات المسلمين الذين تبنوا الافكار والنُظم الاوروبية الحديثة، وقد اختتم معلوماته بأن الألمان حرضوا على مجزرة الأرمن في الدولة العثمانية، وفعلوا أقصى ما يمكنهم لإغتيال المواطنين المسيحيين أو الاوروبيين المعزولين في بلاد فارس [١] .

أما ريغنالد وينغت (Reginald Wingate)[٢]، القائد الأعلى للجيش المصري والحاكم العام للسودان، فقد اعتقد أن هنالك مجموعة من اليهود المؤيدين للألمان يسيطرون على الحكومة العثمانية [٣]، ولكن كان سايكس على الأخص، هو من يخشى التهديد الإسلامي الذي كان يثيره أوبنهايم وأن الاتصالات السرية لاسيما عقب وصول سايكس إلى الشرق الأوسط خلال فصل الصيف، قد تكثفت بين القنصلية البريطانية، وجهات رسمية أخرى وقوميين عرب مناصرين للاستقلال علاوة على ذلك استمر البريطانيون بتبادل الرسائل (مراسلات حسين- مكماهون)[٤]، مع الشريف حسين، فيما يتعلق بهؤلاء القوميين وبداية الثورة العربية[٥].

---

(1) M.Mckale, war by revolution , p. 159 .

(٢) ريغنالد وينغت (١٨٦١-١٩٥٣): تم تعيينه من قبل وزارة الحرب البريطانية قائداً للجيش المصري وحاكماً عاماً للسودان، وكانت حياته المهنية بالكامل عبارة عن خدمة عسكرية في الشرق، وبشكل رئيسي في الاستخبارات العسكرية، للمزيد ينظر:
ديفيد فرومكين، نهاية الدولة العثمانية وتشكيل الشرق الأوسط، ترجمة: وسيم حسن عبدو، بغداد، ٢٠١٥م، ص ٧٨ .

(3) M.Mckale, War by revolution , p. 160 .

(٤) عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب في تشرين الثاني ١٩١٤م، نادى البريطانيون بضرورة فتح باب المفاوضات مع الشريف حسين واستغلال التوتر القائم بينه وبين الدولة العثمانية، فقد أصدر كتشنر الذي عين وزيراً للحربية البريطانية عند اندلاع الحرب، أوامره في الاستفسار عن موقف الشريف حسين، اثر دخول الدول العثمانية الحرب الى جانب ألمانيا، فابدى الشريف الذي لم يحبذ دخول الدولة العثمانية الحرب، استعداده ورغبته للتعاون مع بريطانيا وذلك على لسان نجله عبد الله، شريطة حماية بريطانيا لمصالح العائلة الهاشمية مع تعهد خطي بذلك، فلم تمانع بريطانيا، وأبلغت السلطة البريطانية في القاهرة عبد الله موافقتها على التعهد ودعم العرب ضد أي اعتداء خارجي، وعدم التدخل في شؤون الحجاز الداخلية، واستعداد بريطانيا للوقوف الى جانب الشريف، عند مبايعته بالخلافة، وقد بقيت تلك المراسلات سرية على العثمانيين على الرغم من مراقبتهم لمقابلات عبد الله- كتشنر في القاهرة، وقد توجت تلك الاتصالات بالمراسلات التي دارت بين الشريف حسين و البريطاني هنري مكماهون من ١٤تموز ١٩١٥ حتى آذار ١٩١٦، للمزيد ينظر :
كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨- ١٩١٨ دراسة تحليلية، د. مك، ١٩٩٧م، ص ١١٣.

(5) M.Mckale, War by revolution, p. 162 .

تلقت القيادة البريطانية في القاهرة خلال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩١٥م، تقارير عن تسلل أوبنهايم من سورية الى شبه جزيرة سيناء والحجاز، فهيجت هذه المعلومة الرعب في نفوس البريطانيين، خوفاً من تهديد أوبنهايم للعلاقة القائمة مع الشريف فقد كان على بعد بضع كيلومترات من المدينة المنورة ومن عدد من الأماكن الأكثر قداسة في الإسلام قبل أن يجبره الشريف حسين على الرحيل، و بلغ الخبر مسامع البريطانيين عن طريق عبدالله ابن الحسين ووصل خبر الحادثة الى لندن في الثاني عشر من تشرين الثاني، ففسرت الحكومة البريطانية رسالة عبدالله المتعلقة بطرد أوبنهايم، كتعبير عن نية العرب بدء ثورتهم ضد العثمانيين[١] .

وعلى الرغم من تلك العراقيل، إلا أن اوبنهايم قد أنجز عملاً مهماً وكبيراً في سورية من خلال توظيف النشاط الصحفي لخدمة المصالح الالمانية، فقد ساهم في تأسيس صحيفة الشرق في دمشق، والتي وصلت الى تداول يومي تراوح بين ستة آلاف الى اثني عشر ألف نسخة[٢] وقد ذكر شكيب أرسلان[٣] في سيرته الذاتية أن الألمان قد أشاروا على الأتراك بإنشاء تلك الجريدة وتحيروا في اختيار الرجال الذين يعهدون اليهم بالقيام بتأسيسها وكان جمال باشا حاول إقناع أرسلان بالدخول في مشروع تلك الجريدة التي يريدونها أحسن جريدة عربية وقد اعتذر أرسلان عن ذلك معتلاً بعللٍ كثيرة، لكن صديقه الالماني اوبنهايم مارس دوره في اقناعه بالقبول، على شرط أن لا يدخل أرسلان في إدارتها وأن يقتصر عمله على تحرير المقالة الإفتتاحية فقط [٤] .

---

(1) M.Mckale, War by revolution , p. 163 .

(2) Salvador Oberhaus, Deutsche propaganda im orient während des ersten weltkrieges, Magister thesis, Universität Düsseldorf , 2002, S. 63 .

(٣) ولدَ في قصبة الشويفات من جبل لبنان عام ١٨٦٩م والده هو الامير حمود بن الامير حسن بن الامير يونس الأرسلاني الذي توفي عام ١٨٨٧م، درس شكيب هو واخوه نسيب في مدرسة الحكمة المارونية في بيروت منذ عام ١٨٧٩م وتعلم فيها اللغة الفرنسية، ومنذ حداثة سنه كان شاعراً واديباً فقد نشر عام ١٨٨٧م الجزء الاول من ديوانه الشعري وكان لديه من العمر سبعة عشرة سنة، غادر الى استانبول وفي طريقه اليها مر بمصر فالتقى بالمفكر الشيخ محمد عبده وتلميذه سعد زغلول، ومكث في استانبول عامين لقي خلالها المفكر جمال الدين الافغاني، ثم زار لندن وباريس عام ١٨٩٢م، وفي عام ١٩٠٢م تم تعيينه قائمقام لقضاء الشوف في لبنان، للمزيد ينظر:
الأمير شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩م، ص ص ٧-٣٠ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٩ .

وفي نهاية العام ١٩١٥، زودت النشاطات الدعائية الإسلامية لأوبنهايم المسؤولين البريطانيين في القاهرة بحجة إضافية من أجل مساعدتهم على إقناع حكومة لندن بالالتزام والوقوف إلى جانب شريف مكة، فأخذت الأخيرة بالعمل على تعزيز تحالفها مع العرب، وكان الشريف حسين خلال عملية المراسلات مع مكماهون منزعجاً بسبب استمرار وصول أخبار من سورية عن متابعة الوالي العثماني جمال باشا حملته القمعية بحق القوميين العرب، فأكد الشريف على إثر ذلك ولائه التام لبريطانيا [١] .

أما فرنسا فقد نجت حتى عام ١٩١٥م في تخطي أسوأ أهوال الحرب المقدسة التي قادها اوبنهايم، ويعود ذلك الى أن المغرب العربي كان أقل أهمية بكثير من الناحية الاستراتيجية بالنسبة لألمانيا مقابل مصر والهند، وعلى الرغم من أن شمال أفريقيا قد غمرت بكتيبات الدعاية الجهادية التي كان يصدرها مكتب اوبنهايم باللغة العربية لأكثر من عام، إلا أن فرنسا كانت في حالة تأهب قصوى لمبعوثي الجهاد الاسلامي الذين كانوا يحاولون التسلل الى مستعمراتها، فسيطرت على أراضيها وتحولت لقلب الأمور على اوبنهايم فأخذت تهاجم دعايته، فمنذ بداية الحرب كان هناك حديث في الدوائر الفرنسية حول بناء مسجد في باريس على نفقة الحكومة، بوصفها مبادرة للتضامن مع القوات الإسلامية الشمال أفريقية التي تقاتل الى جانب دول الوفاق على الجبهة الغربية، لكن الحكومة الفرنسية قررت القيام بخطوة أفضل في كانون الأول ١٩١٥، وهي تخصيص خمسمئة ألف فرنك فرنسي، لبناء إثنين من الفنادق الكبرى في مكة المكرمة لإيواء الحجاج المسلمين القادمين من المغرب العربي [٢] .

وعلى الرغم من تلك الظروف والتحديات تمكن اوبنهايم حتى بداية عام ١٩١٦م من إنشاء سبعون غرفة أخبار ومكتب صحافي في الدولة العثمانية، سواء كان ذلك بمشاركة شخصية منه أو بتوصيته وتوجيهه، وكانت المراكز الرئيسية البعيدة عن السفارة الألمانية في استانبول يديرها

---

(1) M.Mckale, War by revolution, p. 165 .

(2) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 289 .

قناصل أو تجار ألمان ونمساويون أو أعضاء في جمعية الإتحاد والترقي، وفي بعض الأحيان سكان محليون مثقفون[١]، وقد راعى أوبنهايم بأن تؤسس تلك المراكز وغرف الأخبار في الأماكن المزدحمة في المدن قرب المحال الكبيرة المشهورة، وكان بعض تلك المراكز بمثابة غطاء لنشاط جاسوسي ألماني، كما هو الحال بالنسبة لقاعة مقتطف الأخبار [٢].

طرح اوبنهايم في بداية عام ١٩١٦ فكرة جديدة تقضي بإرسال بعثة ألمانية عثمانية عن طريق الحجاز الى اليمن من أجل إقامة مركز للدعاية الاسلامية التي تستهدف إثارة السودان وشرق افريقيا ضد الوفاق، لكن أنور باشا لم يكن مؤيداً لتلك الفكرة، وأخبر الملحق العسكري الألماني في الدولة العثمانية في الحادي عشر من آذار بأن سفر البعثة الالمانية عبر المدينة المنورة ومكة المكرمة سيكون مستحيلاً حتى في ظل الحراسة العثمانية وسوف تتعرض حياتهم للخطر، وعلى الرغم من تلك التحذيرات تمكن اوبنهايم من إقناع القيادة الالمانية والعثمانية من تنفيذ مقترح إرسال البعثة فقام بإختيار مجموعة من العسكريين الألمان لقيادتها، أبرزهم الرائد فون شتوتزنجن (Von Stotzingen) رئيساً للبعثة، والضابط كارل نيوفيلد (Karl Neufeld)[٣] مستشاراً للبعثة ترافقهما وحدة صغيرة من الجيش العثماني [٤] .

---

(١) سنو، ألمانيا والاسلام . . . ، ص ١٠١ .

(٢) مقتطف الأخبار: انشأت في ساحة البرج في بيروت، وهي بناء مدخله صغير لكنه يتسع في الداخل، أقاموا وسطه مائدة طويلة وصفوا عليها الجرائد والمجلات وزينوا جدرانها بمئات الرسوم لإمبراطور ألمانيا والنمسا، وسلطان الدولة العثمانية، وقائد الجيش الرابع العثماني، وغيرها من ملصقات المعارك والانتصارات، وافتتح مقتطف الأخبار في ٢٩ من شهر آب ١٩١٥، وعهدوا بإدارته الى أحد البيروتيين المعروفين بموالاته لحزب الاتحاد والترقي وهو محمد أفندي الريس، وبرئاسة أحد الجواسيس الألمان في بيروت وهو كارل هوبل، وقد استمر ذلك النادي أو القاعة حتى آخر الحرب العالمية الاولى، للمزيد ينظر:
عزيز بك، المصدر السابق، ص ٢٩٢ .

(٣) الرائد فرايهير اوثمار فون ستوتزينجن، هو ضابط في هيئة الأركان العامة الألمانية قبل الحرب العالمية ضمن الفيلق الثالث عشر في الجيش، أما زميله كارل نيوفيلد فهو ضابط متمكن من اللغة العربية قام برحلات جنوباً نحو اليمن. وكلت اليهما خلال بعثة ١٩١٦ مهمة بناء محطة لاسلكية ذات قدرات بعيدة المدى سواء في مدينة الحديدة على الساحل أو في المناطق الداخلية من صنعاء، للمزيد ينظر:
Polly A. Mohs, Military Intelligence and the Arab Revolt: The First Modern Intelligence War, Routledge, New York, 2008, p. 41 .

(4) McMeekin , The Berlin – Baghdad . . . , p. 308 .

وصلت البعثة في ٢٦ اذار ١٩١٦م الى دمشق بناءً على أوامر من برلين ومن المهام التي كلفت بها توسيع الدعاية الجهادية في الجزيرة العربية وإجراء الاتصالات مع العناصر المعادية لبريطانيا في الحبشة، كما كُلف الفنيون من أفراد البعثة في حال وصولها الى اليمن ببناء محطة للإرسال اللاسلكي في صنعاء لأجل إجراء الاتصالات مع القوات الألمانية في شرق افريقيا [١]، وعند وصول البعثة الى سورية كان الأمير فيصل متواجداً هناك فحصل على معلومات عن نية البعثة بالمرور عبر الحجاز فأبلغ والد الشريف حسين بذلك، فاغتنم الشريف تلك الفرصة لإثبات ولائه للبريطانيين و تحذيرهم من عمل ألماني وشيك في الجزيرة العربية وشرقي افريقيا، فأبرق الى مكماهون بهذا الشأن، ووعده بإبلاغ لندن في حال قدوم البعثة الى الحجاز [٢].

قام جمال باشا بتأخير تحرك البعثة لغاية ٢ آيار من العام نفسه، بعدما أعلم الشريف حسين حولها، طالباً منه ضمان سلامتها عند عبورها أراضي الحجاز، وعلى الرغم من موقف الشريف المعادي لإجراءات جمال باشا ضد العرب في سورية ، ثم ارتحلت البعثة على متن القطار عبر صحراء الحجاز مع الوحدة العثمانية لكنها افترقت عنها وتابعت طريقها عبر ساحل البحر الأحمر، وكان من المفترض بها إعادة الاتصال بالوحدة العثمانية في أسفل ساحل البحر الاحمر، والاستمرار قدماً حتى الوصول الى اليمن، لكن في الخامس من حزيران ١٩١٦ وعندما بلغت البعثة ينبع اندلعت الثورة العربية في الحجاز[٣]، فتمكن نصف أعضاء البعثة الألمان من الهرب

(1) James, Op. Cit, p. 93 .

(2) M.Mckale, war by revolution, p. 167 .

(٣) الثورة العربية الكبرى: بعد أن نودي لصلاة الفجر في المسجد الحرام في مكة المكرمة، تم اختيار تلك اللحظة من قبل الشريف حسين بن علي ،لانطلاق الثورة ضد السلطة العثمانية في الحجاز، فقد أخذ بندقيته وذهب نحو نافذة بيته وأطلق رصاصة واحدة إشارة لأنصاره بإندلاع الثورة، وعلى الرغم من توقعات القيادة العثمانية بحدوث تمرد وارسالها للتعزيزات تحسباً لذلك الا ان الاعلان عنها كان مفاجئاً وعلى حين غرة، وقد نجح في إجبار الحاميات العثمانية في كل من مكة وجدة والطائف والمدينة المنورة على الاستسلام، وأعاق بشكل كبير تحرك القوات العثمانية المهددة له، عن طريق تدمير جزء من خط السكة الحديد من المدينة المنورة الى الشمال للمزيد ينظر :

David Murphy, The Arab revolt 1916-18 Lawrence sets Arabia ablaze, Great Britain, 2008, p. 33 ; C. Snouck Hurgronje, The revolt in Arabia, New York and London, 1917, p.p 1-2 .

وقتل آخرون على يد المهاجمين البدو، ومن الواضح أن قلق الشريف حسين من قدوم البعثة الالمانية – العثمانية قد حثه على إعلان الثورة قبل عدة اسابيع من التاريخ المتفق عليه مع لندن وحتى قبل أن يتسلم الأسلحة التي وعدته بها بريطانيا منذ بداية العام ١٩١٦ [١]، لذا فقد قضت الثورة العربية على الآمال الأخيرة للحرب المقدسة، ومثل فشل البعثة الالمانية الأخيرة الضربة القاصمة لمخططات اوبنهايم، وأثبت مبالغته في تقدير إمكانية نجاح الدعاية الالمانية لإثارة العرب والمسلمين ضد دول الوفاق [٢].

و في النهاية فإن الدعاية الألمانية التي قادها أوبنهايم لم تحقق النتائج المرجوة، فقد كان الافتراض بأن الإسلام هو الرابط الموحد بين جميع السجناء المسلمين في ألمانيا على اختلاف أممهم وثقافاتهم، إفتراضاً خاطئاً، فقد أشارت التقديرات الواقعية الى أن جزءاً قليلاً من السجناء، البالغ عددهم حوالي اثنَّي عشر ألفاً خلال الحرب[٣]، كانوا على استعدادٍ للرجوعِ إلى الجبهات، حيث لم يتم إرسال سوى ١٨٠٠شخص الى استانبول للقتال عام ١٩١٦، ومن الأسباب الأخرى للفشل هو تصاعد التوتر والخلاف المستمر بين أعضاء من حكومة الاتحاد والترقي من جهة والألمان ومن بينهم اوبنهايم من جهة أخرى [٤]، حول تأييد الشريف حسين للحرب المقدسة، فأنور باشا كان مرتاباً بشدة من محاولات الألمان التقرب من الشريف حسين، ورفض فكرة إنشاء قنصلية ألمانية في جدة، كما رفض مقترحات الألمان لرشوة الشريف حسين، وحول موقف الألمان فقد إنقسمت آرائهم الى قسمين، فأوبنهايم والسفير فنغنهايم وغيرهم رأوا بأن الفشل في الحصول على تأييد الشريف في الحرب من شأنه أن يقوض برنامج الوحدة الاسلامية بشكل كامل، بينما رأى آخرون بأن الهاشميين لا يمكن الاعتماد عليهم وأن دعمهم ليس له أهمية من الناحية السياسية [٥].

(1) M.Mckale, War by revolution, p. 168 .
(2) McMeekin, The Berlin – Baghdad . . . , p. 312 .
(3) David Motadel, Islam and the European empires, Oxford university press, Oxford, 2014, p. 249 .
(4) Yonan, Op. Cit, p. 96 .
(5) J. Paris, Op. Cit, p. 37 .

كما علق اوبنهايم آمالاً على دعم الشريف حسين، لاسيما عندما أكد له الأمير فيصل و للإتحاديين دعم والده للحرب المقدسة، وربما كان غافلاً عن المراسلات مع بريطانيا، وعن الأهداف السرية التي كان يخفيها الأمير فيصل عند قدومه الى دمشق واستانبول، فقد كانت مهمته السرية هي الاطلاع على قوة الحركة العربية في دمشق، بعد أن أرسلت جمعية العربية الفتاة الى الحجاز رسالة لإخبار الشريف حسين إستعداد العرب في سورية والعراق القيام بوجه الاتحاديين والحصول على الاستقلال، فقام فيصل بقطع الوعود المزيفة لأوبنهايم وللاتحاديين، كنوع من محاولة الشريف لإزالة الشكوك العثمانية تجاهه [١] .

كما أن الحكومة العثمانية وجهت الحرب المقدسة الى الداخل أكثر من الخارج، فقد حصدت أرواح السكان المسيحيين الأصليين في الدولة الذين اعتبرهم بعض الباحثين ضحايا للدعاية الألمانية [٢]، كما إن الاستغلال السيء للحرب المقدسة من جانب حكومة الاتحاد والترقي وحملة الاعدامات التي قام بها جمال باشا ضد القوميين العرب في سورية، قد اعتبرها الكثيرون سياسة عثمانية مدمرة ألهبت الرأي العام العربي ودفعته للتمرد، ومن المنتقدين لتلك السياسة هو محمد فريد بك [٣] الذي كان متعاوناً مع وكالة اخبار الشرق وكان على اتصال مع اوبنهايم، وقد أخبره في إحدى محادثاته معه على خلفية الثورة العربية ١٩١٦، قائلاً :

" **إن الامبراطورية العثمانية لا يمكن أن تبقى على قيد الحياة مالم تعد ترتيب نفسها كما فعل الاتحاد الجرماني، مما يسمح ويتيح لكل جنس من الأجناس المختلفة فيها ممارسة الحكم الذاتي الداخلي الخاص به** " [٤] .

---

(١) الفواز، المصدر السابق، ص ١٢٦ .

(2) Yonan, Op. Cit, p. 98 .

(٣) محمد فريد بك (١٨٦٨- ١٩١٩): ولد في مدينة القاهرة المصرية، نال شهدة الحقوق عام ١٨٨٧، كان صديقاً حميماً لزعيم الحزب الوطني المصري مصطفى كامل، وقد أصبح زعيماً للحزب الوطني بعد وفاة كامل عام ١٩٠٧م، للمزيد ينظر :

عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية (تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ – ١٩١٩م)، دار المعارف، القاهرة، د . ت، ص ص ٢٣ - ٢٩ ؛ رفعت السعيد، محمد فريد الموقف والمأساة رؤية عصرية، الدار المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م ، ص ٦٤ .

(4) Quoted in: Kristin Shawn Tassin, Egyptian nationalism,1882-1919: elite competition, transnational networks, empire, and Independence, unpublished doctoral dissertation, The University of Texas at Austin ,USA, 2014 , p. 107 .

وعلى الجبهة المصرية فشلت المحاولات الألمانية في جمع العثمانيين والوطنيين المصريين وعباس حلمي في معسكر واحد، كما انشغل المصريون في المنفى بخلافاتهم ضد بعضهم أكثر من انشغالهم بتكوين كتلة موحدة ضد بريطانيا، وقد عبّر شابنغر الذي ناب عن اوبنهايم في ترأس وكالة أخبار الشرق في برلين، بسخرية لاذعة ووصفهم **بـ** "**المتعطشين للمال**"، كما عجز الالمان عن إنشاء نواة لثورة مسلحة داخل مصر، إذ لم يتمكنوا من ايصال الأسلحة والذخائر إليهم(١) .

أما بعثة نيدرماير الى أفغانستان لإقناع أميرها حبيب الله للهجوم على الهند فلم تفلح في تحقيق الأهداف المرجوة، فبعد الوصول الى كابل عاصمة افغانستان في ٢ تشرين الاول ١٩١٥م، وسط ترحيب من قبل الجالية العثمانية مع حراس الشرف الأفغان، التقت البعثة حبيب الله الخاضع للسيادة البريطانية، لكن مقابلته لنيدرماير إتسمت بالفتور ولم يُبد مَيلاً للوقوف الى جانب أي طرف في الحرب، فاتضح لنيدرماير حقيقة موقف أفغانستان، فرجع الى إيران ثم الى العراق، دون تحقيق الهدف الجوهري للبعثة (٢) .

وذلك يعني أن إعلان الجهاد قد فشل في أن يوحد كلمة المسلمين خلف الدولة العثمانية وألمانيا ضد دول الوفاق، ولم تفلح نيران الحرب في إذابة العناصر المتباينة في المناطق المختلفة من الدولة العثمانية، بل على العكس أدت الى خيبة أمل الشعوب غير العثمانية التي كانت تمارس حكماً ذاتياً وأرادت الإبقاء عليه أو زيادة نطاقه، ونقله الى حكم ذاتي مشروع أو إستقلال كامل، ولم تشأ الدخول في الحرب تحت قيادة مركزية عثمانية (٣).

أدى كل ذلك في النهاية الى أن تقرر وزارة الحرب الالمانية في كانون الأول ١٩١٦ وضع حد لدعاية للحرب المقدسة في معسكرات الأسرى المسلمين، كما أصدرت بالإتفاق مع القيادة العسكرية العليا مرسوماً يقضي بأن الدعاية في كلا المعسكرين يجب أن تتوقف، وبعد سلام منفصل بين

---

(١) سنو، ألمانيا والإسلام . . . ، ص ١٢٩ .

(٢) فريتز غروبا، المصدر السابق، ج١، ص ص ٨- ٩ .

(٣) أديث و اي أيف بينروز، العراق: دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥-١٩٧٥، ج١، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٩، ص ٨٨ .

ألمانيا وروسيا عام ١٩١٧م [١]، صدر في ألمانيا تقييماً جديداً لمسألة الدعاية للحرب المقدسة، نص في جزء منه على :

" **أولئك الذين درسوا تاريخ الحرب منذ دخول حلفائنا العثمانيين فيها، يدركون جيداً أن الإعلان الرسمي للحرب في إستانبول لم يسفر عن إنتفاضة إسلامية عامة، وفي الوقت ذاته لا يمكن لأحد على دراية بالشرق وتاريخ شعبه أن يرى غير ذلك** " [٢] .

ولم يكن جميع الضباط والمستشارين العسكريين الألمان الذين يعملون مع القوات المسلحة العثمانية مقتنعين إزاء قيمة أو حكمة إطلاق العنان للحرب المقدسة ضد دول الوفاق، وقد اعتبرها الكثير منهم مضيعة للقوى والموارد القيّمة، واعتقدوا بأنها يمكن أن تأتي بنتائج عكسية، ولم يقتصر ذلك الإنتقاد على العسكريين فحسب، بل شاركهم فيه عدد من الشخصيات الدبلوماسية في السفارة الألمانية في استانبول وأبرزهم الدكتور هاري ستورمر (Harry Stuermer) الذي انتقد اوبنهايم بشدة واعتبر تلك الدعاية للحرب بمثابة إساءة استغلال للإسلام، و أوجز ستورمر تلك الانتقادات في عام ١٩١٧م بعد لجوئه الى سويسرا[٣]، فقد كتب كتاباً بعنوان (عامين من الحرب في القسطنطينية) (Two War years in Constantinople)، إتهم فيه أوبنهايم وزملائه بالمسؤولية الجسيمة في إطلاق العنان للتعصب العنيف ضد قوى القانون والنظام والحضارة، و أشار الى أن

(١) قام ذلك السلام على إثر قيام ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧م الاشتراكية في روسيا بزعامة الشيوعي الروسي فلاديمير لينين، وقد اندلعت تلك الثورة بتسهيل واسع من المانيا، وتمكن لينين من تشكيل حكومة ثورية جديدة في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧، وأصدرت تلك الحكومة (قرار السلام) الذي دعت فيه جميع الدول لإيقاف الحرب والبدء بالمفاوضات السلمية، فتم إعلان الهدنة الروسية الألمانية الممهدة لعقد مؤتمر الصلح، للمزيد ينظر: فاروق صالح العمر، ثورة أكتوبر البلشفية لـ ١٩١٧ وتأثيراتها في أوروبا- تركيا-العراق في ضوء الوثائق البريطانية، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٢٥ ؛ علي صبح، السياسة الدولية بين الحربين العالميتين (١٩١٤-١٩٣٩)، دار المنهل اللبناني – مكتبة رأس النبع، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٣٧ .

(2) Quoted in: Yonan, Op. Cit, p. 97 .

(3) Peter Hopkirk, On secret service east of Constantinople: the plot to bring down the British empire, Oxford university press, Oxford, 1994 , p.p. 132- 133 .

اوبنهايم قد قام برحلاته وبحوثه العلمية في البلاد العربية، و أنفق الآلاف من الماركات من جيبه الخاص والملايين من الأموال الرسمية لدعم أوهام كاذبة ودفع القبائل نحو الجهاد[١] .

عاد اوبنهايم على إثر ذلك الى ألمانيا في بداية عام ١٩١٧، بعد أن شعر بأن وجوده في استانبول لم يعد مهماً بالنسبة لعمل وكالة أخبار الشرق التي استمرت في نشر الدعاية الالمانية رغم المؤشرات التي دلت على قرب انكسار وهزيمة ألمانيا في الحرب، و مارس خلال المدة المتبقية من الحرب، دوراً آخر تمثل باستقبال الوطنيين العرب في ألمانيا وأبرزهم صديقه شكيب أرسلان الذي زار برلين في العام نفسه موفداً من قبل وزير الحربية العثمانية أنور باشا، وقد استغل اوبنهايم نفوذه من أجل التمهيد لاستقبال أرسلان استقبالاً حسناً أينما حل في ألمانيا سواء كان ذلك في برلين أو في المدن الأخرى [٢].

وقد أشار أرسلان الى الحفاوة التي حظي بها في ألمانيا خصوصاً من قبل اوبنهايم، الذي كان يقيم له المآدب ويدعوا اليها أصحابه من الأعيان الألمان وعلمائهم ورجال حكومتهم، حتى صار الكثيرين يترددون على أرسلان في الفندق الذي أقام فيه في برلين، كما انتدبت وزارة الخارجية الالمانية أحد كبار موظفيها لأخذ ارسلان في سياحة يطوف بها على مدن ألمانيا، ومن تلك المدن كولونيا التي تعتبر مسقط رأس اوبنهايم، وفيها بيوت أخوته وأبناء عمومته مما هيأ لأوبنهايم المبالغة في استقبال أرسلان، وتقديمه الى رئيس بلدية المدينة الذي أهدى لأرسلان جميع صور مناظر مدينة كولونيا [٣] .

وكان ذلك جزءاً من الرعاية التي حظي بها أرسلان من قبل الحكومة الالمانية باعتباره زعيماً درزياً وعنصراً عربياً مهماً لمساندة السياسة العثمانية وتقويتها تجاه البلاد العربية وشعوبها، فكان أرسلان يزور المدن الالمانية ويقابل كبار المسؤولين فيها وينشر المقالات في الصحف

(1) Harry Stuermer, Two war years in Constantinople: Sketches of German and young Turkish ethics and politics, New york, 1917, p.p. 134 – 135 .

(٢) فرنر انده– بيتر هاينه، الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في المانيا حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٢٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨١، ص ٢٠٤ .

(٣) شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ص٢٢١-٢٢٣ .

الالمانية ويصدر الكتيبات داعياً الى تأييد ألمانيا، كما كان يهاجم سياسة دول الوفاق الودي حاثاً المسلمين على الثورة ضدها[١] .

ومع اقتراب نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨م دلت نتائج الدعاية الجهادية التي أدى فيها اوبنهايم دوراً رئيسياً على فشلها في تحقيق الكثير من الأهداف المرجوة، فقد تجاهل أغلب المسلمين دعوة الجهاد على الرغم من المبالغ الطائلة التي استثمرها الألمان في سبيل إرسال البعثات لتحريضهم على الثورة ضد الحلفاء، الى جانب الدعاية التي طبعت في برلين واستانبول بإشراف وتوجيه اوبنهايم ووكالة أخبار الشرق، وبالرغم من أن بذور الانتفاضة الاسلامية العامة قد زُرعت لكن الكثير من المسلمين أدركوا بأنها ليست سوى عمل متضافر من قبل ألمانيا والدولة العثمانية قُصد من ورائه زعزعة مصالح الحلفاء في مستعمراتهم وإضعاف قدراتهم، ولأجل ذلك العمل وظف عدد من الخبراء والعلماء الألمان وأبرزهم فون اوبنهايم وزملائه مثل هارتمان، وآرنست ياكه خبراتهم، لأجل إثارة أفكار التعصب والكراهية الدينية، خدمةً لمصلحة بلادهم في الحرب وليس بالضرورة خدمةً لمصالح المسلمين [٢] .

(١) سنو، ألمانيا والإسلام . . . ، ص ١١٢ .

(2) Wolfgang G. Schwanitz, Germany's Middle East policy, Middle East Review of International Affairs, Vol. 11, No. 3, New York, 2007, p.p. 28-29 .

الفصل الرابع

نتاجات أوبنهايم الأثرية والعلمية ومواقفه السياسية (١٩١٨-١٩٤٦).

- **المبحث الأول**: **إنجازات أوبنهايم الأثرية والعلمية في ظل المتغيرات السياسية ١٩١٨-١٩٣٩**

- **المبحث الثاني**: **دور اوبنهايم في رسم سياسة المانيا النازية تجاه الشرق الاوسط** .

أولاً: **مقترحاته تجاه الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية**.

ثانياً: **وفاته** .

المبحث الأول: **إنجازات اوبنهايم الأثرية و العلمية في ظل المتغيرات السياسية ١٩١٨-١٩٣٩** .

إتجه أوبنهايم منذ العام ١٩١٧م الى العمل العلمي الأكاديمي، فأولى اهتماماً كبيراً باكتشافاته السابقة وبحوثه المتنوعة عن العالم الشرقي، لكي ترى النور بعد أن كانت مهملة بسبب انصرافه الى العمل السياسي قبل وخلال الحرب العالمية الأولى، فحاول إبرازها وتطويرها بالتعاون مع مجموعة علماء ومستشرقين[١]، وتمكن معهم من التركيز على تنظيم نتائج تنقيباته الأثرية وأبحاثه من خلال البدء بإنشاء مؤسسة ماكس فون اوبنهايم (Max Freiherr von Oppenheim-Stiftung) أو (معهد بحوث الشرق) (Orient-Forschungs-Institut) في برلين، التي وضع فيها مكتبته الخاصة المؤلفة من ٤٢٠٠٠ مجلداً معرفياً، الى جانب مجموعة كبيرة من مقتنياته الشرقية من السجاد والألبسة والآلات الموسيقية والأواني الخزفية الاسلامية، وأقام لها أول معرض في برلين، كما عزز اوبنهايم علاقاته مع الجامعات الألمانية من أجل إغنائها بالمعارف والبحوث الشرقية ودفع عجلة الاستشراق الألماني نحو الأمام[٢] من خلال وضع برنامج للمعهد يقوم على تكثيف الاهتمام بالشرق و التشجيع على إرسال البعثات العلمية الإستكشافية إلى هناك، ومساعدة الباحثين الموهوبين على إعداد أبحاثهم من خلال دعمهم بالمنح الدراسية لغرض الدراسة والسفر[٣].

وكان الهدف من تلك المؤسسة تشجيع نشاطات التنقيب الأثري، وإعداد البحوث عن الشرق الأوسط منذ عصور ما قبل التاريخ بما في ذلك دراسة الجغرافيا والسلالات والتاريخ السياسي

---

(١) اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ج ١، ص ٩ ، ١٠ .

(٢) ناديا خوليدس و لوتس مارتين، ((تل حلف والمنقب ماكس فرايهر اوبنهايم))، عدد ٦٢٨، ص ٣١١ .

(3) F. Krenkow and Peter Rennell Rodd, Notes and Queries: The " Baron Max Von Oppenheim – Foundation" (Oriental Research Institute), Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol. 5, No. 1, London, 1928, p. 204 .

والثقافي والاقتصادي والفنون والدراسات الدينية، كما أولت المؤسسة اهتماماً خاصاً بدراسة العلاقات الثقافية بين الشرق الاوسط والمناطق المجاورة له [١] .

وبذلك إستطاع أوبنهايم أن يتماشى مع التوجهات التي إنتهجتها حكومة جمهورية فايمار[٢] الألمانية، التي كانت أكثر حرية في التركيز على الثقافة والتجارة، وإعادة العمل بركيزتين من ركائز السياسة الألمانية تجاه الشرق وهما إحترام الوضع الراهن، والتنازل عن المستعمرات، كما تم الابتعاد عن سياسة التوسط في نزاعات الشرق، بعد أن حرمت ألمانيا من أي دور في العلاقات الدولية على الإطلاق، واتجهت وزارة الخارجية الالمانية منذ عام ١٩٢٠م نحو إصلاح منهجها وابتعدت عن التقاليد القديمة فتم إستبدال الدبلوماسيين القدماء أصحاب الأفكار الاستعمارية التوسعية، بمجموعة من المترجمين والخبراء في جميع التخصصات، فتمكنت ألمانيا من إستعادة معظم مواقعها المفقودة ومرة أخرى إحتلت مرتبة متقدمة في التجارة الخارجية مع الشرق الأوسط[٣].

وفي عام ١٩٢٢ تطور عمل معهد اوبنهايم بوصفه مؤسسة رسمية عُنيت بتخصصات متنوعة لاسيما ثقافة وتاريخ الشرق الأوسط، لكن تلك المؤسسة كانت رهينة الأزمات الاقتصادية التي عصفت بألمانيا في تلك المدة، ففي عام ١٩٢٣ فقد اوبنهايم ثروة كبيرة بسبب التضخم المالي[٤] الذي أثر كثيراً على مواصلة إنفاقه لدعم عمل مؤسسته العلمية، فاضطر إلى الإعتماد

---

(1) Anonym autor, Max Freiherr von Oppenheim-Stiftung (Orient-Forschungs-Institut) zu Berlin, Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, V. 84, N. 3, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 1930, S. 204 – 205 .

(٢) جمهورية فايمار (١٩١٩-١٩٣٣): تشكلت بعد هزيمة ألمانيا وحلفائها في الحرب العالمية الاولى، وتنازل الامبراطور فيلهلم الثاني رسمياً عن الحكم في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨، فانتهى الحكم الامبراطوري وسادت حالة من الفراغ السياسي، وسرعان ما اندلعت ثورة جماهيرية مطالبة بقيام الجمهورية الألمانية، ساهم فيها عدد من المثقفين، وسادت الاضطرابات في برلين، فتم تشكيل مؤتمر ضم ممثلي الشعب الألماني في ١٩ كانون الثاني ١٩١٩ في مدينة فايمار، وتمت صياغة الدستور للجمهورية التي أُطلق عليها أسم جمهورية فايمار، للمزيد ينظر:
Anton Kaes, Martin Jay, The Weimar Republic Sourcebook, London, 1994, p.p. 34 - 37.

(3) Schwanitz, Wolfgang G., Op. Cit, p. 29 .

(٤) عجزت حكومة جمهورية فايمار عن دفع التعويضات المالية التي فرضت على ألمانيا من خلال معاهدة فرساي إثر هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، مما أدى الى زيادة الأعباء على خزينة الدولة وساهم في خلق إحدى أكبر ظواهر التضخم النقدي في التاريخ، واستمر انخفاض المارك الالماني مقابل الدولار الامريكي، حتى لم تعد هناك عملة متداولة =

على القروض والدعم من الأقارب والأصدقاء، وفي العام ١٩٢٥ قام برحلة قصيرة الى استانبول وأنقرة بعد أن طلبت الحكومة التركية إرسال خبراء لإبداء المشورة بشأن تخطيط الحدود الجديدة مع سورية، نظراً لخبرته السابقة بالمسوح الجغرافية لتلك المناطق وما يمتلكه من معلومات مهمة من خلال رحلاته السابقة وعمله الآثاري(١).

ولم يقطع اوبنهايم اتصالاته ومراسلاته مع وزارة الخارجية الألمانية ولا مع الشخصيات العربية والإسلامية التي تعامل معها خلال أعوام الحرب، منهم شكيب أرسلان الذي انتقل من برلين الى جنيف بعد إنتهاء الحرب، وقام اوبنهايم بتزويد القسم الشرقي في وزارة الخارجية الالمانية بنسخ من مراسلاته مع أرسلان، كما شجع على التبادل المباشر للرسائل بين أرسلان و هيربرت فون ريشتهوفن **(Herbert Von Richthofen)** (٢) نائب رئيس القسم الشرقي في الوزارة، وكان كل من اوبنهايم وريشتهوفن يتشاوران قبل الرد على رسائل أرسلان التي تحتوي على مخططات وأهداف العرب القومية(٣).

حرص اوبنهايم على متابعة تنقيبات تل حلف، بعد أن تركها بسبب انشغاله بالدعاية للحرب، وقد تمكن بعد إنضمام ألمانيا الى عصبة الأمم عام ١٩٢٧ من الحصول على موافقة

= في ألمانيا، ووصلت قطاعات واسعة من السكان الى حالة الانهيار التام، ما أدى الى سقوط جمهورية فايمار، وتشكيل حكومة تحالف من الاشتراكيين والشعبيين برئاسة ستريسمان في ١٢ آب ١٩٣٣م، للمزيد ينظر:

الخوند، المصدر السابق، ج٣ ، ص ٢٥ .

(١) أوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج ، ج١، ص ١٠ .

(٢) هيربرت فون ريشتهوفن (١٨٧٩- ١٩٥٢): دبلوماسي ألماني من عائلة نبيلة، درس القانون وانضم بعد تخرجه عام ١٩٠٣ الى وزارة العدل، والتحق بالسلك الدبلوماسي الالماني منذ عام ١٩٠٤ في وزارة الخارجية، وأصبح بين عامي (١٩١١ – ١٩١٤) مستشاراً في القنصلية الالمانية العامة في القاهرة، ونائب رئيس قسم الشرق في وزارة الخارجية الالمانية (١٩٢٢- ١٩٢٨)، ثم سفيراً لبلاده في بلغاريا خلال الحرب العالمية الثانية، أدى دوراً دبلوماسياً في العلاقات الالمانية – البلغارية في العهد النازي، انتهت خدماته في بلغاريا في أيلول ١٩٤١ وحل محله أدولف هاينز، للمزيد ينظر:

- Marshall Lee Miller, Bulgaria during the second world war, Stanford University press, California, 1975, p. 64 ; https://de.wikipedia.org/wiki/Herbert_von_Richthofen .

(3) Gossman, Op. Cit , p. 231 .

لإكمال أعمال التنقيب، من قبل السلطة الفرنسية المسيطرة على سورية آنذاك[١]، فوصل في ذلك العام الى تل حلف واكتشف أن الموقع الآثاري قد تعرض للخراب بسبب معارك الحرب العالمية الأولى وتأثرت المنحوتات وتعرض بعضها للدمار الكامل [٢] .

عزم اوبنهايم على التنقيب في ما تبقى من مدينة تل حلف الأثرية على الرغم الخراب الكبير الذي تعرضت له، واستمر في التنقيب مع فريق من المتخصصين حتى صيف عام ١٩٢٩، وقد سهلت له الحكومة الفرنسية السورية مواصلة أعمال التنقيب، ومدت له يد العون من جميع النواحي[٣] فتمكن من العثور على آثار يعود تاريخها الى الألف الخامس والسادس قبل الميلاد، ولم يقتصر عمله على البحث والتنقيب هناك، بل تمكن من البحث في موقع اثاري آخر يسمى "جبل البيضا " يقع على مسافة ٧٠ كم جنوب تل حلف، وأجرى التنقيب في ذلك المكان خلال الأسابيع الأخيرة من العمل لأجل إيجاد تتمة جذع تمثال يعود للألف الثالث قبل الميلاد سبق أن شاهده هناك في زيارته الأولى الى الموقع عام ١٩١٣، إلا أنه لم يعثر على تلك القطع[٤].

أسفرت الاكتشافات عن حضارة متميزة أطلق عليها اسم حضارة تل حلف أو الحضارة الميتانية، نسبة الى الشعب الميتاني، وهذا ما أظهرته التنقيبات وقطع الفخار الملون الذي يعود لذلك الزمن، كما عثر على جدران هياكل منقوشة وتماثيل كبيرة وتحف فنية، فأكثر ما يميز ثقافة حلف هو الفخار الحلفي، الذي صنعته أيدي متخصصين زينوه برسومات وزخارف هندسية وصور حيوانات ونباتات[٥]، كما وجد اوبنهايم في القسم العلوي من تل حلف القلعة التي تحتوي على قصران، الأكبر هو القصر الشمالي الشرقي والآخر هو القصر الغربي الذي يدعى "القصر المعبد"، ووجد في القسم الشمالي الغربي خارج القلعة، القصر أو المعبد الآشوري، كما وجد جنوب

(1) R. L. Melka, Max Freiherr von Oppenheim: Sixty Years of Scholarship and Political Intrigue in the Middle East, Middle Eastern Studies, Vol. 9, No. 1, London, 1973, p. 82 .

(2) Gossman, Op. Cit , p. 147 .

(3) Oppenheim, Tell Halaf … , p. 242 .

(٤) ناديا خوليدس ولوتس مارتين، ((تل حلف والمنقب ماكس فرايهر اوبنهايم))، عدد ٦٢٨، ص ٣١١ .

(٥) عبد القادر عياش، حضارة وادي الرافدين: مدن فراتية (القسم السوري)، الأهالي، دمشق، ١٩٨٩، ص ٣٤١.

القلعة ثلاثة قبور وتمثال ضخم كامل لسيدة ذات ضفائر[١]، أطلق عليها العمال المنقبين "عروسة أوبنهايم " من كثرة زيارته لها وتأملها بإعجاب شديد [٢] .

سعى أوبنهايم أثناء إقامته قرب تل حلف (١٩٢٧ – ١٩٢٩) من أجل الحصول على معلومات ووثائق مهمة لإعداد مشروعه الضخم الذي عمل عليه خلال رحلاته السابقة، ألا وهو تأليف كتاب شامل عن القبائل العربية والبدوية، لذلك استطاع خلال وجوده في سورية أن يحصل من المفوضية الفرنسية العليا التي أبدت إعجابها بعمله، على سلسلة مستندات رسمية مهمة تتضمن عدداً كبيراً من الجداول عن القبائل، كانت المخابرات العسكرية الفرنسية في بيروت قد وضعتها كي يستعين بها موظفو وضباط منطقة الانتداب [٣] .

ومن أجل إغناء مادة مشروعه البحثي زار أوبنهايم شيخ المنتفق عجمي باشا السعدون[٤] في دمشق، حيث كان مُبعداً عن العراق من قبل سلطة الانتداب البريطاني بسبب وقوفه الى جانب الدولة العثمانية خلال أعوام الحرب العالمية الاولى، فحصل منه اوبنهايم على معلومات مهمة عن عشائر العراق الجنوبية كما التقى اوبنهايم بعمر صالح البرغوثي[٥] من القدس، الذي قدم له معلومات قيمة عن قبائل فلسطين وشرق الأردن وسيناء [٦] .

---

(١) صورة اوبنهايم بجانب تمثال لسيدة ذات ضفائر من تل حلف، ينظر: ملحق رقم (٩) .

(٢) ناديا خوليدس ولوتس مارتين، ((تل حلف والمنقب ماكس فرايهير اوبنهايم))، عدد ٦٢٨، ص ٣١٢ .

(٣) اوبنهايم، البدو، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٤) عجمي باشا السعدون (١٨٨١-١٩٦٠): من أبرز شيوخ عشائر السعدون في مدينة الناصرية، له تاريخ طويل في الدفاع عن الدولة العثمانية وصد الهجمات المتكررة من نجد، أبدى شجاعة فائقة في معركة الشعيبة ١٩١٥م، نفي على إثرها الى أورفة في تركيا. للمزيد ينظر:
عبد العزيز القصاب، مذكرات عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١١٢ .

(٥) عمر صالح البرغوثي (١٨٩٤ – ١٩٦٥): ولد في مدينة القدس، وأكمل دراسته الأولية في مدرسة (البطران (البطران سنت جورج)، تخرج من معهد الحقوق الفلسطيني عام ١٩٢٤، عُين بين (١٩٣٣- ١٩٤٨) تدريسياً لمادة القانون المدني في ذلك المعهد، وتم انتخابه نائباً في مجلس النواب الأردني عام ١٩٥٤، ثم عُين وزيراً للتربية والتعليم عام ١٩٥٥. للمزيد ينظر:
مجموعة باحثين، الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، مج ٣، هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٩٤٣.

(٦) اوبنهايم، البدو، ج١ ، ص ٦٩ .

إستمرت جهود أوبنهايم من أجل نجاح عمله، فبعد نهاية أعمال التنقيب، والعودة الى ألمانيا نهاية عام ١٩٢٩، واظب على تطوير معلوماته عن أوضاع العالم العربي، من خلال مراسلة وزيارة العرب الذين كانوا يأتون الى ألمانيا في تلك المدة، وكانوا يخبرونه بأحوال القبائل المتنوعة، ومن أبرز أولئك العرب الشيخ عجيل بن عبد العزيز الياور[١] شيخ مشايخ قبيلة شمَّر العراق آنذاك، الذي جاء من لندن الى برلين ليمضي بضعة أسابيع، وقد نقل الى اوبنهايم تحيات الشيخ مشعل إبن صديقه القديم فارس باشا، وأتاح الياور لأوبنهايم عقد صداقة وثيقة معه، تمكن بفضلها من الحصول على أخبار وإضافات جديدة وتحسينات على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لكتاب البدو، فاكتسب مزيداً من القيمة بفضل مواظبة أوبنهايم على توسيع مواده وتدقيقها [٢] .

إضطر أوبنهايم لطلب العون من شخصيات أكاديمية ألمانية من أجل التغلب على صعوبات التعامل مع كم المعطيات الضخم والشامل الذي تم توفيره بوصفه مادةً أوليةً لكتاب البدو، لا سيما وأنه كان من الضروري معالجة كل ما هو متوافر من أدبيات عن المجتمع البدوي، والمعلومات التي تتعلق بتاريخهم، كما أن إنجاز الكتاب بالشكل الذي أراده أوبنهايم، كان يتطلب القيام بأبحاث مستفيضة تستهلك الكثير من الوقت، وتتركز تحديداً على المؤلفات الشرقية من مختلف الأنواع، لذلك حصل على مساعدة من آيرش برونيلش**(Erich Braunlich)**[٣]، كما

---

(١) عجيل الياور (١٨٨٥ – ١٩٤٠): نشأ في مضارب عشيرته، وحارب مع والده عبد العزيز في صفوف الجيش العثماني، وعرف في البداية بمناوئته للبريطانيين، وقد وجه إليه ملك العراق فيصل بن الحسين دعوة عام ١٩٢٢ ليكون شيخ مشايخ قبيلة شمَّر، ومنذ ذلك العام أصبح الياور من أغنى وأوسع رجال العراق نفوذاً، كما جمع ثروة وقوة شخصية كبيرتين من خلال الحق الذي منح له من قبل الحكومة الملكية لجباية الضرائب الحكومية، وباشر الياور سنة ١٩٢٦ مشروعاً مقترحاً لتطوير الأراضي، اتفق عليه مع الملك فيصل الأول فاشترى مساحات واسعة من الأرض في الجزيرة الشمالية، وقد شارك عجيل الياور عملياً في الشؤون السياسية للمملكة العراقية، وابتداء من عام ١٩٢٤ كان ممثلاً لشمَّر في المجلس التأسيس العراقي، للمزيد ينظر:
جون فريدريك وليامسون، المصدر السابق، ص ص ٢٥٧-٢٦١ .

(٢) اوبنهايم، البدو، ج١، ص ٧١ .

(٣) آيرش برونيلش (١٨٩٢-١٩٤٥): درس في جامعة ليبزيغ و أصبح معيداً فيها عام ١٩٢٢م وكان قد نال شهادة الاستاذية بأطروحة عن " سطام بن قيس، البطل والأمير البدوي قبل الاسلام "، وعندما انتقل برونيلش في خريف عام ١٩٢٣ للعمل بوصفه مدرساً في جامعة غرايفسفالد(Greifswald)، احتل موقعه بوصفه مساعداً علمياً في وقفية الدراسات الشرقية الحديثة ومشاركاً في إعداد كتاب البدو، وانتقل عام ١٩٣١م ليكون أستاذا في جامعة ليبزيغ، أصبح مديراً لمعهد الدراسات الشرقية فيها، ثم عميداً لكلية الآداب في الجامعة ذاتها، وقد عني =

ساعده فرنر كاسكل (Werner Caskel) [١] الذي اهتم بالدراسات الشرقية في جامعة برلين، وكان كاسكل مهتماً بالتاريخ بصورة خاصة فكرس نفسه لتاريخ البدو، وسبق وأن نشر كتابات مثيرة للاهتمام حولهم منها: مهدي من القرن الخامس عشر، وولاة الحويزة، وكذلك اطروحته للأستاذية بعنوان أيام العرب، والمكرسة لقصص البدو العربية القديمة، ولم يتوقف كلاهما عن تكريس جهودهم لإنجاز كتاب البدو، علماً أن العمل الرئيس وقع على كاهل كاسكل الذي انكب خلال الأعوام الأخيرة بمفرده على الكتاب، وقد أبدى أوبنهايم سعادته للتعاون مع مساعدين وشريكين مجتهدين وعلى قدر كبير من الإهتمام بمادة البحث [٢] .

وبالعودة الى الآثار، فقد كانت كثرة القطع المكتشفة تتطلب ثلاثة عشر شاحنة من شاحنات الخط الحديدي من أجل نقلها من تل حلف الى حلب، وفي حلب تم اقتسام هذه المكتشفات بين دائرة الآثار السورية وبين أوبنهايم، بعد أن سمحت حكومة الانتداب الفرنسي في سورية بنقل نصف المكتشفات الى ألمانيا وأن يكون النصف الآخر من حصة سورية، فتم إنشاء متحف وطني سوري عرف بالمتحف الوطني الذي أفتتح عام ١٩٣١[٣].

= بالشعر الجاهلي وحياة البدو واللغة العربية ومعاجمها، ولما قامت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م تم استدعائه للخدمة العسكرية فترك العمل الجامعي، وتوفي عام ١٩٤٥م، والى جانب مساهمته في كتاب البدو، فقد ترك مؤلفات، ومقالات مهمة عن العرب والشعر العربي، للمزيد ينظر:
عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(١) فرنر كاسكل (١٨٩٦-١٩٧٠): درس في جامعة توبنغن علم اللاهوت عام ١٩١٤م، وتعلم في الوقت نفسه اللغة الفارسية، ثم انتقل الى جامعة برلين، وواصل دراسة اللاهوت عند أستاذه دلتش، ودرس القرآن لديه ايضاً، وتطوع للقتال في الحرب العالمية الاولى وذلك عام ١٩١٥م في الجبهة الغربية ضد فرنسا، ثم في الشرق الأوسط ضمن الجيش الألماني الذي يقاتل الى جانب العثمانيين، وعن هذا الطريق شاهد فلسطين وسورية والعراق، وتعلم اللغة العثمانية وأتقن اللغة العربية التي درسها من قبل في الجامعة، وكان قد تعرف على ماكس فون أوبنهايم منذ ١٩٢٣م وأصبح مشرفاً على مكتبته، وفي ١٩٢٨ حصل كاسكل على دكتوراه التأهيل للتدريس في اللغات السامية وعلوم الاسلام من جامعة برلين، وفي عام ١٩٣٠ عين مدرساً للفيلولوجيا (فقه اللغات) الشرقية في جامعة غريفسفالد خلفاً لبروينلش، وكان في نزاع مع النازية الألمانية، وأثناء الحرب العالمية الثانية عاد لاستئناف عمله في الاشراف على مؤسسة الأبحاث الشرقية لأوبنهايم والتي عين للإشراف عليها منذ عام ١٩٢٩م، علماً بأنه كان مسيحياً بروتستانتياً، للمزيد ينظر:
عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ص ٤٥٠ .

(٢) اوبنهايم، البدو، ص ص ٧١ - ٧٢ .

(٣) عبد القادر عياش، المصدر السابق، ص ٣٤٢ .

أما أوبنهايم فقد واجه رفضاً لاستقبال مكتشفاته من قبل المتحف الملكي الألماني، بسبب الضائقة المالية التي يعاني منها آنذاك، إلا أن الجامعة التقنية في برلين عرضت عليه مكاناً ليكون متحفاً مناسباً، وكان ذلك المكان عبارة عن مصنع مهجور في حي شارلوتنبورغ، وتمكن اوبنهايم وبمساعدة عائلته وأصدقائه من تحويل المصنع الى متحف مؤقت، ليصبح فيما بعد سمة من سمات إعادة الإعمار في ألمانيا[١]، وقد وضع في بوابته تماثيل الآثار المكتشفة في المعبد، واحتوى داخله على عدد كبير من الآثار والتماثيل التي بقيت بحوزته مضاف اليها قوالب من الجص تماثل تلك التي وضعت في متحف حلب، وكانت واجهة المتحف تحمل بأحرف كبيرة عبارة متحف تل حلف (Tell Halaf museum)[٢]، وجرى افتتاح المتحف في الخامس عشر من تموز ١٩٣٠، وبحضور أفراد فريق التنقيب الذي عمل مع اوبنهايم وعدد كبير من العلماء، وصار يفتح للجمهور والمهتمين من الساعة العاشرة صباحاً حتى الثالثة مساءاً [٣].

وضع اوبنهايم كتاباً كبيراً باللغة الالمانية، كتب فيه مراحل اكتشاف التل، ثم أردفه بمؤلف آخر أحاط فيه بجغرافية المنطقة وتاريخها وشعوبها القديمة التي تعاقبت عليها، ودرس بشكل مستفيض الآثار التي عثر عليها في تل حلف، وضم الى كتابه مئتان وأربعون لوحاً فوتوغرافياً مُعَرِفاً بأهم تلك الآثار، عدا مئات الرسوم الإيضاحية المثبتة في متن الكتاب وعشرون مخططاً للمدينة وشوارعها، وهياكلها وقصورها [٤].

ومن أجل إكمال أعماله التي بدأها كان على اوبنهايم في تلك الأثناء الحصول على قروض كبيرة لأجل تمويل مؤسسته ومتحفه ومشاريعه البحثية، إلا أن الضائقة المالية التي ضربت جميع المصارف بما في ذلك مصرف اسرته، جعلته يلجأ الى طلب قرض مقداره ٢٥٠,٠٠٠ مارك من إحدى الشركات التجارية في مدينة كولونيا، ولم يكن المبلغ كافياً، فبدأ أوبنهايم يفكر في بيع بعض

---

(1) Gossman, Op. Cit , p. 147 .

(٢) عبد القادر عياش، المصدر السابق، ص ٣٤٢ .

(3) Gossman, Op. Cit, p. 148 .

(٤) ناديا خوليدس ولوتس مارتين، تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم، ص ١١٠ ؛ عبد القادر عياش، المصدر السابق، ص ٣٤٢ .

من مكتشفات تل حلف، لذلك سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر ربيع عام ١٩٣١، وبعد أسبوع من وصوله أجرت معه صحيفة نيويورك تايمز مقابلة في الفندق الذي أقام فيه في نيويورك، ثم نشرت الصحيفة تقريراً جاء فيه:

" **إن عالم الآثار الالماني فون اوبنهايم متواجد هنا لعرض مكتشفاته الأثرية من تل حلف التي احتوت على منحوتات حجرية ضخمة تعود الى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد** " [١] .

لم يكن الوقت الذي جاء فيه اوبنهايم الى الولايات المتحدة مناسباً لأنها كانت غارقة أكثر من أي وقت مضى في كساد إقتصادي كبير، فلم يحالفه الحظ لعقد أي صفقة بيع وهذا ما عرَّض مشروعه للفشل، لكنه لم يتخلى عن فكرة بيع بعض مكتشفاته لأجل جمع المال اللازم لدعم المتحف والمؤسسة [٢]، وكان الملاذ الوحيد له في تلك الأوضاع هو اقتراض الأموال باستخدام مكتشفات تل حلف بصفتها ضماناً، فكان مصرف فون دير هايدت **(Von der Haeydt)** في برلين مستعداً لإقراضه، على أن آخر موعد لتسديد الأموال عام ١٩٣٤، وبخلاف ذلك يحق للمصرف الاستيلاء على القطع الاثارية، وعندما كانت أوضاعه المالية سيئة ومع اقتراب موعد تسديد الدين قام بعض المساهمين بمساعدته مالياً ومنهم مصرف أسرته وبعض أصدقاءه الأثرياء وأبرزهم زميله القديم في القاهرة هيرمان فون هاتزفلد [٣] .

ومع صعود الحزب النازي الى الحكم، بزعامة أدولف هتلر (Adolf Hitler)[٤] عام ١٩٣٣ تم منح اوبنهايم راتباً شهرياً قدره ١٠٠٠مارك ألماني، من قبل مكتب نائب هتلر فرانز فون

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit, p. 152 .
(2) Ibid, p. 153 .
(3) Ibid, p. 156 .

(٤) أدولف هتلر (١٨٨٩ – ١٩٤٥): ولد في أسرة فلاحية صغيرة، في كاستهوف زم بومر وهي منطقة صغيرة على حدود ولاية بافاريا النمساوية، وكان أبوه موظفاً صغيراً في الكمرك النمساوي، أصبح هتلر عسكرياً نبهاً كارهاً لليهود، فتم تعيينه ضابط تثقيف في حامية ميونخ وضيفته مكافحة الآراء الهدامة والمبادئ الاشتراكية والديمقراطية، وقد انظم الى حزب العمال الألماني عام ١٩١٩، وفي عام ١٩٢١استطاع هتلر أن يصبح زعيم الحزب بلا منازع، كما اشترى جريدة فولكشر بيوباختر المعادية لليهود، وفي كانون الثاني ١٩٣٣ أصدر رئيس جمهورية فايمار الالمانية فون هندنبرغ مرسوماً بتنحيه عن منصب المستشارية دون سابق إنذار وأخذ أدولف =

بابن، الصديق القديم لأوبنهايم خلال الحرب العالمية الاولى، تثميناً لجهوده السابقة في خدمة الامبراطورية الألمانية، ومن أجل مساعدته في إتمام موسوعة البدو، كما تلقى دعماً لمتحفه ومؤسسة الأبحاث التي تحمل اسمه، ولكن مع صدور قوانين نورمبرغ (Nuremberg Laws) [١] العنصرية تجاه يهود المانيا عام ١٩٣٥ تم سحب ذلك الدعم عنه نظراً لأصله اليهودي[٢] .

على الرغم من ذلك كتب اوبنهايم بتفاؤل إلى فالديمار أوبنهايم (Waldemar Oppenheim) مسؤول مصرف العائلة بتاريخ كانون الاول ١٩٣٥، "**إن المعاداة الحالية تجاه الأصل اليهودي لعائلة اوبنهايم من المؤكد سوف تتلاشى**"[٣]، ففي الوقت الذي ترك فيه الكثير من زملائه اليهود أو من ذوي الأصول اليهودية البلاد هرباً، كان أوبنهايم يرى في نفسه الوطني الألماني الذي وضع جميع خبرته وإتصالاته مع العالم العربي والاسلامي في خدمة بلاده، متوقعاً أن هذا ما سيشفع له لدى الحكام الجدد[٤].

ومن جانبه فعل اوبنهايم ما في وسعه من أجل طمأنة الحكومة الألمانية بشأن إستعداده للسير على خطهم الفكري، فحاول استغلال كل فرصة مناسبة لإثبات ولاءه للنظام النازي، فقام في أواخر العام ١٩٣٥ بصياغة خطاب مناسب لإلقائه في موعد افتتاح التوسعة التي أجريت على

=هتلر زعيم الاشتراكيين القوميين يدعو لنفسه بالرئاسة في أرجاء برلين، وكان تنحي الرئيس بتأثير من إبنه الرائد أوسكار فون هندنبرك، وفون بابن، واستطاع هتلر الحصول على منصب الرئاسة، للمزيد ينظر :
وليم شايرر، قيام وسقوط الرايخ الثالث "نهاية دكتاتور"، ج١، ترجمة : جرجيس فتح الله، دار أراس، أربيل، ٢٠٠٢، ص ص ١٣- ٥٩.

(١) بدأ هتلر حملته على اليهود منذ توليه السلطة عام ١٩٣٣، وفي العام ذاته نظم حركة مقاطعة للأعمال التجارية اليهودية، ثم استبعد اليهود من كثير من الوظائف العامة، وقد ازدادت تلك الإجراءات في عام ١٩٣٥، حيث استبعد الأطفال اليهود من النظام التعليمي، ثم صدرت في أيلول من عام ١٩٣٥م قوانين نورمبرغ، التي نزعت من اليهود حقهم في أن يكونوا مواطنين ألمان وسحبت منهم الجنسية الالمانية، تنفيذاً لفكرة الشعب العضوي والشعب العضوي المنبوذ، ومنعت الزواج منهم، كما تم منع الأطباء والمحامين اليهود من مزاولة أعمالهم، وبمرور الوقت كانت الحكومة الألمانية تتخذ العديد من الإجراءات وفي نيتها تهجيرهم إلى خارج المانيا، ينظر:
عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٠. ؛ حيدر صبري شاكر الخيقاني، تاريخ أوروبا منذ بداية الحرب العالمية الاولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية١٩١٤-١٩٤٥م، النجف، ٢٠١٤، ص ٢٤٢ .

(2) Gossman, Op. Cit , p. 209 .

(3) Quoted in: Ibid, p. 205 .

(4) Ibid , p. 231 .

بناية متحف تل حلف الموافق في الخامس عشر من تموز ١٩٣٦، وشهد الافتتاح حضوراً واسعاً من قبل صحفيين وعلماء وأصدقاء ومسؤولين رفيعي المستوى، وخلال كلمته التي ألقاها أمام الحضور إدعى اوبنهايم بأن اكتشافاته في تل حلف والمواقع الأخرى تُعد انجازات لصالح الثقافة الآرية[١]، في محاولة منه لإثبات ولائه للنظام الحاكم وتبنيه لأفكاره [٢]، ولم يكن هناك دليل على أن اوبنهايم تحدث أو تصرف بطريقة ينظر إليها بوصفها انتقاداً للنظام النازي، ولكونه يهودي الأصل كان من الخطورة عليه القيام بذلك [٣].

إلا أنه واجه صعوبات حول نشر دراساته العلمية عن تل حلف وكذلك إتمام موسوعة البدو، ويرجع سبب ذلك الى تأسيس "رابطة كُتّاب الدولة" (Reichs schrifttums kammer) من قبل جوزيف غوبـلز (Joseph Goebbels)[٤] وزير الدعاية السياسية في عهد هتلر، فأخذت الرابطة تدعم المؤلفين الألمان الذين ينتمون إليها، وكان على كل مؤسسة نشر أن تأخذ تصريحاً منها، ورفضت دعم ونشر أعمال أوبنهايم وأمثاله ممن لا ينتمون الى الآرية [٥] .

---

(١) ويقصد بالآرية (العرق الأبيض)، حيث قسم أحد الكتاب الاوروبيين المعادين لليهود ويدعى الكونت جوبينو في كتابه (مقال في التفاوت بين الأعراق الانسانية) ١٨٥٣-١٨٥٥م، قسم البشر الى أعراق : العرق الأبيض (الآري)، والأصفر، والأسود، وذهب الى أن الجنس الآري هو مؤسس الحضارة، وأن السمات المتفوقة لهذا العرق لا يمكن الحفاظ عليها إلا عن طريق النقاء العنصري، ينظر:
عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٧ .

(2) Gossman, Op. Cit, p. 210 .

(3) Ibid, p. 226 .

(٤) جوزيف غوبلز (١٨٩٧ –١٩٤٥): كان وزيراً للدعاية النازية، أما زوجته (ماغدا) فكانت سيدة النازية الاولى، وكانت صاحبة الزعيم هتلر، وكان هتلر يعتمد عليها اعتماداً تاماً حتى انه يستشيرها في الشؤون السياسية، وقد أدت دوراً رئيسياً في توجيه علاقات هتلر بقادة النازية، وتعتبر وزارته أضخم وزارة في عهد هتلر، من حيث وفرة عدد الموظفين والانتاج، وكان يعمل بدعايته على أساس الحرية المطلقة للصحافة، ولكنه كان يوجه رجال الصحافة توجيهاً مبطناً، وقد تولت وزارته دوراً مسانداً وداعماً في الدعاية خارج الحدود الألمانية وعلى مستوى القارة الاوروبية، للمزيد ينظر:
يونس بحري، هنا برلين حي العرب : هتلر والقادة العرب في برلين، ج٤، مطبعة الجهاد، بيروت، د . ت، ص٧ - ص ١٠٣ - ص ١٢٢ ؛

- Francis R. Nicosia, Nazi Germany and the Arab world, Cambridge University press, Cambridge, 2015, p. 113 .

(5) Gossman, Op. Cit, p. 207 .

لذلك طلب اوبنهايم من أصدقائه القدامى في وزارة الخارجية التدخل نيابة عنه، وكتب الى وزير الخارجية الألماني كارل فون نيـوراث (Karl Von Neurath) [١] من أجل حشد الدعم لنشر أعماله ولاسيما كتاب البدو، وطلب استثناءه من قرارات الرابطة، وقد تم بالفعل منحه ذلك الاستثناء، وفي عام ١٩٣٧ تم إبلاغ شركة لايبزغ (Leipzig) بوصفها دار نشر وعضواً في الرابطة، بأنها لن تواجه صعوبات إذا وقعت عقداً استثنائياً لنشر العمل العلمي ومساندة المؤلف الذي لا يمكنه تقديم دليل على أصله الآري [٢]، وعلى الرغم من الموقف المتباين تارة وأخرى تجاه اوبنهايم إلا أنه حصل على "وسام الشرف للجنود في الخطوط الأمامية " من قبل هتلر نفسه في ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٧، وتقديراً لخدماته السابقة من أجل المصالح الوطنية الالمانية خلال الحرب العالمية الاولى [٣].

إزداد تأثر حياة اوبـنهايم العلمية بالنظام النازي بشكل غير مباشر، فقد كان الصراع بين طموحات هتـلر الخارجية وبين الديمقراطيات الغربية له تداعياته في منطقة الشرق الأوسط، حيث كان رد فعل بريطانيا وفرنسا يتميز بالحِدة تجاه أي إشارة الى الاهتمام الألماني في شؤون مناطق سيطرتهم في الشرق، و أبرزها سورية، وكانت تلك المخاوف من النفوذ الألماني موجودة في أذهان الفرنسيين، حينما أبلغوا أوبنهايم عن طريق دائرة الآثار في حزيران ١٩٣٨ بأنه إذا لم يباشر ممارسة حقه في معاودة التنقيب في تل حلف وتل فخاريا القريب منه فإن اسماً آخر من علماء الآثار الامريكيين سينتقل إليه الحق في التنقيب، وهو مـاك إيـوان (McEwan) الدكتور في معهد

---

(١) كارل فون نيوراث (١٨٧٣م – ١٩٥٦): تولى مهام وزارة الخارجية الالمانية للمدة (١٩٣٣- ١٩٣٨)، مع صعود الحزب النازي الى الحكم، وكان له دور كبير في سياسة ذلك النظام التوسعي خلال الحرب العالمية الثانية، ومع ازدياد الاجراءات المتشددة ضد اليهود، لم تظهر لدى النازيين خطة منسقة للتعامل مع المسألة اليهودية، فقد شهدت تلك المدة توتراً بين المتطرفين أمثال جوزيف غوبلز، وبين المعتدلين، وأبرزهم فون نيوراث والذي كان يخشى من أن الاجراءات المعادية لليهود ستضر بالموقف الدولي لألمانيا وبانتعاشها الاقتصادي، قدمته قوات التحالف للمحاكمة عام ١٩٤٦ بعد هزيمة ألمانيا، وحكم عليه كمجرم حرب وسُجن حتى عام ١٩٥٤، للمزيد ينظر:
- Spencer C. Tucker, World War II: The Definitive Encyclopedia and Document Collection, V 1, California, 2016, p. 798 ; Gerhard Weinberg, The foreign policy of Hitler's Germany, Chicago University press, Chicago, 1998, p.p. 39 – 40.

(2) Gossman, Op. Cit, p. 208 .

(3) McMeekin, The Berlin – Baghdad … , p. 360 .

الشرق في جامعة شيكاغو وقد قدم طلبه بالحصول على حق التنقيب من هنـري سيـرج (Henry Seyrig) مدير مصلحة الآثار في الحكومة الفرنسية [١].

حرص مسؤولي الحكومة الالمانية على عودة التنقيب الى المواقع الأثرية في سورية لأجل الحفاظ على مكانة علم الآثار الألماني المرموقة، وفي ذلك الوقت وبحلول آذار ١٩٣٩ كان أوبـنهايم البالغ من العمر ٧٩ عاماً قادراً على القيام برحلة استكشافية الى سوريـة يرافقه عدد من المتخصصين وعلماء الآثار، بتكليف رسمي من الحكومة الألـمانية[٢]، التي تعهدت بتحمل جميع تكاليف الرحلة [٣].

ترافق ذلك مع بوادر نشوب حرب عالمية ثانية، وكان الفرنسيون يخشون تماماً النازية الالمانية وزيارة خبرائها المشبوهين الى سورية، كما أنهم دون شك لم يكونوا غافلين عن أنشطة اوبـنهايم السابقة قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى، فعند وصول بعثته الى بيـروت، علم بقرار السلطة الفرنسية الذي يمنعه ورفاقه من السفر داخل سـورية[٤]، وعلى الرغم من حصوله على إذن لزيارة مدينة حلب بصعوبة من المفوض السامي الفرنسي في سورية غابرييل بيو (Gabriel Puaux)[٥] إلا أن طلبه من أجل الوصول الى مواقع التنقيب في الجزء الشمالي الشرقي من البلاد تم رفضه بشدة، بحجة أن تلك المنطقة تقع على الحدود التركية وهي منطقة صعوبات وانعدام أمن، لكن اوبنهايم كان مدركاً بأنها حجة كاذبة وأن المفوض الفرنسي يرغب بطرد الألمان خارج سورية بأسرع وقت ممكن وحرمانه من حقوقه في التنقيب[٦] لكنه تحدى الحظر المفروض عليه

---

(1) Melka, Op. Cit, p. 82 .
(2) Gossman, Op. Cit , p. 211 .
(3) Melka, Op. Cit, p. 83 .
(4) Gossman, Op. Cit , p. 212 .
(٥) غابرييل بيو: قام هذا المندوب الفرنسي الى سورية بتعطيل الدستور والبرلمان السوري في تموز ١٩٣٩، وأعاد تشكيل دولتي جبل الدروز واللاذقية، ينظر :
جفري ورنر، العراق وسورية ١٩٤١، ترجمة: محمد مظفر الأدهمي، دار الحرية، بغداد، د . ت، ص ٦٥ .
(6) Melka, Op. Cit, p. 83 .

ووصل الى تل حلف، لكنه سرعان ما عاد قسراً الى بلاده بتأثير من السلطة الفرنسية دون إنجاز شـــــيء[١] .

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية في أيلول من العام نفسه ألغى غابرييل بيو حقوق اوبنهايم في التنقيب من أجل تسليمها الى معهد الدراسات الشرقية الأمريكي، وقد إتخذ من اندلاع الحرب ذريعة لبطلان حقوق اوبنهايم في التنقيب لكنه عندما عرض الإمتياز على الأمريكيين لاحقاً لم يذكر تلك الذريعة بل أشار الى أن اوبنهايم قد فشل في تقديم الضمانات اللازمة حول سير عملية التنقيب في وقت قريب وبصورة مرضية [٢] .

(١) ناديا خوليدس و لوتس مارتين، ((تل حلف والمنقب ماكس فرايهير اوبنهايم)) ، عدد ٦٢٨ ، ص ٣١١ .
(2) Melka, Op. Cit, p. 84 .

المبحث الثاني: دور اوبنهايم في رسم سياسة ألمانيا النازية تجاه الشرق الاوسط .

أولاً: مقترحاته تجاه الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية:

حافظ اوبنهايم حتى بداية الحرب العالمية الثانية على علاقاته السابقة مع عدد من الشخصيات المؤثرة في العالم العربي والاسلامي، فإلى جانب مراسلاته مع شكيب أرسلان، فقد كان صديقاً للمفتي الفلسطيني أمين الحسيني(١)، الذي خدم في الجيش العثماني خلال الحرب العالمية الأولى، وقد إنسجمت التوجهات الفكرية للحسيني مع أفكار اوبنهايم الجهادية، فقد كان الحسيني قومياً متحمساً رافضاً للوجود البريطاني الصهيوني في فلسطين، وشكل لأجل ذلك جبهة قومية عربية كان لها دور في التحريض على أعمال الجهاد ضد البريطانيين والصهاينة في فلسطين بين الحربين العالميتين (٢) .

كان أوبنهايم وطنياً خدم ألمانيا بكل إخلاص حتى بعد سقوط النظام الإمبراطوري، وهذا ما يبرر موقفه عندما أراد وضع خبراته السابقة في شؤون الشرق الأوسط، وعلاقاته المهمة مع الشخصيات العربية والاسلامية في خدمة ألمانيا والنظام النازي الحاكم، وعلى الرغم من عدم إمتلاكه منصباً رسمياً يخوله لذلك، إلا أنه ارتبط بشبكة علاقات صداقة جيدة مع عدد من الشخصيات الدبلوماسية ومنهم فون ريشتهوفن نائب رئيس قسم الشرق في وزارة الخارجية الالمانية، وتلميذه القديم كيرت بروفر الذي انظم الى الحزب النازي عام ١٩٣٧م ثم أصبح مديراً لقسم شؤون

---

(١) أمين الحسيني (١٨٩٧- ١٩٧٤): ولد في القدس وتلقى تعليمه الأولي والثانوي فيها، ودرس العلوم الشرعية واللغتين العربية والفرنسية على أيدي أساتذة خصوصيين، ثم التحق بالجامع الأزهر بمصر، وكان هناك دائم الاتصالات بزعماء العرب والمسلمين، يسمع منهم ويتبادل وإياهم الآراء في شؤون الأمة العربية والعالم الإسلامي، وما يؤدي الى نهضتهما وحريتهما وإنقاذهما من الاستعمار الأجنبي وفي الحرب العالمية الاولى، تخرج ضابطاً في الجيش العثماني في استانبول، ولما انتهت الحرب عاد الى فلسطين، ليستقبل عهداً جديداً من الكفاح في سبيل وطنه وأمته، وليعمل على تشكيل الجمعيات والأندية العلمية والثقافية والسياسية، وفي طليعتها النادي العربي، وكلية روضة المعارف في القدس، وعمل بصورة خاصة على مقاومة الاحتلال البريطاني ووعد بلفور الذي نص على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، وليقود الحركة الفلسطينية الوطنية، للمزيد ينظر:
عبد الكريم العمر، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، الأهالي للطباعة، دمشق، ١٩٩٩م ، ص ١٥ .

(2) Peter Levenda, The Hitler Legacy: The Nazi Cult in Diaspora: How It Was Organized, How It Was funded, and why it remains a threat to global security in the age of terrorism, USA, 2014, p. 70 .

الموظفين في وزارة الخارجية [١]، ومنافسه القديم في وزارة الخارجية الدبلوماسي أوتو فون هينتغ (Otto Von Hentig) [٢]، بعد أن خدم مثلهم في الشرق الأوسط قبل وأثناء الحرب العالمية الاولى [٣]، فبقيت شهرة أوبنهايم وخبرته في شؤون الشرق موضع احترام في وزارة خارجية ألمانيا النازية، وقد أشارت الدلائل الى أن أوبنهايم قد شارك الى حد كبير في العلاقات والمفاوضات بين مسؤولي الحكومة الألمانية وقادة الاستقلال العربي المؤيدين لدول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية [٤] .

كان أوبنهايم متابعاً جيداً لتطورات الحرب العالمية الثانية، فبعد هزيمة فرنسا خلال الحرب، قدم في الخامس والعشرين من تموز ١٩٤٠ مذكرة من سبع صفحات الى وزارة الخارجية [٥]، أوجز فيها مقترحاته حول السياسة التي يجب على ألمانيا اتباعها في الشرق الأوسط، وقد أرسلها الى تيودور هابخت"(Theodor Habicht)[٦] رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجية الألمانية والمستشار الشخصي لوزيرها يواخيم فون ريبنتروب (Joachim von Ribbentrop) [٧]، وجاءت تلك المذكرة مشابهة لمذكرة العام ١٩١٤ لكنها أقصر بكثير، فقد أخذ أوبنهايم بنظر الإعتبار تغير

---

(1) Gossman, Op. Cit, p. 227 .

(٢) فون هينتغ (١٨٨٦م – ١٩٨٤): ولد في برلين، وأنهى دراسته الجامعية في جامعة برلين وجامعة بون، وحصل على الدكتوراه في القانون عام ١٩٠٩، ثم دخل الخدمة الدبلوماسية في وزارة الخارجية، وشملت مهامه الاولى السفر الى بكين واستانبول وطهران، وتم استدعائه علم ١٩١٥م للمشاركة في البعثة السرية الى افغانستان الى جانب اوسكار فون نيدرماير، للمزيد ينظر :

- Adams, Op. Cit, p. 180-181 .

(3) Gossman, Op. Cit , p. 232 .

(4) Stewart, Op. Cit, p. 183 .

(5) Motadel, Islam and Nazi . . . , Op. Cit. p. 15 .

(٦) تيودور هابخت (١٨٩٨-١٩٤٤): كان عظواً في الحزب النازي قبل عام ١٩٣٣، وعندما جاء هتلر الى السلطة ألحقه بوزارة الخارجية بوصفه ملحقاً صحفياً في السفارة الألمانية في فيينا، وبعد مضي اسبوعين تم طرده من هناك بتهمة التآمر ضد نظام دولفوس Dollfuss النمساوي، وبالكاد كان ممكناً ان يتعاطف هذا النازي المتشدد مع الأرستقراطي اليهودي أوبنهايم، للمزيد ينظر:

- Melka, Op. Cit, p. 86 .

(٧) يواخيم فون ريبنتروب (١٨٩٣- ١٩٤٦): ولد في عائلة ريبنتروب المعروفة في ألمانيا، وقد توفي والده في عهد هتلر عام ١٩٤١ وكان من مؤيدي النازية، أما يواخيم فقد أصبح عضواً مهماً في الحزب النازي، و من مختلف الفئات كان الألمان يسعون لكسب صداقته، لاسيما بعد أن تم تعيينه وزيراً للخارجية في ١٩٣٨ خلفاً للوزير كارل فون نيوراث، و كان ريبنتروب أحد أصدقاء هتلر المقربين و المؤثرين، للمزيد ينظر :

Paul Schwarz, This man Ribbentrop : his life and times, New York, 1943, p.p. 31- 32.

الأوضاع، فلم يتطرق في مذكرته الجديدة الى مسألة الجهاد بالمعنى الديني الذي أشار إليه في الحرب العالمية الاولى[١]، فالخلافة العثمانية لم تعد موجودة والدول المسيحية المتمثلة بإيطاليا كانت حليفة لألمانيا في ذلك الوقت و الحكومة الفرنسية الجديدة قد أعلنت حيادها، أما روسيا فلم تدخل الحرب بعد[٢]، وكان لدى تلك الدول الكثير من الرعايا المسلمين في مستعمراتهم [٣]، لذلك ركز أوبنهايم خطته ضد البريطانيين والصهاينة [٤] .

بَيَّنَ أوبنهايم في مذكرته الخطوات التي يجب على ألمانيا اتباعها لتحقيق الفائدة القصوى من الأوضاع في العالم الإسلامي، وقد عمل الى جانب فريتز غروبا (Fritz Grobba)[٥]، على إعداد تلك المذكرة واقترح اوبنهايم في ثناياها الدور الذي سيكلف به غروبا، وفي رسالة مرفقة أراد اوبنهايم تذكير وزارة الخارجية بمعرفته الخاصة بالشرق الأوسط التي حصل عليها لكونه نشط لعقود من الزمن بوصفه باحثاً ووكيلاً لوزارة الخارجية الالمانية أثناء الحرب العظمى[٦] مشتكياً من التردد والحذر من قبل ألمانيا حول اهتمامها بشؤون و مشكلات الشرق الأوسط، وعدم وجود دعم للقوات الثورية المعادية لبريطانيا[٧] التي يقودها المفتي أمين الحسيني في القدس ورشيد عالي الكيلاني[٨]

(1) Gossman, Op. Cit, p.p. 243- 244 .
(2) Ala Al-Hamarneh, and Jörn Thielmann, Islam and Muslims in Germany, V 7, Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands, 2008, p. 203 .
(3) Gossman, Op , Cit , p. 244 .
(4) Al-Hamarneh, Ala and Jörn Thielmann , Op. Cit , V 7 , p. 203 .
(٥) فريتز غروبا (١٨٨٦م- ١٩٧٣): دبلوماسي ألماني نشط، اعتمدته حكومته كمبعوث دبلوماسي الى عدد من البلدان، فقد تم إيفاده بوصفه قائماً بالأعمال الى كابل عاصمة أفغانستان عام ١٩٢٣، و عُين سفيراً في العراق عام ١٩٣٢ وكان يتقن اللغات العربية والفارسية والتركية، و تمكن غروبا من إقامة علاقات ودية متينة مع شخصيات عديدة من زعماء المجتمع العراقي وخاصة بعد نيل العراق، للمزيد ينظر:
فريتز غروبا، المصدر السابق، ج١، ص ١٦ ؛ وليد محمد سعيد الأعظمي، إنتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية - البريطانية ١٩٤١م ، دار واسط للنشر، د. مك، ١٩٨٦، ص ٦١ .
(6) Gossman, Op. Cit , p. 244 .
(7) Matthias Küntzel, Nazis, Islamists, and the Making of the Modern Middle East, Israel Journal of Foreign Affairs, Vol. 9, No. 1, London, 2015, p. 136 .

الكيلاني[١] في العراق، ورأى بأن ذلك الحذر لا مبرر لأن منطقة الشرق الأوسط قادرة على أداء دور مهم في حرب ألمانيا ضد بريطانيا [٢] .

قدم اوبنهايم مذكرته الى وزارة الخارجية على الرغم من عدم امتلاكه أي منصب رسمي في الوزارة، إلا أنه قدمها بصفته ألمانيا وطنياً ورئيساً لمكتب أخبار الشرق في الحرب العالمية الأولى، لذا كان يرى بأنه ملزم بالتعبير عن رأيه وتقديم المشورة النابعة عن خبرة عميقة بشأن ضرورة التدخل الألماني في شؤون الشرق الأوسط ولاسيما العالم العربي والاسلامي، لكونه حُظي بثقة الكثير من القادة المهمين هناك وإستمر بإتصالاته الوثيقة معهم [٣] .

احتوت مذكرة اوبنهايم على الكثير من المقترحات التي أثرت تأثيراً واضحاً على سياسة ألمانيا في تلك المرحلة، فقد أشار في مطلعها قائلاً :

" **الحرب ضد بريطانيا دخلت مرحلة حاسمة، والوقت أصبح مناسباً للتدخل بقوة في شؤون الشرق الأوسط لتحطيم المصالح البريطانية هناك، من خلال نوعين من المهام العاجلة : أولها تزويد برلين بمعلومات مباشرة وموثوقة حول الشرق الأوسط، وثانيها التحريض على الثورة في سورية بدايةً من أجل مواجهة الخطط البريطانية الرامية لإحتلالها، ثم في الأراضي العربية المجاورة مثل العراق وشرق الأردن وفلسطين والسعودية، و يجب أن يكون الهدف من ذلك هو تقييد السيطرة البريطانية وإعاقة تصدير النفط وبالتالي منع إمدادات النفط من الوصول**

---

(١) رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٢- ١٩٦٥): سياسي ورئيس للوزراء لثلاث دورات أثناء العهد الملكي في العراق، ولد في بعقوبة، وبدأ حياته السياسية متنقلاً بين بغداد والموصل واستانبول من أجل العمل السياسي السري الذي يهدف الى استقلال العراق، رُشح بعد الاستقلال ليكون وزيراً للعدل عام ١٩٢٤، ووزيراً للداخلية عام ١٩٢٥، وتنقل في المناصب الحكومية حتى إعلان حكومة الإنقاذ الوطني في آيار ١٩٤١. للمزيد ينظر:
قيس جواد علي الغريري، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢- ١٩٦٥، دار الحوراء، بغداد، ٢٠٠٦، ص ص ١١ – ١٠٠ .

(1) Walter Laqueur, Optimism in politics: reflections on contemporary history , New jersey, 2014, p. 169 .
(2) Gossman, Op. Cit, p. 244 .

الى الأساطيل الحربية والتجارية البريطانية، وعرقلة حركة المرور عبر قناة السويس أمام القوات البريطانية وتدمير هيمنتها في الشرق الأدنى تماماً " [١].

ومن أجل تنفيذ تلك المهام، وضع أوبنهايم عدداً من المقترحات قائلاً :

" يجب إرسال غروبا السفير الألماني السابق في بغداد إلى سورية في أقرب وقت ممكن وأن يكون مقره في دمشق، سورية في ذلك الوقت البلد الوحيد الذي يمكن ان تتم فيه معركة او ثورة ضد بريطانيا، أما شؤون المواطنين الألمان في سورية فيمكن التعامل معها من قبل مسؤول قنصلي يعمل تحت إمرة غروبا يكون مقره في بيروت، يجب على فريتز غروبا أن يكرس كل طاقته لإثارة إنتفاضة في الشرق الأوسط بأكمله ضد بريطانيا، باعتباره يتمتع بسمعة هناك كونه أخطر عدو لبريطانيا. وعلى ألمانيا استغلال سمعته ونشاطه ليس في سورية وحسب بل في جميع الأراضي العربية، فالعراق ينتظر الإشارة من ألمانيا من أجل التحرك ضد بريطانيا...، واعتماد غروبا سفيراً لاستمالة الأمير إبن سعود في الحجاز، بطبيعة الحال الدكتور غروبا يحتاج الى أن يُدعم بالمساعدين المناسبين، والأموال وغيرها من التدابير، مثل أجهزة الراديو والاتصالات وما الى ذلك، ويحتاج أيضاً الى الإذن ليكون له رأي في كيفية التخلص من أسلحة الجيش الفرنسي وتسريحه. تلك الأسلحة يجب نقلها للعرب في قتالهم ضد بريطانيا. وإن الوصول الى تفاهم مع الحليف الإيطالي حول تلك المسألة وغيرها يتطلب وجود الدكتور غروبا أيضاً " [٢] .

وحول أوضاع سورية اقترح أوبنهايم إزالة المفوض السامي الفرنسي جابرييل بيو الذي كان عدواً خطراً لألمانيا، واستبدال الرئاسة السورية الموالية لفرنسا تماماً بنظام سوري مخلص لألمانيا، أما بشأن العراق فقد قال اوبنهايم في مذكرته :

(3) Quoted in: Ibid, p. 245 .
(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit, p. 245 .

" يجب أن نتخلص من نوري السعيد[١] وزير الخارجية الموالي لبريطانيا، بالقوة إذا لزم الأمر، وأن الجيش العراقي يجب أن يدمر القاعدة الجوية البريطانية في الحبانية، وبمساعدة من رجال القبائل الذين يحملون السلاح ضد القوات البريطانية يجب اغلاق خط أنابيب النفط الى حيفا، وطرد البريطانيين من عموم العراق وتحديداً من البصرة " [٢] .

وبخصوص شرق الأردن فقد دعا اوبنهايم الى وجوب إزالة الأمير عبد الله الذي سلم نفسه تماماً للبريطانيين، و ركز في مذكرته بشكل أكبر على سورية والعراق، والعلاقة التي تربط بينهما، موضحاً إمكانية دعم ألمانيا لقيام دولة موحدة تجمع بينهما، قائلاً :

" مستقبل سورية لا يُقرر بسهولة، فالعراق يرغب في دمج هذه الارض، والمسلمون السوريون وكذلك بعض من المسيحيين والروم الارثوذكس سيرحبون بلا شك في اتحاد وطنهم مع العراق، ولكن ابن سعود سيمانع مثل هذا الاتحاد بكل الوسائل الموضوعة تحت تصرفه، لأنه عدو شخصي للسلال الحاكمة في العراق (أبناء الشريف السابق لمكة)، ويخشى من صعود حكم أكثر قوة على حدود بلاده الشمالية، وأن أبسط الحلول لذلك يتمثل في وضع واحد من أبناء ابن سعود على العرش الذي سينشأ في سورية، وأن يتخلى الأمير السعودي عن أي فكرة لإدخال مفهومه الاسلامي الى سورية، أما لبنان يجب أن تشكل كما كانت قبل الحرب العالمية الاولى منطقة ضمن الدولة السورية مع إدارة خاصة، وبطبيعة الحال فإن تلك المناطق التي أدرجها

---

(١) نوري السعيد (١٨٨٨- ١٩٥٨): سياسي عراقي، ولد في بغداد، ودرس في المدارس العثمانية، تخرج من المدرسة الحربية في استانبول عام ١٩٠٦، درس في مدرسة أركان الحرب ١٩١١، شغل منصب رئيس الوزراء في المملكة العراقية أربعة عشر مرة خلال المدة (١٩٣٠ – ١٩٥٨). للمزيد ينظر:
عبد الرزاق أحمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، مراجعة: كمال مظهر أحمد، شركة التايمس للطباعة، بغداد، ١٩٨٧، ص ص ١٥ – ١٤٤.

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit, p. 246 .

الفرنسيون ضمن لبنان وهي طرابلس وصيدا وصور والبقاع وبعلبك وجبل حرمون، يجب فصلها مرة أخرى عن المنطقة الإدارية الجديدة " [١] .

أما بشأن أوضاع فلسطين الداخلية فقد أكد اوبنهايم على ضرورة متابعة الفلسطينيين للنضال ضد البريطانيين و اليهود بقوة أكبر، واقترح تثبيت حكومة فلسطينية بزعامة المفتي أمين الحسيني، وعلى الرغم من أصوله اليهودية، إلا أنه أشار في مذكرته الى ضرورة ترحيل اليهود من فلسطين والسماح لأولئك الذين كانوا يعيشون في فلسطين قبل الحرب العالمية الاولى فقط بالبقاء[٢]، وبما أن عدد اليهود في فلسطين بلغ عام ١٩٤٠ أربعمائة ألف شخص، فهذا يعني أن اوبنهايم أراد ترحيل ثلاثمائة ألف يهودي، لأن مئة الف منهم فقط كانوا يعيشون في فلسطين قبل بداية الحرب العالمية الاولى [٣] .

أكمل اوبنهايم مقترحاته قائلاً :

" **بعد إحلال السلام في منطقة الشرق الأوسط عقب نهاية منتصرة للنضال ضد بريطانيا واليهود، ينبغي إنشاء إتحاد يضم دول الشرق الأوسط المذكورة آنفاً "سورية والعراق وفلسطين وشرق الاردن"، وأن ينضم الى ذلك الاتحاد كل من اليمن والدول الصغيرة في شبه العربية، (عمان، والبحرين، والكويت ...)، أما مصر فإن اندماجها في الاتحاد سيكون مهماً، ففي الوقت الحاضر أود أن أشير الى أنه من المفيد جداً التعامل مع المصريين الذين لا يزالون حالياً في ألمانيا، وكذلك ممكن أن نكون على بينة من حالة العداء التي يتم بها معاملة الألمان الذين يعيشون في مصر من قبل الحكومة المصرية وتحت ضغط السلطة البريطانية، وفي صحافتنا**

---

(2) Quoted in: Ibid, p. 246 .

(1) Klaus-Michael Mallmann and Martin Cüppers , Nazi Palestine The Plans for the extermination if the Jews in Palestine, United States, 2005, p. 84 .

(2) McMeekin, The Berlin – Baghdad . . . , p. 360 .

(الألمانية) يجب أن نلفت الإنتباه إلى كل علامة إختلاف تفصل بين الحكومة المصرية وجيشها وبريطانيا وبين الشعب المصري، وباعتبارنا نرى المصريين حلفاء سريين، فإننا يجب أن لا نعامل المصريين الموجودين في ألمانيا كأعداء أجانب " [١] .

تشابهت الكثير من مقترحات هذه المذكرة مع مقترحات مذكرة عام ١٩١٤م فقد أشار اوبنهايم إلى كيفية تحقيق الفائدة من خلال اتباع آلية صحيحة في معاملة الأسرى العرب والمسلمين في المعتقلات الألمانية لجذبهم لصالح ألمانيا، فذكر ذلك قائلاً :

" **أود أن أشير الى أن المعاملة الخاصة والودية مع الأسرى العرب والمسلمين من المغرب والجزائر وتونس في الحرب سوف تؤتي ثمارها المفيدة، ففي الحرب العظمى كل مسلم وكذلك جميع أسرى الحرب الهنود جمعوا في معسكر خاص في "Wunsdorf" ليس بعيدا عن برلين وتم بناء مسجد لهم ونشرت الصحف بلغاتهم المناسبة** " [٢] .

قدم اوبنهايم النصائح في مذكرته لوزارة الخارجية، في حال وافقت على إرسال غروبا الى الشرق الأوسط قائلاً :

"**عند مغادرة السفير غروبا الى منطقة الشرق الأوسط في أقرب وقت ممكن، سيكون من الجيد قبل رحيله، أن يتشاور مع الأمير شكيب أرسلان في جنيف لمناقشة المسائل المتعلقة بالنظام الجديد الذي سينشأ في دول المنطقة العربية ولا سيما في سورية . شكيب أرسلان يقف بكل إخلاص الى جانب ألمانيا، وأنا أعلم يقيناً أنه يمتلك معرفة واسعة عن الناس والأوضاع في المنطقة، وإذا كنا نخطط للتعامل بجدية مع هذه المشكلات فإن نصيحة أرسلان ستكون مفيدة للغاية، وإذا تعذر تنفيذ خطة إرسال السفير غروبا الى سورية، نظراً لأن ألمانيا لا تزال تعترف**

(3) Quoted in: Gossman, Op. Cit , p. 247 .

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit, p. 247 .

بدور الفرنسيين فيها، قد يكون من الممكن البدء في تنفيذ الإجراءات المقترحة من أنقرة وربما من خلال السفارة العراقية هناك "[١] .

قبل تقديم اوبنهايم لمذكرته، كان القادة السياسيون في العراق وعلى رأسهم الكيلاني نفسه الذي أصبح رئيساً للوزراء بتكليف من الوصي عبد الإله[٢] بعد استقالة نوري السعيد، يريدون الاتصال مجدداً بألمانيا وإعادة العلاقات الدبلوماسية معها، وذلك بمشورة وتأثير من المفتي أمين الحسيني، فأرسلوا المبعوث العراقي وزير العدلية ناجي شوكت[٣] إلى أنقرة للاتصال مع السفير الألماني فون بابن، وبينما كانت تلك المباحثات جارية، حصل الكيلاني على بيان من الحكومة الايطالية في تموز ١٩٤٠م، أشار ذلك البيان الى أن الحكومة الإيطالية تسعى لاستقلال البلدان الواقعة تحت الانتداب البريطاني ومنها العراق وسورية[٤].

شجع ذلك البيان الكيلاني وجماعته لإرسال موفد لإجراء المفاوضات مع حكومتي ألمانيا وإيطاليا ووقع الإختيار على عثمان كمال حداد سكرتير المفتي أمين الحسيني بناء على إقتراح المفتي نفسه فسافر في الشهر ذاته ١٩٤٠والتقى خلاله بـ بابن السفير الألماني في تركيا، وسلمه رسالة من المفتي أمين الحسيني طلب فيها تسهيل لقاءات حداد مع السياسيين في برلين وروما [٥]

---

(2) Quoted in: Ibid, p. 247 .

(٢) عبد الإله بن علي (١٩١٣ – ١٩٥٨): نجل الشريف علي بن الحسين، ولد في مدينة الطائف، نشأ في مصر وتعلم في كلية فكتوريا في مدينة الاسكندرية، تم اختياره وصياً على عرش العراق عام ١٩٣٩ ولغاية العام ١٩٥٣، ثم نودي به ولياً للعرش بعد تتويج الأمير فيصل الثاني ملكاً للعراق في ١٩٥٣. للمزيد ينظر:
طارق الناصري، عبد الإله الوصي على عرش العراق (١٩٣٩ – ١٩٥٨): حياته ودوره السياسي، ج١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د . ت، ص٦ - ص١٧٠ .

(٣) ناجي شوكت (١٨٩٣ – ١٩٨٠): سياسي عراقي، ولد في مدينة الكوت، تخرج من كلية الحقوق في استانبول، وعين نائباً للمدعي العام في محكمة لواء الحلة عام ١٩١٤، ثم تقلد مناصب عديدة في العهد الملكي، أصبح رئيساً للوزراء بين عامي (١٩٣٢- ١٩٣٣)، ووزيراً للداخلية عام ١٩٤٠. للمزيد ينظر:
ناجي شوكت، أوراق ناجي شوكت، رسائل ووثائق: دراسة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، مطبعة الجامعة، د . مك، ١٩٧٧، ص ص ١٤ – ١١٩.

(٤) غروبا، المصدر السابق، ج٢ ، ص ٣٣٠ .

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ٣٣١ .

وعندما علم اوبنهايم بأخبار المفاوضات التي ينوي إجرائها كمال حداد مع حكومتي المحور، أشار في مذكرته الى مقترحات مهمة في حال نجاح تلك المفاوضات، قائلاً :

" **الهدف المباشر من المفاوضات التي دخلت حيز التنفيذ مع الممثلين العراقيين يجب أن يكون الحصول على إعلان العراق عن رغبته في استعادة العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا، ونتيجة لذلك الاعلان سيتمكن السفير غروبا من العودة الى العراق، ومن منصبه هناك يمكنه إقامة اتصالات مع القوميين السوريين والانتقال إلى دمشق بعد المناداة بإقامة الحكومة السورية المستقلة...، إذا أدت المفاوضات إلى إنضمام العراق الى جانبنا، ينبغي أن تظهر الحكومة السورية الجديدة إلى حيز الوجود، ويكون مقرها مؤقتاً على الحدود السورية العراقية، ومن ثم ينبغي الاعتراف بتلك الحكومة من قبل ألمانيا وايطاليا، ونحن بعد ذلك ننقل إلى الحكومة الفرنسية إعترافنا بها، وفي الوقت نفسه إشعار الحكومة الفرنسية بالسفير غروبا الذي يتم إرساله إلى دمشق، لحماية المصالح الألمانية في سورية والعمل كمراقب لصالح حكومتنا هناك**"[١] .

ختم اوبنهايم مذكرته بالقول :

" **أنا لا أقلل من شأن الصعوبات التي تلاقي الثائرين العرب في مواجهة الجيش البريطاني المرابط في العراق وفلسطين، لكن قوة مقاومة القوات البريطانية سوف تتراجع الى حد كبير، ومثلما أعلنت النجاحات الألمانية في الحرب ضد بريطانيا، فإن القوات قد تم تجنيدها بأعداد كبيرة من المستعمرات بصورة عامة، علاوة على ذلك فإن موقف بريطانيا في مصر والهند سوف يضعف أكثر بفعل الإنتفاضة العربية** " [٢] .

(1) Quoted in: Gossman, Op. Cit, p. 248 .
(2) Quoted in: Ibid, p. 248 .

عكست مذكرة أوبنهايم مباشرة وجهات نظر القادة العرب آنذاك، وهم كل من الزعيم اللبناني الدرزي شكيب أرسلان، والفلسطيني أمين الحسيني، والعراقي رشيد عالي الكيلاني، فقد كان مقترحه لإقامة الاتحاد الكبير للدول الاسلامية في الشرق الأوسط هدف يتبناه اولئك الثلاثة، أما التركيز على سورية في المذكرة فقد كان إرضاءً خاصاً لشكيب أرسلان الذي وضع آماله في المانيا من أجل الاستقلال العربي، والذي كان في مراسلاته مع أوبنهايم يواصل طرح أفكاره وأهدافه ومقترحاته للعمل، كما أن توصيته بشأن إزالة نوري السعيد الموالي لبريطانيا، لا يمكن إلا أن تكون موضع ترحيب من قبل رشيد عالي الكيلاني المؤيد لألمانيا، أما اقتراح سورية الكبرى المتحدة مع العراق فمن المؤكد أنه لقي استحسان المفتي أمين الحسيني الذي سعى الى استقلال ووحدة فلسطين وسورية والعراق، كما تضمنت المذكرة الكثير من آمال المفتي وطموحاته، ومنها تعيينه رئيساً للدولة الفلسطينية المقترحة، وترحيل اليهود الذين استوطنوا فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى [١] .

رد **هابخت** بعد يومين على مذكرة أوبنهايم شاكراً إياه على إرسالها، وأكد له أن المسائل التي أثيرت فيها هي موضوع دراسة وثيقة وشاملة في وزارة الخارجية[٢]، وبالفعل كانت بعض مسائلها هي موضوع تقرير سري وصل الى وزارة الخارجية بتاريخ السادس من تموز ١٩٤٠ من قبل السفير بابن، ملخصاً في ذلك التقرير مضمون المناقشات التي أجراها خارج استانبول مع الموفد العراقي ووزير العدل ناجي شوكت، فقد أكد شوكت أن نوري السعيد لا يحظى بشعبية كبيرة بين الأوساط العراقية، وأن الشعب يتوق للتخلص من الإحتلال البريطاني[٣].

كان الموقف الرسمي في وزارة الخارجية الألمانية يتميز بالرفض الشديد تجاه تقديم تلك المذكرات الداعية الى التدخل في شؤون الشرق الأوسط، وقبل تقديم أوبنهايم لمذكرته، رفض آرنست فويرمان**(Ernst Woermann)**[٤] رئيس الدائرة السياسية في وزارة الخارجية الألمانية،

---

(3) Ibid, p.p. 248 - 249 .

(1) Melka, Op. Cit, p. 86 .

(2) Gossman, Op. Cit, p. 250 .

(٤) فويرمان: سياسي ودبلوماسي ألماني، تولى إدارة الدائرة السياسية لوزارة الخارجية الالمانية خلال العهد النازي، وكان له دور كبير في المفاوضات التي جرت خلال الحرب العالمية الثانية بين الحكومة النازية وقادة

الاستجابة لمذكرة فون بابن ومذكرات أخرى ذات صلة حول الوضع في منطقة البحر المتوسط والشرق الأدنى، وإعترض على أن يكون لألمانيا دور ناشط في سياسات الشرق الأوسط، و من جانب آخر لم يكن ذلك الرفض يعني تخلي ألمانيا عن مصالحها الاقتصادية ولا سيما في النفط العراقي [١] .

بعد الإطلاع على مذكرة اوبنهايم تعززت لدى وزارة الخارجية الألمانية إعتقادات كثيرة رأت بأن تلك المذكرات والتقارير التي رفعها الدبلوماسيون الألمان، والتي تدعو الى أن يكون لبلادهم دوراً وتدخلاً أكبر في شؤون الشرق الأوسط والبلاد العربية والاسلامية، إنما تعبر عن آمال العرب ومساعيهم للتخلص من الإستعمار الأوروبي بكافة أشكاله، كما رأت بأن الإستجابة للأهداف العربية يتعارض مع مصالح حليفتها إيطاليا ويؤدي الى التصادم معها، لذلك حذر فويرمان من استجابة ألمانيا لتلك المخططات العربية التي تهدف الى حصول على دعمها ضد إيطاليا [٢] .

لذلك بادرت وزارة الخارجية الألمانية في العشرين من آب عام ١٩٤٠ الى إصدار تعميم الى السفارات والمفوضيات في كل من أفغانستان، بلغاريا، اليونان، هنغاريا، ايران، ورومانيا، سويسرا ويوغسلافيا، وكذلك السفارات المختلفة في تركيا والشرق الاوسط، وضحت فيه السياسة الألمانية المقبلة تجاه الشرق الأوسط وحذرت من الاستجابة للمبادرات العربية، ونص ذلك التعميم في جزء منه على ما يلي :

" **ألمانيا لا تسعى لتحقيق مصالح سياسية في منطقة البحر الأبيض المتوسط الذي يشكل فيه العالم العربي الجزء الجنوبي والشرقي . لذا فإن ألمانيا تسمح لإيطاليا بأخذ زمام**

الاستقلال العربي المؤيدون لألمانيا وحفائها في الحرب، المبعوث من قبل امين الحسيني عثمان كمال حداد، العراقي رشيد عالي الكيلاني والفلسطيني أمين الحسيني، واستقبالهم في برلين، والتشاور معهم حول مستقبل الأمة العربية وكيفية التخلص من السيطرة البريطانية. وكانت له آراءه المهمة حول اعلان ألمانيا لتأييد استقلال البلدان العربية. للمزيد ينظر:
غروبا، المصدر السابق، ج٢، ص ص ٣٢٠- ٣٥٦- ٣٦٠ .

(4) Gossman, Op. Cit, p. 251 .
(1) Gossman, Op. Cit, p. 252 .

المبادرة في إعادة التنظيم السياسي للمنطقة العربية . هذا بالتالي يستبعد أي مطالبة المانية بالقيادة السياسية أو تقاسم القيادة مع ايطاليا في الاراضي العربية، التي تتكون من شبه الجزيرة العربية ومصر وفلسطين وشرق الأردن وسورية ولبنان والعراق، مع ذلك لا تعني هذه الإرادة السياسية على الاطلاق تخلي المانيا في تلك المناطق عن السعي لتحقيق مصالحها في مسائل الاقتصاد والنقل والسياسة الثقافية. تؤكد ألمانيا وبالتنسيق مع ايطاليا ادعائها فيما يتعلق بالمشاركة في استغلال الموارد النفطية وتأمين خطوطها الجوية واستمرار أنشطتها الأثرية.."[١].

أوصت وزارة الخارجية بعد تلك التعليمات على أن تعامل التوجيهات التي تضمنها التعميم بسرية تامة، فهي ليست من النوع الذي يكشف لممثلي القوى الأجنبية، ويجب أن لا تكون معروفة للشخصيات العربية الرائدة، وأن يتم التأكيد لهم وفي كل مناسبة بأن المصلحة الألمانية والعربية المشتركة، هي هزيمة بريطانيا، والتأكيد على تعاطف ألمانيا الكامل معهم، ومع كفاح شعوبهم من أجل التحرر، مع تجنب الدخول في نقاش مع ممثلي الدول الأجنبية والعالم العربي حول مسألة مستقبل التنظيم السياسي في المنطقة العربية [٢] .

لكن تحت تأثير السفير غروبا وبابن الذي التقى بالمندوب العربي عثمان حداد والذي ذهب الى كل من روما وبرلين ليطلع حكومتيهما على الآمال والمساعي العربية للحصول على اعتراف ايطالي ألماني باستقلال البلدان الواقعة تحت سيطرة بريطانيا وحقها في تقرير مصيرها، بدأ وزير الخارجية ريبنتروب في أواخر عام ١٩٤٠م يهتم بشكل أكبر بكيفية استغلال الأوضاع في الشرق الاوسط لمصلحة المانيا، ووافق على ضرورة الإنخراط بنشاط أكبر في جمع المعلومات الاستخباراتية في الأراضي العربية[٣]، لذلك تم إيفاد الفريد روزر **(Alfred Roser)** أحد الوكلاء في وزارة الخارجية، الى دمشق في نهاية عام ١٩٤٠ [٤]، لإقامة شبكة تجسس واتصالات مع

(2) Quoted in: Ibid, p. 253 .
(1) Gossman, Op. Cit, p. 254 .
(2) Ibid, p. 260 .
(٣) لوكاز هيرزويز، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٥٤ .

جماعات مناهض للوجود البريطاني في فلسطين، فكان ذلك من دلائل تغير السياسة الألمانية تجاه الشرق الأوسط والعالم العربي خاصة، واستجابةً واضحةً من قبل الوزارة إزاء مقترحات الدبلوماسيين والوطنيين الألمان أمثال اوبنهايم وغروبا وبابن الذين دعوا الى مزيد من الاهتمام بشؤون الشرق الأوسط لضمان المصالح الألمانية وتقييد المصالح البريطانية [١] .

حتى لو لم تؤدي مذكرة أبنهايم دوراً كبيراً في تطوير سياسة ألمانيا الخارجية تجاه الشرق الأوسط، لكن أفكارها المفصلية قد أصبحت جزءاً من المناقشات الجارية في وزارة الخارجية في عهد ريبنتروب، و تم البت في واحدة من توصياتها الأساسية عام ١٩٤٠، عندما قررت وزارة الخارجية إرسال دبلوماسي ألماني ذو خبرة في مهمة الى سورية، إلا أن المهمة لم يكلف بها غروبا كما اقترح أوبنهايم في المذكرة ، بل تم تكليف منافسه في وزارة الخارجية فون هينتغ [٢] .

تقرر أن يغادر هينتغ برلين ويتجه الى دمشق في كانون الثاني عام ١٩٤١م [٣]، وقد حددت مدة بعثته بأربعة أسابيع كان عليه إستغلالها لجمع المعلومات الاستخباراتية، فمنذ أن وضع هتلر أمله في تحويل حكومة فيشي الفرنسية الى حليف لألمانيا في تلك المرحلة، كان هدف البعثة ظاهرياً ليس لتأجيج لهيب الثورة في الاراضي العربية بدءاً من سورية كما اقترح اوبنهايم وآخرين في وزارة الخارجية، بل كان على هينتغ ببساطة أن يقدم تقريراً حول الوضع في سورية ولبنان، مع ذلك كانت فرنسا قلقة للغاية من خطط هينتغ وأخرت تسليمه رخصة سفره [٤] .

كانت مساهمة أوبنهايم في تلك المهمة هي تزويد هينتغ بثلاثة عشر خطاباً مقدماً الى وجهاء سورية من زعماء القبائل وغيرهم لأجل تسهيل مهمته والتعاون معه، مع إشارة الى بعض العلامات الدالة على أهميتهم فمنهم من هو قومي كامل ومنهم من يبدو فرنسي المنحى لكنه مع

(4) Gossman, Op. Cit, p. 260 .
(5) Ibid, p. 263 .
(1) Stewart, Op. Cit, p. 184 .
(2) Gossman, Op. Cit, p. 264 .

ذلك قومي، وكان من بينهم ثلاثة من شيوخ البدو أنشأ معهم أوبنهايم علاقات صداقة قديمة، أثناء إقامته السابقة في سورية، كان من ضمنهم الدرزي عادل أرسلان شقيق شكيب أرسلان [١] .

كلف هينتغ بمهام خاصة وخطيرة في تلك البعثة، فقد كان عليه أن يبعث تقريراً تفصيلياً عن الموقف السياسي والعسكري في سورية والبلدان المجاورة لها، وأن يتحرى عما إذا كانت القوات البريطانية بالضرورة تهدد سورية ولبنان، وعما إذا كانت لدى سورية وسائل كافية للدفاع عن نفسها، ضد أي احتلال محتمل، وطُلب منه أيضاً أن يقرر مدى تأثير وسائل الدعاية البريطانية في سورية، وأساليبها ونتائجها، وكان لبعثته هدف آخر وهو إحاطة حكومة ألمانيا بإمكانيات العلاقات الاقتصادية ووضع المؤسسات الثقافية الالمانية في سورية، وكانت التعليمات من جانب ريبنتروب الى هينتغ تشمل امراً محدداً وهو تجنب كل ما يمكن أن يفسر على أنه إعتراف بأي اتجاهات موجهة ضد الحكومة الفرنسية، أو مساندة لمثل هذه الاتجاهات [٢] .

وبعد الدخول الى سورية في منتصف كانون الثاني ١٩٤١م[٣] لم يتمكن هينتغ من إحاطة تحركاته هناك بالسرية التامة، و اهتم بمقابلة الزعماء العرب [٤]، مما جعل القنصلية البريطانية في دمشق تَصِف أهدافه وتحركاته في برقية بعثتها الى وزارة الخارجية البريطانية بأن ما يقوم به هو تقديم تقرير الى برلين عن الوضع العام في سورية وحالة العلاقات البريطانية الفرنسية، وإقامة اتصالات مع القوميين السوريين وإطلاق حملة دعاية ضد القوات البريطانية [٥] .

عاد هينتغ من سورية في السادس والعشرين من شباط ١٩٤١م وقدم تقريره حول الوضع في الأراضي العربية في الشرق الأوسط، وبعض التوصيات التي ضمنها في مذكرة بشأن المسألة العربية، وكيفية التعامل مع الهدف الألماني المتمثل في تحقيق هزيمة بريطانيا، وركز ايضاً على

---

(3) Ibid, p. 268 .

(٢) لوكاز هيرزويز، المصدر السابق، ص ١٥٥ .

(1) Melka, Op. Cit, p. 88 .

(٤) لوكاز هيرزويز، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(3) Gossman, Op. Cit, p. 265 .

كيفية دعم العراق عسكرياً ومالياً من أجل إدخاله الحرب الى جانب دول المحور [١]، وكان ما توصل إليه هـينتـغ مشابهاً لما توصل إليه روزر فقد رأى كلاهما أن الإيطاليين لا يحظون بأي شعبية لدى العرب، بينما تتوافر فرص كثيرة بالنسبة للألـمان [٢] .

جعل هينـتغ تقريره النهائي عن مهمته في سورية وربما تقارير أخرى سابـقة، متاحة لأوبنهايم الذي أراد استخدامها في صياغة مذكرته الأخرى التي قدمها إلى وزارة الخارجية في الثاني والعشرين من آذار ١٩٤١، والتي تضمنت لمحة عامة عن أفكاره حول مسائل الإنتـداب أو الوصاية على أراضي الشرق الأوسط، كما أوجز فيها خبرته الطويلة هناك، مذكرته تلك تضمنت معلومات عن سورية التي لم يزرها منذ ربيع عام ١٩٣٩، وفي معلوماته تلك تشابهاً قريباً مع التقرير والتوصيات التي قدمها هينتغ، ورأى أوبنهايم في المذكرة أن سورية هي البلد الوحيد في الشرق الأوسط التي يمكن لألمانيا الوصول إليها دون معوقات، وينبغي إغتنام الفرصة من وجهة نظره لكي تضع ألمانيا نفسها بقوة هناك في مجالات واسعة للعمل، معتقداً بأن ذلك يمكن أن يتم من خلال لجنة الهـدنة الألمانية في سورية ولبنان، وهي لجنة مشابهة للجنة الإيطالية التي أصبحت معزولة عن السكان المحليين وليس لها نفوذ بينهم[٣] .

على أن تكون مهمة تلك اللجنة حماية المصالح الألمانية وأصدقاء ألمانيا السياسيين وعملائها التجاريين، كما تقوم بالإشراف على التجارة مع بريطانيا وإيقافها في المستقبل، ولاسيما فيما يتعلق بالطعام والمواد الحربية، وجمع ونقل المعلومات السياسية والحربية، وتوجيه النشاط المعادي لبريطانيا لدى العرب[٤]، فتصبح نقطة قوة لألمانيا و وسيلة دعم لأصدقائها العرب، ليس فقط في سورية بل في البلدان المجاورة، وخلص أوبنهايم إلى أن مثل هذه السياسة ستكون موضع

(4) Ibid, p. 270 .

(٢) لوكاز هيرزويز، المصدر السابق، ص ١٥٦ .

(1) Gossman, Op. Cit, p. 274 .

(٤) لوكاز هيرزويز، المصدر السابق، ص ١٥٦ .

ترحيب من قبل العرب، وستمكن ألمانيا من أن تؤدي دوراً قيادياً داخل دولة عربية موحدة في المستقبل، كما أوصى بوجوب تعزيزها ودعمها [١] .

وفي الوقت الذي اختلفت فيه وجهات النظر بين موظفي وزارة الخارجية حول مستقبل سورية والمنطقة العربية وشكل النظام السياسي فيها، تمسك أوبنهايم بوجهة نظره في تلك المذكـرة، وهي أن توجه الحكومة الألـمانية اهتمامها الرئيسي إلى مصالحها في سـورية، وذلك لأن سوريـة تشغل مركز الصدارة في الشرق الأوسط، مقترحاً العمل على تأسيس دولة عربيـة كبرى في الشرق الأوسط، وادعى بأن ألمانـيا يمكنها أن تؤدي الدور الرئيسي في تلك الدولة منذ البداية [٢] .

وبعد حدوث حركة نيسان١٩٤١ التي قادها الكيـلاني ضد البريطانيين بدعم قوي من ألمانيا، فقد دل دعمها على تغير سياستها إزاء العالم العربي، وتأثر الحكومة الألمانية بتقارير ومذكرات الخبراء والدبلوماسيين الألمان وأبرزهم أوبـنهايم، وبعد هزيمة الكيلاني ولجوئه مع المفتي أميـن الحسينـي الى إيـران ثم الى دول المحور استقر الإثنان في برلـين، وقد تمكن الكيلاني من الحصول على اعتراف ألمانيا به بوصفه رئيساً لوزراء العراق، ثم عرض رغبته في عقد اتفاقية بين العراق وكل من ألمانيا وايطاليا تعترفان فيها باستقلال العراق، مبيناً استعداد العراق للوقوف بجانب الدولتين في الحرب، ضد بريطانيا، وقد تلقى الكيـلاني رسالتين جوابيتين، من وزيري خارجية البلدين تعترفان باستقلال العـراق واستعدادهما للتعاون مع شعبه من أجل تحريره من السيطرة البريطانية [٣] .

وحينما تباينت وجهات نظر اللاجئين العرب لاسيما في تركيا وبرلين حول إختيار المفتي أو الكيلاني لزعامة العرب، بهذا الشأن أرسل شكيب أرسلان في الثامن عشر من حزيران ١٩٤٢م من جنيف رسالة الى صديقه أوبنهايم في برلين، وأوضح فيها رأيه بصدد من له الحق في زعامة

---

(3) Melka, Op. Cit, p. 88 .

(٢) بونداريفسكي، سياستان إزاء العالم العربي، ترجمة: خيري الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥م، ص ١٧٨.

(٣) فريتز غروبا، المصدر السابق، ج٢ ، ص ص ٤٥٧- ٤٥٨ .

العرب، مشيراً الى أنهما يجب أن يمثلا بلدهما العربي بالتعاون التام جنباً الى جنب، وقد تأسف لتدخل بعض الأشخاص بينهما من أجل إيجاد جفوة لا مبرر لها، ودعا في رسالته الى إعتبار المفتي والكيلاني بمكانة متناظرة لما قاما به من جهود كبيرة في مقاومة الوجود البريطاني في الوطن العربي، والأمير أرسلان صديق قديم لألمانيا، ولاشك أن رسالة أرسلان لقيت كل إعتبار واهتمام لدى المسؤولين الألمان(١) .

وما إرسالها الى أوبنهايم إلا دليل على مكانته الهامَّة و دوره المؤثر في المراسلات والتفاهمات التي جرت بين رجال السياسة الألمانية والوطنيين العرب خلال الحرب العالمية الثانية، وأثره في تقريب وجهات النظر بين الطرفين من خلال قيامه بتزويد وزارة الخارجية بالمذكرات التي تضمنت معلومات مهمة عن شخصيات عربية وإسلامية يمكنها خدمة مصالح ألمانيا في الشرق، و تضمنت كذلك اقتراحات ذات طابع سياسي نبعت من خبرة عميقة ذات جذور تاريخية بشؤون الشرق الأوسط بوصفه مستشرقاً، ووطنياً ألمانياً أراد توظيف تلك العلوم والخبرات لخدمة مصالح بلاده .

وكان اوبنهايم سعيداً لتعاونه مع كل من فريتز غروبا، بروفر، شكيب أرسلان والمفتي أمين الحسيني، وغيرهم من الأشخاص الذين إقتنعوا بأن منطقة الشرق الأوسط هي مفتاح النصر لألمانيا في الحرب (٢)، وخلال عامي (١٩٤٢ – ١٩٤٣) كان بروفر يزور أوبنهايم بإنتظام مرة أو مرتين في الشهر، وعلى الرغم من ظهور علامات تقدم السن عليه، كان أوبنهايم يعيش حياة طبيعية تماماً، وكان مهتماً للغاية بجميع المسائل المتعلقة بالشرق والعالم الإسلامي (٣) .

ثانياً: **وفـــــاتـه** :

(١) المصدر نفسه، ج٢ ، ص ص ٤٦٤ - ٤٦٦ .

(1) Gossman, Op. Cit, p. 275 .
(2) Ibid, p. 228 .

في ليلة الرابع والعشرين من آب ١٩٤٣ تم إلحاق الضرر بممتلكات أوبنهايم خلال قصف قامت به غارة لسلاح الجو الملكي البريطاني، ودمرت جزءاً كبيراً من الأشياء الرائعة المخزنة في شقته ببرلين، ومن تلك الأشياء آثار خزفية قد تم تحطيمها إلى قطع صغيرة، وبعد مسح موقع الحادث كتب أوبنهايم :

" **الشكر لله، الغرفة العربية الجميلة من دمشق، بجدرانها وأسقفها الخشبية لم تتعرض للضرر .. ولسوء الحظ فإن جانباً من مكتبتي التي أنشأتُها في مكتبي، تعرض للضرر فأصبحت دراساتي في فوضى كاملة وانهارت الرفوف، وتم تدمير العديد من الكتب وأصبحَت غير قابلة للقراءة، وقد تم القضاء على جزء كبير من حياتي العلمية** " [١] .

أصيب متحف تـل حلـف بأضرار طفيفة في غارة أخرى، وانتقل اوبنهايم في أواخر تشرين الثاني ١٩٤٣، للعيش في مدينة دريـسدن **(Dresden)**، وتلقى خبر تدمير متحف تل حلف الذي تم ضربه بالقنابل الحارقة، وأن معظم التماثيل الثمينة التي حاول عبثاً مع سلطات متحف الدولة لتخزينها في مكان آمن قد تحطمت الى قطع صغيرة، وفي شباط ١٩٤٥ كانت دريـسدن هدفاً للهجوم الجوي المدمر، وخسر أوبنهايم كل ممتلكاته المتبقية له بما في ذلك المخطوطات الخاصة بالجزء الأخير من كتاب البدو، وكل مذكراته الشخصية، و عندما كان أوبنهايم في أمَس الحاجة إلى عناية طبية مستمرة، كان لابد له من الاستقرار، فإنتقل في ربيع عام ١٩٤٦ الى لانـدشوت **(Landshut)** عاصمة ولاية بافاريا السفلى [٢]، على بعد نحو خمسين ميلاً شمال شرق ميـونخ **(Munich)** وعلى بعد أربعة أميال فقط من ممتلكات فريدريخ كـارل اوبنهايم **(Friedrich carl Oppenheim)** الإبن الأصغر لإبن عمه سيمون الفريـد [٣] .

(3) Quoted in: Ibid, p. 277 .

(1) E. W. , max Freiherr von Oppenheim, Archiv für Orientforschung, Bd. 15, Wien, 1945-1951, S. 18 .

(2) Gossman, Op. Cit, p.p. 278-280 .

قام اوبنهايم في الوقت القصير المتبقي من حياته بكتابة أجزاء من سيرته الذاتية، وحاول إعادة مكتبته الممزقة وتأمين ما تبقى من تحفه الثمينة، وعمل على إتمام الجزء الثاني وكذلك الثالث من نتاجه العلمي عن البدو ودراسته عن تل حلف، وكان له مراسلاته النشطة مع مساعده الدكتور كاسكل ومساعديه الآخرين، وفي السادس من تشرين الثاني ١٩٤٦م بعد مسيرة طويلة من الأنشطة والانجازات والمتاعب كان الباحث والمستشرق والدبلوماسي المحنك ماكس فون أوبنهايم قد أُخذ الى المستشفى في لاندشوت [١]، و توفي فيها بعد تسعة أيام بتاريخ الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٤٦م، وله من العمر ستة وثمانون عاماً [٢] .

(3) Ibid, p.p. 281-282 .

(4) Werner Caskel, Max Freiherr von Oppenheim (1860—1946), Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, V. 101, N. 26, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 1951, S. 6 .

الخـــاتـمة

الخاتـــمة

توصلت الدراسة الى عدد من النتائج التي يمكن اجمالها على النحو الآتي :

– تسببت الأصول اليهودية لاوبنهايم في عرقلة جهوده للحصول على وظيفة في السلك الدبلوماسي الالماني، لكنه لم يتردد عن القيام برحلاته الى الشرق، فصنع من نفسه مستشرقاً بارزاً ، الأمر الذي مكنه من إقامة علاقات صداقة مع شخصيات مؤثرة في وزارة الخارجية الألمانية ساندته في الوصول الى طموحه الدبلوماسي .

– إن رحلة اوبنهايم عام ١٨٩٣م الى العالم العربي والاسلامي لم تكن لأهداف علمية بحته، بل كانت رحلة شاملة الأهداف، فقد استطاع اوبنهايم أن يؤسس علاقات وطيدة مع شخصيات وجهات مؤثرة على الاصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأن يكتشف الأماكن الخصبة المناسبة لتغلغل النفوذ الالماني في الشرق والعالم الاسلامي.

– إن إعجاب وزارة الخارجية الألمانية برحلات اوبنهايم، وبحوثه العلمية عن العالم العربي والاسلامي، وتطوراته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أدى تدريجياً الى تغير موقف الحكومة الألمانية منه، في محاولة لاستغلاله من أجل خدمة المصالح الالمانية الاستعمارية فبدأ ذلك ببعثة علم ١٨٩٤م الى بحيرة تشاد، لذا يمكن اعتبار ذلك التاريخ بداية فعلية لإستغلال صفة اوبنهايم العلمية بوصفه مستشرقاً، في سبيل تحقيق مصالح سياسية ألمانية .

– إن الرحلة الى مركز الخلافة العثمانية استانبول عام ١٨٩٥، زادت من مكانة اوبنهايم، فإستقبال السلطان عبد الحميد الثاني له في قصره، دليل على الأهمية الكبيرة التي حظي بها بوصفه مبعوثاً ألمانياً رسمياً إلى الدولة العثمانية، ومستشرقاً له اهتماماته البحثية الخاصة .

– إن تعيين اوبنهايم في القنصلية الالمانية في القاهرة عام ١٨٩٦م يعد مرحلة مهمة في حياته، فقد اختارته وزارة الخارجية لإنجاز الأنشطة الإستخباراتية والتجسسية، بما في ذلك رفع التقارير عن الأوضاع العامة في البلاد العربية والاسلامية، ونشاطات الدول الاوروبية وسياساتها، وقد قام بتلك الواجبات تحت غطاء الدبلوماسية تارة و تحت غطاء البحث العلمي والاكتشافات تارة أخرى.

– إهتمت السلطة البريطانية في القاهرة بمراقبة أوبنهايم، فقد برهن على خطورته من خلال اتصاله بالكثير من الشخصيات الوطنية والاسلامية المناهضة لبريطانيا، و من أبرزهم مصطفى كامل والخديوي عباس حلمي وآخرون .

– أثرت تقارير اوبنهايم المتنوعة على السياسة الخارجية الالمانية، فقد إعتمد الامبراطور وليم الثاني نفسه على تلك التقارير في زيارته التاريخية الى الدولة العثمانية، وتمكن من تعزيز صداقة الدولتين فضلاً عن المكاسب الاقتصادية المتعلقة بسكة حديد برلين بغداد، كما أدى دوراً كبيراً في دراسة وتهيئة المناطق الصالحة لمد السكة، من خلال الترويج للمشروع بين القبائل العربية، كما تعززت ثقة الامبراطور به لاسيما بعد لقائه به عام ١٩٠٠م، إذ رأى فيه الشخص المناسب لنقل الصورة الإيجابية عن ألمانيا ومشاريعها الإقتصادية في الدولة العثمانية .

– إن من أهم ما شدد عليه أوبنهايم في تقاريره كيفية إستغلال الدين الاسلامي في سبيل إثارة مشاعر المسلمين ضد القوى الاوروبية، وتقوية المصالح الألمانية من خلال إبراز الجانب الايجابي في التعامل مع المسلمين وتذكيرهم دوماً بخطر الممارسات التي يقوم بها أعداء الامة الاسلامية المهيمنين على مقدراتها .

– أكد اوبنهايم في تقاريره على أهمية مكانة السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين، وأثره في تحريكهم للثورة ضد الدول الاستعمارية ولا سيما بريطانيا وفرنسا، وإستغلال ذلك من قبل ألمانيا التي تحظى بإحترام السلطان وصداقته .

– لم يكن اهتمام اوبنهايم بالتنقيب الأثري منعزلاً عن النشاط الاستخباراتي وتقصي أوضاع العالم العربي والاسلامي، وكتابة التقارير والترويج للمصالح الألمانية المتمثلة بخط حديد بغداد – برلين، وقد اتضح ذلك من مراقبة البريطانيين له وعدم اطمئنانهم لإقالته من الخدمة الدبلوماسية في القاهرة .

– تعد مذكرة اوبنهايم التي أرسلها الى رئيس الوزراء هولفغ في تشرين الاول ١٩١٤م بعنوان "إثارة البلاد الاسلامية الخاضعة لأعدائنا"، هي الأهم والاكثر تحديداً لكيفية محاربة دول الوفاق عبر استغلال الجهاد الاسلامي ومكانة السلطان العثماني بوصفه خليفة ونشر الدعاية الجهادية باسمه .

– إن استخدام اوبنهايم للآيات من القرآن الكريم في دعايته الجهادية وتحريض المسلمين على الثورة أمر مهم للغاية، فقد دل من وجهة نظر الباحث على خطورة توجهات مدارس الاستشراق الاوروبية وخاصة

الالمانية آنذاك، في توظيف النصوص الدينية الداعية الى الجهاد خدمةً لمصالحها السياسية التوسعية، ويمكن إعتبار تلك السمة نقطة تحول بارزة في توجهات العلماء والمستشرقون الألمان وأبرزهم أوبنهايم .

– يمكن اعتبار تأسيس وكالة أخبار الشرق في استانبول عام ١٩١٥م برئاسة أوبنهايم، من أبرز معالم القرن العشرين، فهي من أهم دعائم الاستعمار والدعاية المضادة، ومن أهم الوسائل لاستغلال العرب والمسلمين لخدمة مصالح ألمانيا وتهديد مصالح دول الوفاق، فقد ضمت أعضاء بارزين شكلوا نخبة هيكليتها الإدارية، فمنهم المستشرقين والمثقفين والمترجمين والوطنيين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والوطنية.

– إن من أهم المخططات التي نفذتها ألمانيا بتوجيه من أوبنهايم خلال الحرب العالمية الاولى هو إنشاء معسكر ومسجد الهلال لرعاية السجناء في برلين عام ١٩١٥، وقد وضع أوبنهايم مقترحاته المهمة التي وضحت كيفية التعامل معهم حسب دياناتهم ومراعاة التعامل الايجابي معهم داخل المعسكر، لتغيير أفكارهم وتشجيعهم على توجيه البنادق ضد دول الوفاق خلال الحرب العالمية الاولى.

– إن الإشراف على إنشاء مراكز الأخبار ومكاتب الصحافة في مختلف البلاد العربية والاسلامية كانت من أبرز إنجازات أوبنهايم في إطار الدعاية لصالح ألمانيا والدولة العثمانية خلال حربهما المقدسة ضد الوفاق. كما إن هدف أوبنهايم من لقائه بالأمير فيصل بن الحسين ومحاولته التقريب بين مكة وحكومة تركيا الفتاة، هو الحصول على دعم الشريف حسين في الحرب، ورأى بأن بان ذلك الدعم سيكون بمثابة المصادقة المقدسة على أحقية الجبهة العثمانية الالمانية ضد دول الوفاق، لِما يتمتع به الشريف حسين من مكانة دينية باعتباره شريف مكة المكرمة، ولكونه من سلالة البيت الهاشمي المحترم اجتماعياً ودينياً .

– إن الدعاية الألمانية التي قادها أوبنهايم لم تحقق النتائج المرجوة، فقد كان الافتراض بأن الإسلام هو الرابط الموحد بين جميع السجناء المسلمين في ألمانيا على اختلاف أممهم وثقافاتهم، افتراضاً خاطئاً، فقد اشارت التقديرات الواقعية الى ان جزءاً قليلاً من السجناء كانوا على استعداد للعودة الى جبهات للقتال بجانب الدولة العثمانية.

– استطاع أوبنهايم بين الحربين العالميتين فرض نفسه بوصفه عالماً أكاديمياً ومنقباً للآثار، واشتهر بإنجازه الكبير حينما إنتشل حضارة عريقة تعود الى آلاف الاعوام من تحت الأرض في موقع تل حلف الأثري السوري، وأنشأ متحف تل حلف في برلين، وساهم في إنشاء المتحف الوطني في سورية .

– إن خبرة اوبنهايم في شؤون الشرق وعلاقاته مع شخصيات مؤثرة في العالم العربي والاسلامي، وقدرته على رسم مخططات سياسية تخدم مصالح المانيا، قد كونت لدى النظام النازي صورة جيدة عنه فقد حضي بالاحترام من قبل هتلر نفسه رغم أصوله اليهودية .

– ترك اوبنهايم مؤلفات مهمة أضافت الى مدرسة الاستشراق الالماني إضافة كبيرة، ومن أبرزها كتاب البدو الذي يعتبر موسوعة شاملة عن القبائل العربية و أحوالها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ودليلاً مهماً لكل باحث في شؤون المجتمع العربي .

الملاحـــق

ملحق رقم (١)

وثيقة تبين عقد الأخوة بين شيخ قبيلة شمّر فارس باشا والمستشرق أوبنهايم عام ١٨٩٣[١].

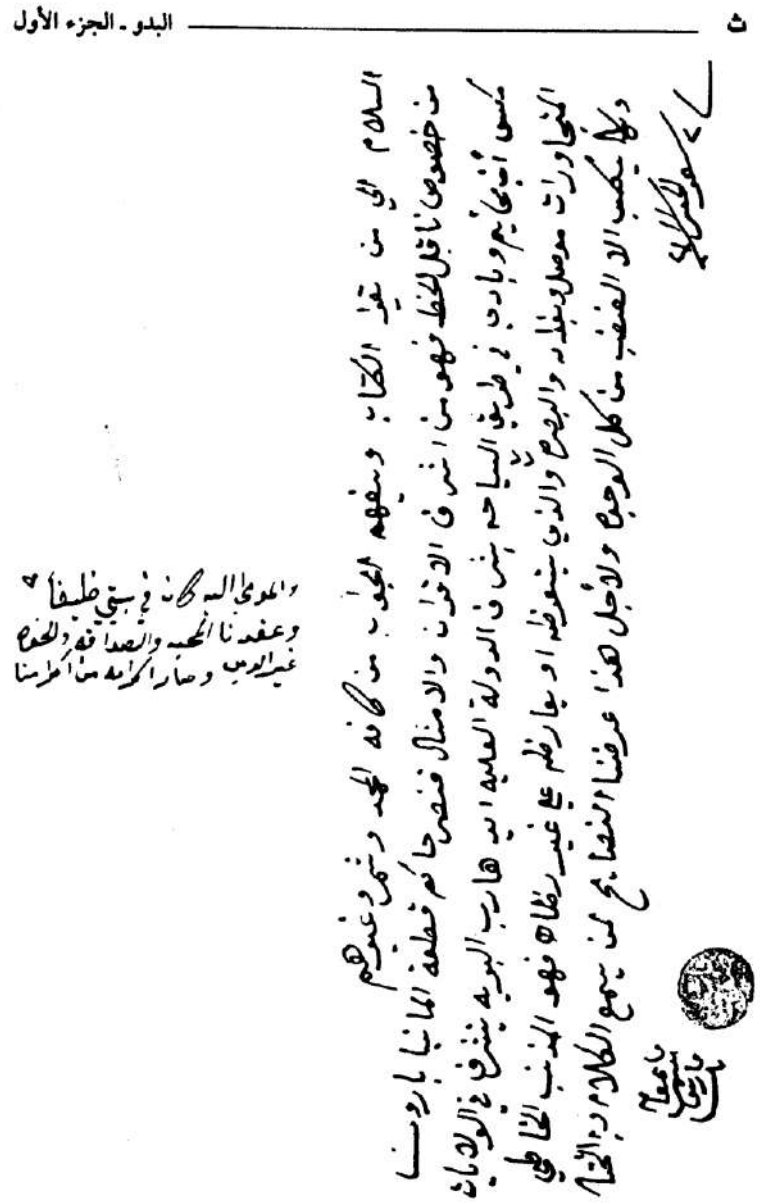

توصية من الشيخ فارس بك (قائم مقام شمّر) الى المؤلف لتسهيل مهمته.

(١) نقلاً عن: أوبنهايم، البدو، ج١، ص ث.

ملحق رقم (٢)

جدول يوضح البعثات الألمانية لتحريض العالم الإسلامي على الثورة ضد دول الوفاق الودي [١].

المبعوثون	المهنة الأساسية	الوظيفة خلال ١٩١٤-١٩١٨م	البلدان التي زاروها
Max von Oppenheim	عالم آثار ودبلوماسي	رئيس دائرة الاستعلام العسكري	مصر والعراق وسورية والدولة العثمانية والجزائر
Col. Hermann Frobenius	ضابط		العراق وبلاد فارس
Johann von Bernstorff	دبلوماسي	سفير في واشنطن ثم في استانبول	مصر
Franz von Papen	ضابط	الولايات المتحدة الامريكية	الدول العثمانية
Dr. Komard Preusser	طبيب وعالم آثار		العراق ومصر والدولة العثمانية
Oskar Ritter von Niedermayer	عالم جيولوجيا	رئيس بعثة في طهران	العراق وبلاد فارس
Wilhelm Wassmuss	دبلوماسي	تنظيم فدائيّين في بلاد فارس	العراق وبلاد فارس وافغانستان وكردستان
Werner Otto von Hentig	دبلوماسي	بعثة الى بلاد فارس و افغانستان	أفغانستان وبلاد فارس
Fritz Grobba	محام ودبلوماسي	بعثة الى الجزيرة العربية	دمشق وفلسطين
Leo Frobenius	عالم اثار	بعثة الى الجزائر	الجزائر وتونس والسودان
Hans von kalle	ضابط	بعثات الى المغرب	طنجة والمغرب واسبانيا
Carl von Neufeld	ضابط	بعثة الى الحجاز واليمن	الجزيرة العربية والسودان

(١) نقلاً عن: عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والاسلام . . .، ص ٩٢ .

ملحق رقم (٣)

خريطة رحلة ماكس فون اوبنهايم من البحر المتوسط الى الخليج العربي عام ١٨٩٣ [1]

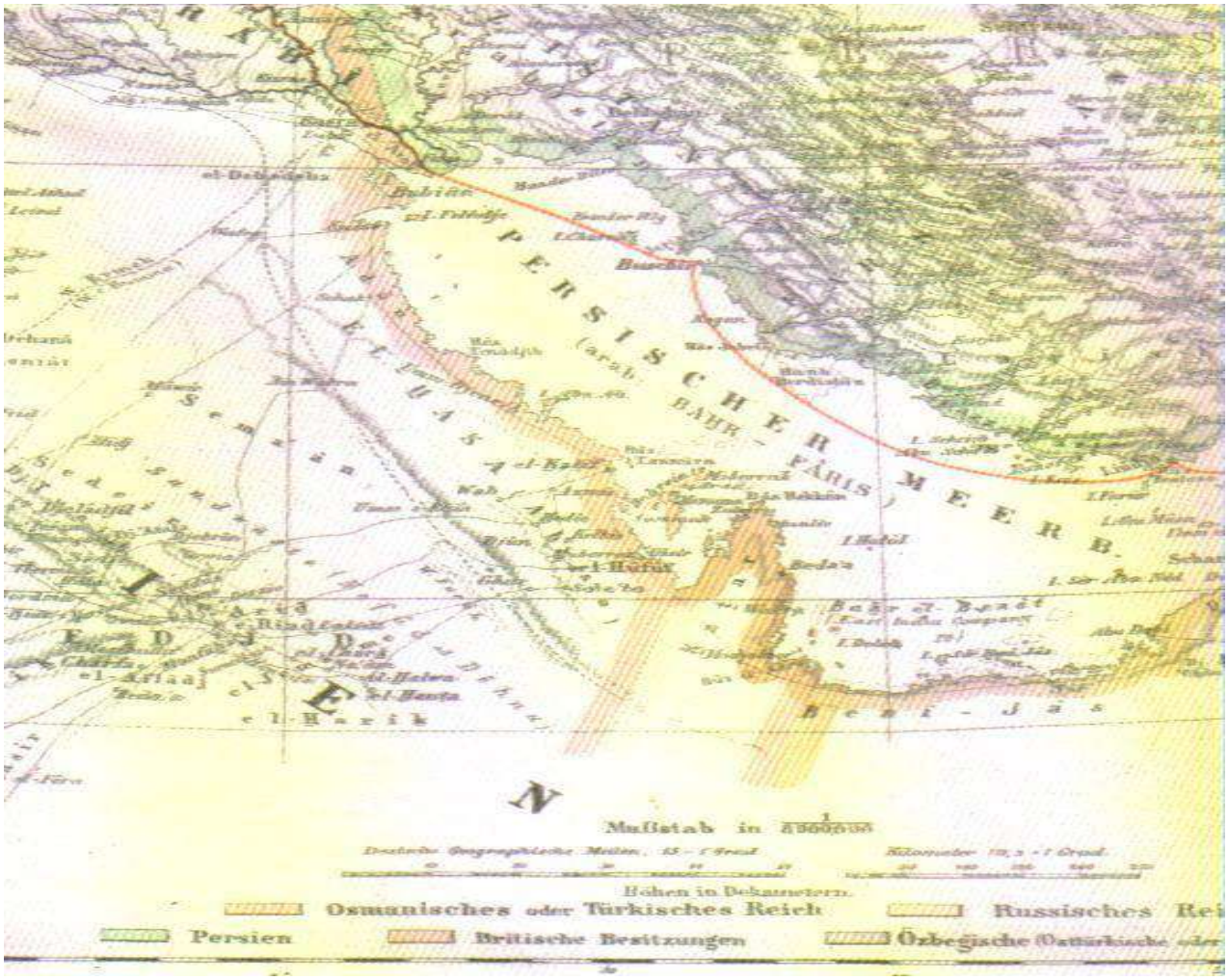

(1) Wolfgang G. Schwanitz, German-Kuwaiti Relations: From Their Beginning To The Reunification Of Germany, MERIA Journal, Vol. 13, Number. 1, New York, 2009, p. 1 .

ملحق رقم (٤)

العدد ٢١ من جريدة الجهاد التي اقترح اوبنهايم نشرها بين السجناء المسلمون في المعسكرات الالمانية، أصدرتها وكالة أخبار الشرق في برلين عام ١٩١٥[1].

الجهاد
EL DSCHIHAD
Zeitung für die mohammedanischen Kriegsgefangenen
Berlin
Nr. 21
فرنسا وذهب المراكشيين

(1) Gerhard Höpp, Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg 1915 -1945. Geschichtlicher Abriß und Bibliographie, Berlin, 1994, S. 61 .

ملحق رقم (٥)

معسكر ومسجد الهلال في مدينة وونسدورف في برلين، وفي ساحته يظهر عدد كبير من المسلمين من اسرى الحرب العالمية الاولى، وقد وضعت مجلة ميونخ الالمانية هذه الصورة، صفحة العنوان الرئيسية لها في عددها الرابع الصادر في نيسان ١٩١٦، كنوع من أساليب الدعاية التي اوصى بها اوبنهايم لإظهار المعاملة الحسنة للأسرى المسلمين، ونقلها الى الرأي العام الخارجي [١] .

90. Kriegsnummer

Sämtliche Kriegsnummern können nachgeliefert werden.

Münchner Illustrierte Zeitung

Süddeutsche Woche

IX. Jahrgang Nummer 17

Vierte April-Nummer, 1916
München, Ludwigstraße 26 :: Tel. 26762

Preis 10 Pfennig 15 Heller od. 15 cts.

A. Grob phot.

Betende muhamedanische Kriegsgefangene im Halbmondlager zu Wünsdorf bei Berlin

Den gefangenen Muhamedanern sind in Deutschland die weitgehendsten Freiheiten in Bezug auf die Ausübung ihrer religiösen Gebräuche eingeräumt worden. So wurde in Wünsdorf eine Moschee erbaut (auf unserem Bilde im Hintergrunde sichtbar) in der die Gefangenen ihre Andachten bei schlechtem Wetter oder in kleinen Gruppen verrichten können, bei günstiger Witterung aber werden die Gebetsübungen, wie unser Bild zeigt, im Freien abgehalten und keiner der zahlreichen Muhamedanern bleibt ihnen fern.

(1) Schwedes, Barbara Christophe und Kerstin , Schulbuch und Erster Weltkrieg , V&R unipress , Gottingen- Germany, 2015 , p. 191 .

ملحق رقم (٦)

صورة جمعت اوبنهايم (الثاني جهة من اليسار) أمام القنصلية الألمانية في القاهرة عام ١٩٠٦[1].

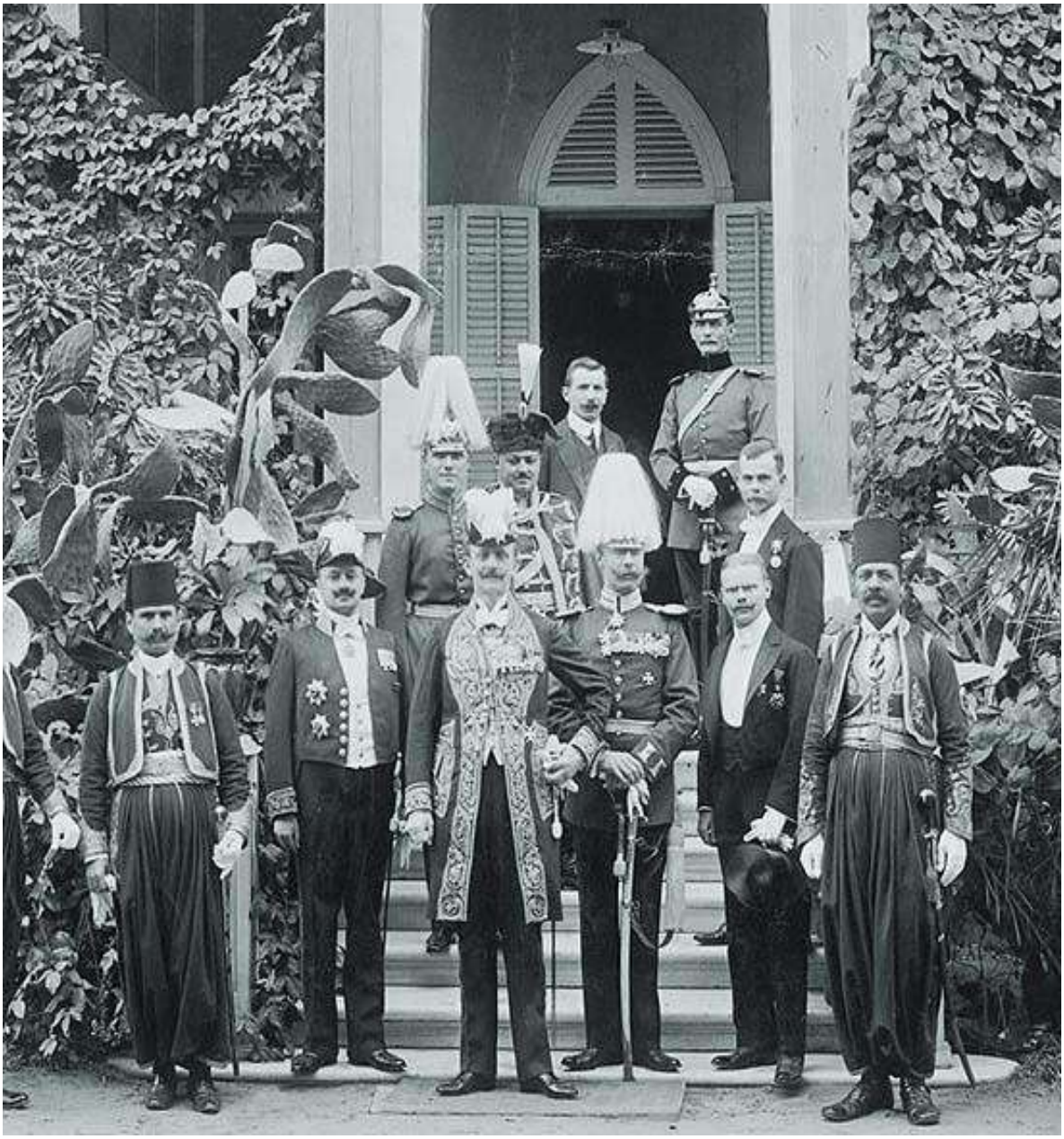

(1) https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Max_von_Oppenheim,_2nd_from_left.jpg.

ملحق رقم (٧)

اوبنهايم صاحب البدلة البيضاء يتناول الطعام مع ابناء قبائل البدو بمعية مرافقيه وحرسه من الجنود العثمانيين خلال رحلته الى بلاد الشام ١٨٩٩[١].

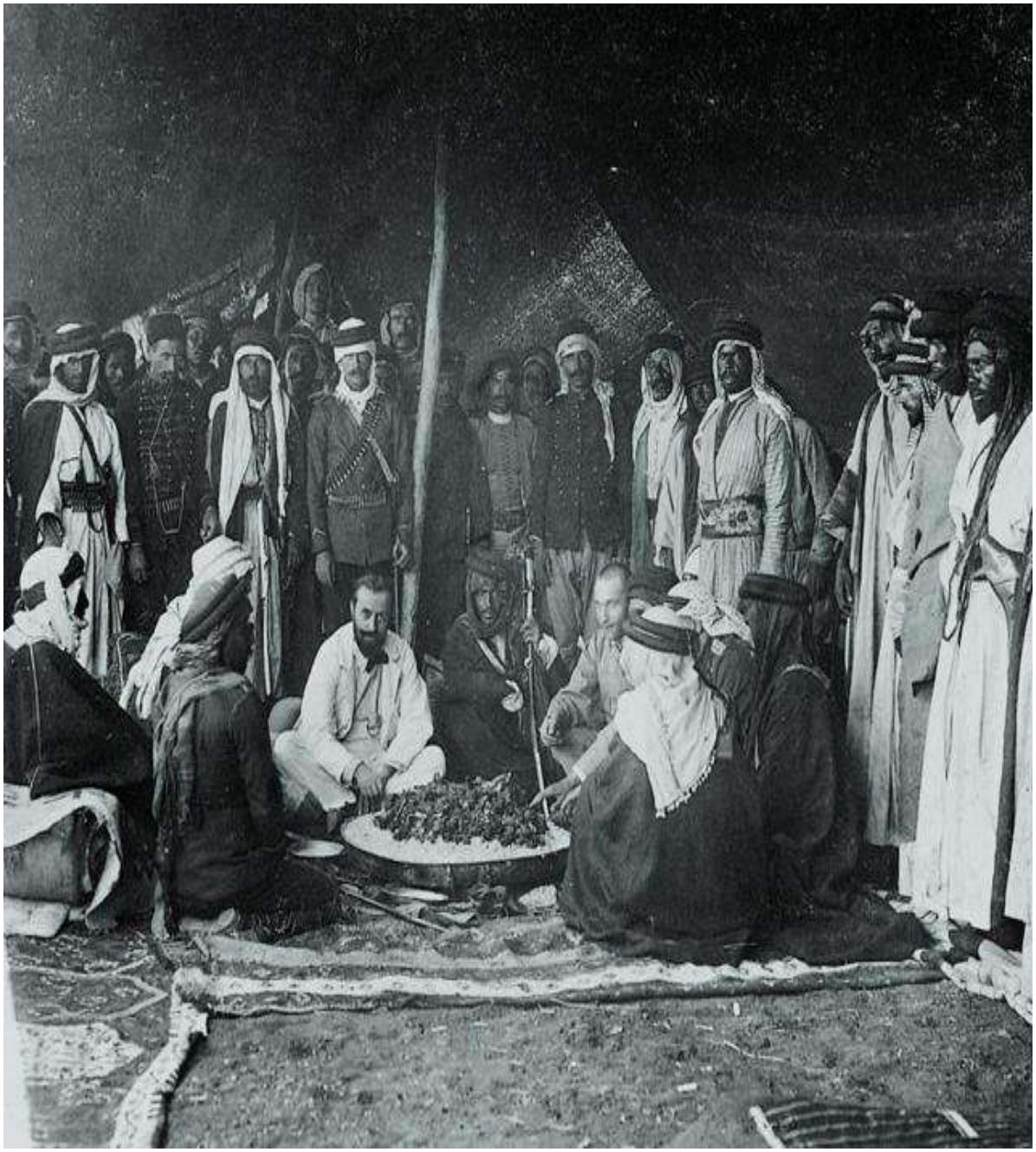

(1) http://riowang.blogspot.ca/2011/03/gods-stitched-up.html.

ملحق (٨)

المستشرق فون اوبنهايم بالزي العربي [١].

(١) نقلاً عن: شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) .

ملحق رقم (٩)

فون اوبنهايم و تمثال لسيدة ذات ضفائر تجسد (آلهة على العرش) من آثار تل حلف السورية[١].

(١) نقلاً عن: شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) .

قائـــــمة

المصـــادر والمراجـــع

أولاً: الكتب الوثائقية .

1- Mikaelyan, Vardges, Die armenische Frage und der Genozid an den Armeniern in der Türkei (1913 - 1919). Dokumente des politischen Archivs des Auswärtigen Amts Deutschlands, Jerewan, 2004.

ثانياً: المذكرات والأوراق.

١ - الأمير شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩م .

٢ - جمال باشا، مذكرات جمال باشا السفاح، ترجمة: علي أحمد شكري، دار البصري، بغداد، ١٩٦٣م.

٣ - عباس حلمي، عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الاخير ١٨٩٢- ١٩١٤، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣.

٤ - عبد العزيز القصاب، مذكرات عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.

٥ - ماكس فون اوبنهايم، من البحر المتوسط الى الخليج، ترجمة محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٤ .

٦ - محمد عبده، مذكرات الإمام محمد عبده، عرض وتحقيق: طاهر الطناحي، دار الهلال، القاهرة، د ت.

٧ - ناجي شوكت، أوراق ناجي شوكت، رسائل ووثائق: دراسة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، مطبعة الجامعة، د . مك، ١٩٧٧.

٨ - هنري مورغنثو، مذكرات السفير الأمريكي في الاستانة، ترجمة: فؤاد صروف، المركز الأكاديمي للأبحاث، تورونتو– كندا، د. ت.

9- Stuermer, Harry, Two war years in Constantinople: Sketches of German and young Turkish ethics and politics, New york, 1917.

ثالثاً: المصادر العربية والمترجمة .

١- الأب سهيل قاشا، الموصل في القرن التاسع عشر دراسة سياسية ١٨٣٤- ١٩٠٩ ، بيروت، ٢٠١٠م.
٢- أحمد هريدي، هبة الجبل رحلة الى لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م .
٣- أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، تقديم: أحمد غسان سبانو، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
٤- أديث و أي، أيف، بينروز، العراق: دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥- ١٩٧٥، ج١، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٩م .

٥- أسامة يوسف شهاب، الإتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي، مركز اللغات – الجامعة الاردنية، ١٩٩٥م .
٦- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، الرياض، ١٩٩٦م.
٧- إسماعيل ياغي و محمود شاكر، تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر: قارة افريقية (٩٨٧هـ-١٤٠٠هـ/ ١٤٩٢-١٩٨٠)، ج٢، ط٤، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦.
٨- إلهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، (١٨٥٠-١٩١٤)، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٨م.
٩- ألويز موزيل، في الصحراء العربية: رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب ١٩٠٨ – ١٩١٤، ترجمة: عبد الاله الملاح ، ابو ظبي، ٢٠١٠م .
١٠- آنا ماري شميل، أوروبا في مواجهة العالم الاسلامي، ترجمة: محمد نبيل خلف، دار السيد للنشر، الرياض، ٢٠١٠م .
١١- بونداريفسكي، سياستان إزاء العالم العربي، ترجمة: خيري الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥م.
١٢- بيجي ده سان بيير، الدولة الدرزية، ترجمة: حافظ ابو مصلح، المكتبة الحديثة، بيروت، ١٩٨٣م .
١٣- توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م .
١٤- جفري ورنر، العراق وسورية ١٩٤١، ترجمة: محمد مظفر الادهمي، دار الحرية، بغداد، د. ت .
١٥- جون جوردن لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة: مكتب أمير دولة قطر، د. مك، ١٩١٤م .
١٦- جون فريدريك وليامسون، قبيلة شمر العربية مكانتها وتأريخها السياسي ١٨٠٠-١٩٥٨م، ترجمة: مير بصري، دار الحكمة، لندن، ١٩٩٩م .
١٧- حسن عباس نصر الله، تاريخ بعلبك، مج١، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٤.
١٨- حيدر صبري شاكر الخيقاني، تاريخ أوروبا منذ بداية الحرب العالمية الاولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية١٩١٤-١٩٤٥م، النجف، ٢٠١٤م .
١٩- ديفيد فرومكين، نهاية الدولة العثمانية وتشكيل الشرق الاوسط، ترجمة: وسيم حسن عبدو، دار عدنان، بغداد، ٢٠١٥م .
٢٠- رضوان السيد، المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر، ط ٢، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠١٦م .
٢١- رفعت السعيد، محمد فريد الموقف والمأساة رؤية عصرية، الدار المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م .
٢٢- زكريا كورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ١٧٤٥م – ١٩١٤م ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، ٢٠١٠م .
٢٣- سالم الآلوسي، رواد علم الآثار في العراق، دار الوراق، لندن ، ٢٠١٦م .
٢٤- سعد سلوم، مائة وهم عن الأقليات في العراق، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٥م.

٢٥- سليمان جوقه باش، السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته، ترجمة: عبد الله أحمد إبراهيم، القاهرة، ٢٠٠٨م .
٢٦- شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية واللبنانية من العهد العثماني حتى الاستقلال ١٨٠٠-١٩٤٧، منشورات اسمار، باريس ، د ت .
٢٧- صبحي العمري، لورنس الحقيقة والاكذوبة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، ١٩٩١.
٢٨- صلاح الدين المنجد، ولاة دمشق في العهد العثماني، دمشق، ١٩٤٩م .
٢٩- طارق الناصري، عبد الإله الوصي على عرش العراق (١٩٣٩ – ١٩٥٨): حياته ودوره السياسي، ج١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د . ت.
٣٠- عباس محمود العقاد، رجال عرفتهم، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢.
٣١- عبد الجبار الراوي، البادية، الرافدين، بيروت، ٢٠١٠م.
٣٢- عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥-١٩٧٠، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م .
٣٣- عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية (تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ – ١٩١٩م) ، دار المعارف ، القاهرة ، د ، ت .
٣٤- _____، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ط٦، دار المعارف ، القاهرة، د ت.
٣٥- عبد الرزاق أحمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، مراجعة: كمال مظهر أحمد، شركة التايمس للطباعة، بغداد، ١٩٨٧.
٣٦- عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، الفرات، بيروت، ٢٠٠٧.
٣٧- _____، المصالح الألمانية في سورية وفلسطين ١٨٤١ - ١٩٠١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٧ .
٣٨- عبد العزيز جاويش، الاسلام دين الفطرة والحرية، تقديم : مجدي سعيد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١١م .
٣٩- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م .
٤٠- عبد العزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م .
٤١- عبد القادر عياش، حضارة وادي الرافدين: مدن فراتية (القسم السوري)، الأهالي، دمشق، ١٩٨٩.
٤٢- عبد الكريم العمر، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، الأهالي للطباعة، سورية، ١٩٩٩م.
٤٣- عز الدين اسماعيل، الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م .
٤٤- عزيز بك، سورية ولبنان في الحرب العالمية : الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية، ترجمة: فؤاد ميداني، بيروت، ١٩٣٣م .

٤٥- علي صبح، السياسة الدولية بين الحربين العالميتين (١٩١٤-١٩٣٩)، دار المنهل اللبناني – مكتبة رأس النبع، بيروت، ٢٠٠٣.
٤٦- عماد الدين غانم، عمليات الغواصات الألمانية في المياه الليبية وحركة الجهاد ١٩١٥ – ١٩١٨ دراسة في تاريخ العلاقات الليبية الالمانية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، بنغازي، ٢٠٠٣م .
٤٧- فاروق صالح العمر، ثورة اكتوبر البلشفية لـ ١٩١٧ وتأثيراتها في أوروبا-تركيا-العراق في ضوء الوثائق البريطانية، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١٣م .
٤٨- فتحية النبراوي و محمد نصر مهنا، الخليج العربي دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية، د. مك، ١٩٨٨.
٤٩- فريتز غروبا، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ترجمة: فاروق الحريري، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩م .
٥٠- فندي أبو فخر، خليل رفعت الحوراني تاريخ حوران ودعوته النهضوية في أرياف بلاد الشام، دمشق، ٢٠٠٥م .
٥١- فؤاد صالح السيد، أعظم الأحداث المعاصرة (١٩٠٠ – ٢٠١٤)، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ٢٠١٥.
٥٢- فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية ، ج٢ ، بيروت، ١٩١٣ .
٥٣- فيليب نايتلي و كولن سمبسون، المخفي من حياة لورنس العرب، ترجمة: ايلي لاوند و ابراهيم العابد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ت .
٥٤- قيس جواد علي الغريري، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢- ١٩٦٥، دار الحوراء، بغداد، ٢٠٠٦.
٥٥- قيصر أ . فرح، السلطان عبد الحميد الثاني والعالم الإسلامي، ترجمة : محمد م الارناؤوط، تقديم: خالد إرن، دار جداول، لبنان، ٢٠١٢م .
٥٦- كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨- ١٩١٨ دراسة تحليلية، د. مك، ١٩٩٧م .
٥٧- لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الاولى ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
٥٨- لورنس أوليفانت، أرض جلعاد (ورحلات في لبنان وسوريا والأردن وفلسطين) ١٨٨٠م، ترجمة: احمد عويدي العابدي، عمّان، ٢٠٠٤م .
٥٩- لوكاز هيرزويز، ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م .
٦٠- لؤي بحري، سكة حديد بغداد "دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين- بغداد حتى عام ١٩١٤م" ، شركة الطبع والنشر الأهلية ، بغداد ، ١٩٦٧.
٦١- ماكس فون اوبنهايم، البدو، ترجمة : ميشيل كيلو و محمود كبيبو، تحقيق : ماجد شبر، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٤م .
٦٢- _____، الدروز، ترجمة محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٦م .

٦٣- _____، رحلة الى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، ترجمة : محمود كبيبو، دار الوراق، لندن ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .
٦٤- _____، رحلة الى مسقط عبر الخليج، ترجمة ومراجعة وتدقيق : محمود كبيبو، دار الوراق، لندن، ٢٠٠٩م .
٦٥- مجدي كامل، آل روتشيلد : المال عندما يخلق دولة من العدم الدرس الذي لم يتعلمه العرب، دار الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٨م .
٦٦- محمد رفعت الإمام، القضية الأرمنية في الدولة العثمانية ١٨٧٨- ١٩٢٣، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٢ .
٦٧- محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: التاريخ المعاصر شرقي افريقيا، ج١٦، ط٢، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٧.
٦٨- مصطفى ماهر و كمال رضوان، ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه، دار صادر، بيروت، د . ت.
٦٩- مطلق البلوي، العثمانيون في شمال الجزيرة العربية ١٩٠٨- ١٩٢٣م، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٧.
٧٠- ناديا خوليدس و لوتس مارتين، تل حلف والمنقب الأثري فون اوبنهايم، ترجمة: فاروق اسماعيل، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٧.
٧١- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٢، ط٣، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٥م .
٧٢- وليد محمد سعيد الأعظمي، انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية - البريطانية ١٩٤١م، دار واسط للنشر، د. مك، ١٩٨٦م .
٧٣- وليم شايرر، قيام وسقوط الرايخ الثالث "نهاية دكتاتور"، ج١، ترجمة : جرجيس فتح الله، دار آراس للنشر، أربيل، ٢٠٠٢م .
٧٤- يوجين . ال روغان، مدرسة العشائر في اسطنبول (مدرسة السلطان عبد الحميد الثاني للعشائر ١٨٩٢ – ١٩٠٧م)، ترجمة واعداد : نهار محمد نوري، دار الوراق، لندن، ٢٠١٤م.
٧٥- يوسف سليم دبيسي، أهل التوحيد: الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية، مج ٤، بيروت، ١٩٩٢.
٧٦- يونس بحري، هنا برلين حي العرب : هتلر والقادة العرب في برلين، ج٤، مطبعة الجهاد، بيروت، د. ت.

رابعاً: المصادر الأجنبية .

أ/ المصادر الإنجليزية :

1- Adams, Jefferson, Historical dictionary of German intelligence, the scarecrow press, Maryland, USA, 2009 .
2- Al-Hamarneh, Ala and Jörn Thielmann, Islam and Muslims in Germany, V7, Koninklijke Brill NV, Leiden, 2008 .

3- Anderson, Skott, Lawrence in Arabia: War, Deceit, Imperial Folly and the Making of the Modern Middle east, Atlantic books, London, 2013 .
4- Anton Kaes, Martin Jay, The Weimar Republic Sourcebook, University of California press, London, 1994.
5- Ardic, Nurullah, Islam and the politics of secularism: The caliphate and middle eastern modernization in the early 20th century, Routledge, London and New York, 2012 .
6- A. Mohs, Polly, Military Intelligence and the Arab Revolt: The First Modern Intelligence War, Routledge, New York, 2008 .
7- Barker, J. Ellis, Modern Germany: her political and economic problems, her foreign and domestic policy, her ambitions, and the causes of her success, London, 1909.
8- Best, Antony, Britains retreat from empire in east Asia 1905 – 1980, Routledge , London, 2012.
9- Bloxham, Donald, The great game of genocide: imperialism, nationalism, and the destruction of the ottoman Armenians, Oxford, 2005.
10- Brown, Malcolm, T. E. Lawrence in war and peace, Greenhill books, London, 2005 .
11- Friedman, Isaiah, British pan-Arab Policy 1910- 1922, Transaction publishers, New jersey, 2010
12- Gossman, Lionel, The passion of max von Oppenheim, open book publisher, Cambridge.
13- Grayling, A. C., The Challenge of things : thinking through troubled times, Bloomsbury , London , 2015
14- Hamm, Geoffrey, British intelligence and Turkish Arabia: strategy, diplomacy and empire 1898-1918, doctoral dissertation, university of Toronto , 2012.
15- Hopkirk, Peter, On secret service east of Constantinople: the plot to bring down the British empire, Oxford, 1994.
16- Hurgronje, C. Snouck, The revolt in Arabia, New York and London, 1917.
17- J. Paris, Timothy, In defence of Britains middle eastern empire : a life of sir Gilbert Clayton, Sussex academic press, London, 2016.
18- J. Popplewell, Richard, British intelligence and the defence of the Indian empire 1904 1924 , Frank Cass , London , 1995.

19- James, Lawrence, The golden warrior: The Life and Legend of Lawrence of Arabia, Hachette digital , London, 2005.
20- Klaus-Michael Mallmann and Martin Cüppers, Nazi Palestine The Plans for the extermination if the Jews in Palestine, USA, 2005
21- L. Marchand, Suzanne German orientalism in the age of empire: Religion, Race, and Scholarship, Campridge University press, Campridge, 2009.
22- Laqueur, Walter, Optimism in politics: reflections on contemporary history , New jersey, 2014.
23- Leslie, Shane, Mark Sykes: His life and Letters , London, 1923 .
24- Levenda, Peter, The Hitler Legacy: The Nazi Cult in Diaspora: How It Was Organized, How It Was funded, and why it remains a threat to global security in the age of terrorism , USA, 2014.
25- M. Landau, Jacob, Pan–Islam history and politics, Routledge, London and New York , 2016 .
26- M. Mckale, Donald, War by Revolution: Germany and great Britain in the middle east of world war 1, The kent state university press, Ohio, 1998.
27- Maher, Shiraz, Ties that Bind: How the story of Britain's Muslim Soldiers can forge a national identity, London, 2011 .
28- Manjapra, Kris, Age of entanglement : german and Indian intellectuals across empire, Harvard university press, USA, 2014 .
29- McMeekin, Sean ,The Ottoman Endgame, Penguin press, New York, 2015.
30- _____, The Berlin – Baghdad Express: The Ottoman empire and Germany's bid for world power, Penguin Books Ltd, London, 2010 .
31- Mejcher, Helmut, The Struggle for a new middle east in the 20th century: studies in imperial design and national politics, Berlin, 2007.
32- Miller, Marshall Lee, Bulgaria during the second world war, California, 1975 .
33- Motadel, David, Islam and Nazi Germanys war, The Belknap Press of Harvard University Press, Massachusetts, 2014.
34- _____, Islam and the European empires , Oxford , 2014.
35- Murphy, David, The Arab revolt 1916-18 Lawrence sets Arabia ablaze, London 2008.
36- Olusoga, David, The world's war: Forgotten soldiers of empire, Head of Zeus, London, 2014.

37- Ozyuksel, Murat, The Hejaz railway and Ottoman empire, I. B. Tauris, London – New York , 2014.
38- Pawly, Ronald, The Kaisers warlords: German commanders of world war I, Osprey Publishing, London , 2003 .
39- Potts, D. T. , A companion to the archaeology of the ancient near east, V I , Black well , USA , 2012.
40- R. Nicosia, Francis, Nazi Germany and the Arab world, Cambridge University press, 2015 .
41- Rich, Norman, Friedrich Von Holstein: Politics and Diplomacy in the Era of Bismarck and Wilhelm II, London, 1965 .
42- Rogan, Eugene, The fall of the ottomans: the great war in the middle east 1914-1920, USA , 2015 .
43- Sattin, Anthony, Young Lawrence: A portrait of the legend as a young man, London, 2014 .
44- Schwarz, Paul, This man Ribbentrop : his life and times, New York , 1943
45- Steinberg, Jonathan, Bismarck a Life, Oxford University Press , 2011 .
46- Stewart, Jules, The Kaisers mission to Kabul, I.B Tauris, London - New York , 2014 .
47- Traill, H. D., Lord Cromer a Biography, New York, 1897 .
48- Williams, M. V. Seton, the road to the El – Aguzein, Routledge, London, 2011.
49- Weinberg, Gerhard, The foreign policy of Hitler's Germany, Chicago University press, Chicago, 1998 .
50- Young, William ،German Diplomatic Relations 1871- 1945: The Wilhelmstrasse and The formulation of foreign policy, New York, 2006.
51- Yonan, Gabriel, Lest we perish A forgotten holocaust: The Extermination of the Christian Assyrians in Turkey and Persia, 1996 .
52- Zurcher, Erik Jan, Jihad and Islam in world war I, Leiden University Press, Holland, 2016.

ب/ المصادر الألمانية

1- Gerhardt, Johannes, Albert Ballin, Hamburg University Press, Hamburg, 2009 .

2- Höpp, Gerhard, Arabische und islamische Periodika in Berlin und Brandenburg 1915 -1945. Geschichtlicher Abriß und Bibliographie, Berlin, 1994.
3- _____, Muslime in der Mark : als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen , Das Arabische Buch , Berlin , 1997.
4- Knopp, Guido, Der heilige krieg, C. Bertelsmann, Munchen , 2011.
5- Loth, Wilfried und Marc Hanisch, Erster weltkrieg und dschihad: Die Deutschen und die Revolutionierung des Orients, Oldenbourg verlag, Munchen, 2014.
6- Oppenheim, Max von, Rabeh und das Tschadseegebiet, Dietrich Reimer Verlag, Berlin , 1902.
7- Schwedes, Barbara Christophe und Kerstin, Schulbuch und Erster Weltkrieg, V&R unipress, Gottingen, 2015.

خامساً: الرسائل والأطاريح الجامعية.

أ/ الرسائل والأطاريح العربية.

١- اراس حسين الفت، سكة حديد برلين – بغداد ١٨٨٠ – ١٩١٤ دراسة في العلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ٢٠١٥.
٢- أنس حمزة مهدي، موقف ألمانيا من أزمة أغادير ١٩١١م: دراسة وثائقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣.
٣- جواد محمد علي، العلاقات العراقية الالمانية ١٨٧١م – ١٩١٤م، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٢م.
٤- حسن زغير حزيم، سياسة التحالفات الاوروبية وأثرها في العلاقات السياسية الاوروبية ١٨٧٩-١٩٠٨م دراسة تاريخية في الدبلوماسية الاوروبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٨م.
٥- زينب عبد المطلب طاهر، دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ دراسة في الظروف والأسباب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤م
٦- ساري عبد الله شبيب، اللورد كرومر ودوره السياسي في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٧.
٧- سجى قحطان محمد قبع، الموصل في كتابات الرحالة في العهد العثماني (١٥١٦- ١٩١٨)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٠م.
٨- سميرة عبد الرزاق عبد الله العاني، العلاقات الايرانية -الالمانية منذ اواخر القرن التاسع عشر – ١٩٣٣م ، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٩١.

٩- طالب عبد الغني جار الله الجبوري، مشروع سكة حديد الحجاز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٣ .
١٠-عماد حمد صالح الجبوري، السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ١٩٠٨- ١٩١٤م دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠١٢م .
١١- محمد عبد الرحمن العبيدي، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الاسلامية ١٨٧٦- ١٩٠٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.

ب/ الرسائل والأطاريح الإنجليزية.

1- Brown, Emily Clara, Har Dayal: a portrait of an Indian intellectual, Doctoral Dissertation, the University of Arizona, USA, 1967.
2- Christensen, Peter Hewitt, Architecture, Expertise and the German Construction of the Ottoman Railway Network, 1868-1919, Doctoral dissertation, Harvard University, USA, 2014.
3- Deren, SECIL, German Ideas expectations on expansion in the near east 1890 –1915, a thesis submitted to the grand school of social sciences of middle east technical university, Ankara, 2004.
4- Griffin, George, Ernst Jackh and the search for German cultural Hegemony in the ottoman empire, Master Thesis, Bowling Green state University, Ohio-USA, 2009.
5- Tassin, Kristin Shawn, Egyptian nationalism,1882-1919: elite competition, transnational networks, empire, and Independence, unpublished doctoral dissertation, The University of Texas at Austin, USA, 2014.
6- Bourne, Patrick James, Sir Frank Lascelles - a diplomat of the Victorian Empire, 1841-1920, Doctoral dissertation, The University of Leeds School of History, 2010 .
7- Gad J. Bensinger, Palestine in German Thought and Action 1871 – 1914, Doctoral Dissertation, Loyola University Chicago, 1971 .

ج/ الرسائل والأطاريح الألمانية والسويدية.

1- Oberhaus, Salvador, Deutsche propaganda im orient während des ersten weltkrieges, Magister thesis, Universität Düsseldorf, 2002.
2- _____, Die deutsche Ägyptenpolitik 1914 bis 1918 Ein Beitrag zur Propagandageschichte des Ersten Weltkrieges, Promotion dissertation, Düsseldorf, 2006.

3- Vera Ericson von Bahr, Halv måne, heligt krig: Radikalisering av muslimska krigsfångar I Halbmondlager under första världskriget–en arkivstudie, Kandidatuppsats, Södertörns högskola, Stockholm, 2016.

سادساً: البحوث والمقالات .

أ/ البحوث والمقالات العربية .

١- عبد الرؤوف سنو، "الاسلام في الدعاية الالمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الاولى"، منشور في: بحوث تاريخية مهداة الى منير، دار نشر السياسة والتاريخ، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢- فراوكة هيردبي، التحديات الواقعة والمتخيلة لوضع بريطانيا في الخليج العربي، بحث منشور في : ندوة كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، مركز جمعة الماجد للثقافات والتراث ، دبي، ١٩٩٦ م .
٣- فرنر انده و بيتر هاينه، الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في المانيا حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٢٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.
٤- ناديا خوليدس و لوتس مارتين، تل حلف والمنقب ماكس فرايهر اوبنهايم، مجلة آفاق المعرفة، عدد ٦٢٨، دمشق، ٢٠١٦م.
٥- يحيى محمد محمود، الخليج العربي في الأدبيات الالمانية في مطلع القرن العشرين كتابات ماكس فون اوبنهايم نموذجاً، بحث في مؤتمر : الشرق في عيون الغرب، كلية الآداب، جامعة الكويت، ٢٠١٣م.

ب/ البحوث والمقالات الإنجليزية .

1- Arjomand, Kamran, Die iranische Moderne im Exil: Bibliographie der Zeitschrift Kave, Berlin 1916-1922 by Tim Epkenhans, International Journal of Middle East Studies, Vol. 34, No. 1, Cambridge, 2002 .
2- F. Krenkow and Peter Rennell Rodd, Notes and Queries: The " Baron Max Von Oppenheim – Foundation" (Oriental Research Institute), Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol. 5, No. 1, London, (1928).
3- G. Fraser, Thomas, Germany and Indian revolution 1914-1918, Journal of contemporary history, Vol. 12, No. 2, New York, 1977.
4- Gut, Renate, Der Tell Halaf und sein Ausgräber Max Freiherr von Oppenheim by Nadja Cholidis and Lutz Martin, Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, Vol. 93, University of Vienna, 2003.

5- Küntzel, Matthias, Nazis, Islamists, and the Making of the Modern Middle East, Israel Journal of Foreign Affairs, Vol. 9, No. 1, London, 2015.
6- L. Hughes, Thomas, The German mission to Afghanistan 1915-1916, Germany studies review, Vol. 25, No. 3, Maryland, USA, 2002.
7- M. Mckal, Donald, Germany and the Arab Qustion Before World War I , The Historian, Vol. 59, No. 2, Wiley, New York, 1997.
8- _____ German Policy toward the Sharif of Mecca, 1914–1916, The Historian, Vol. 55, No. 2, Wiley, New York, 1993.
9- _____, weltpolitik versus Imperium Britannica: Anglo- German rivalry in Egypt, 1904-14, Canadian Journal of History/Annales Canadiennes d,Histoire, Vol. XXII. August 1987.
10- McMeekin, Sean, Jihad-cum-Zionism-Leninism: Overthrowing the World, German-Style, Historically Speaking, Volume 12, Number 3, Boston, Massachusetts, 2011.
11- _____, The Islamic-Israelite World, Common Knowledge, Volume 19, Issue 2, Duke University Press, NC- USA, 2013.
12- Melka, R. L, Max Freiherr von Oppenheim: Sixty Years of Scholarship and Political Intrigue in the Middle East, Middle Eastern Studies, Vol. 9, No.1, London, 1937.
13- Rogan, Eugene, Rival jihads: Islam and the Great War in the Middle East, 1914–1918, Journal of the British Academy, Vol. 4, London, 2016.
14- Schwanitz, Wolfgang G., Germany's Middle East policy, Middle East Review of International Affairs, Vol. 11, No. 3, New York, 2007.
15- _____, German-Kuwaiti Relations: From Their Beginning To The Reunification Of Germany, Meria Journal, Vol. 13, Number. 1, New York, 2009.
16- Sulzberger, C. L., German Preparations in the Middle East, Foreign Affairs, Vol. 20, No. 4, USA, 1942.
17- T. Corp, Edward, Sir Charles Hardinge and the Question of Intervention in the Boer War: An Episode in the Rise of Anti-German Feeling in the British Foreign Office, The Journal of Modern History, Vol. 51, No. 2, Chicago, 1979.

ج/ البحوث والمقالات الألمانية.

1- Anonym autor, Max Freiherr von Oppenheim-Stiftung (Orient-Forschungs-Institut) zu Berlin, Zeitschrift der Deutsche Morgenländischen Gesellschaft, Vol. 84, No. 3, Harrassowitz, Wiesbaden,1930.
2- Caskel, Werner, Max Freiherr von Oppenheim (1860—1946), Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Vol. 101, N. 26, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 1951.
3- E. W. , Max Freiherr von Oppenheim, Archiv für Orientforschung, Bd. 15, Wien, 1945- 1951.
4- Heine, Peter, Al-Ğihād: eine deutsche Propagandazeitung im 1. Weltkrieg, Die Welt des Islams, New Series, Vol. 20, Brill, 1980.
5- Treue, Wilhelm, Max Freiherr von Oppenheim: Der Archäologe und die Politik, Historische Zeitschrift, Bd. 209, Oldenbourg, 1969.

د/ البحوث والمقالات التركية والفرنسية .

1- Kon, Kadir, Almanya'nin Islam Stratejisi mimarlarindan Max Von Oppenheim vebu konudaki ÜÇ memorandumu, Tarih Dergisi, Sayı 53, İstanbul, 2012.
2- Oppenheim, Max von, Tell Halaf La plus ancienne capitale soubaréenne de Mésopotamie, Syria, T. 13, Fasc. 3, 1932.

سابعاً: الموسوعات والمعاجم العربية.

١- حسين فهد حماد، موسوعة الآثار التاريخية: حضارات – شعوب- أمم – معالم – مدن – عصور – علوم الآثار- حرف – لغات، دار أسامة، عَمان، د. ت.
٢- صبحي سليمان، موسوعة المدن العربية، مكتبة الايمان، القاهرة، ٢٠٠٦.
٣- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م .
٤- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٥- مجموعة باحثين، الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، مج ٣، هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٤ .
٦- مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، القاهرة، ١٩٦٥.
٧- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٣، بيروت، ١٩٩٤م.
٨- منير ذيب، معجم اسماء المدن والقرى في بلاد الشام الجنوبي: دراسة لغوية تاريخية أثرية حول أسماء المدن والقرى في بلاد الشام الجنوبي، دار العرب، دمشق، ٢٠١٠م.

ثامناً: الموسوعات الأجنبية:

1- Diner, Dan, Enzyklopädie jüdischer Geschichte und Kultur, Band 6, Stuttgart - Weimar, 2015.
2- Tucker, Spencer C., World War I: Encyclopedia, V. 1, California, 2005, p. 651 .
3- _____, World War II: The Definitive Encyclopedia and Document Collection, V1, California, 2016

تاسعاً: الأنترنيت:

١- ((وفاة النقيب شكسبير)): مكتبة قطر الرقمية:

http://www.qdl.qa.

٢- (أوروزدي باك):

http://www.almosul.com/.

3- https://cy.revues.org. Leo Frobenius' Secret Mission in Arabia and Eritrea (1914–1915).

4- https://de.wikipedia.org/wiki/Herbert_von_Richthofen. Rogge, Helmut, Friedrich von Holstein German statesman, Encyclopedia Britannica, 2009 .

5- http://dx.doi.org/10.15463/ie1418.10468. Heike Liebau, Hindostan (newspaper), in : 914-1918-online. International Encyclopedia of the First World War.

6- http://riowang.blogspot.ca/2011/03/gods-stitched-up.html.

7_https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Max_von_Oppenheim,_2nd_from_left.jpg.

8- https://de.wikipedia.org/wiki/Wilhelm_von_Stumm .

9- https://www.britannica.com/biography/Wilhelm-von-Bode .

Abstract

Orientalism is an intellectual and civilized interest in the world of the East. It was established as an intellectual institution after the Crusades failed. The conviction of politicians and the Church in the West was reinforced by the fact that the Islamic world could not be subjugated by force. They sought to study the conditions of Muslims and the Eastern world in general. Germany and Germany, where Orientalism began only at the beginning of the 18th century, was characterized by the peculiarities of orientalism in other Western countries. Most German orientalists were not dominated by colonial or colonialist goals. The developments of the mid-nineteenth and early twentieth centuries made German Orientalism both economic and political and military. Germany entered a competitive race with Britain and France, This is what made the German Orientalism another face, was the best example of that stage Orientalist Max von Oppenheim .

The orientalist von Oppenheim was chosen as the subject of the study (German orientalist von Oppenheim 1860-1946). This figure was a prominent figure in German Orientalism and directly influenced German politics during World Wars I and II. As well as his activity and enthusiasm for the documentation and study of the Eastern society and transfer his views and personal experiences in the East to the Western world .

The problem of the thesis tries to explain the following: How did Orientalist Oppenheim employ his passion for the Orient, his scientific travels, his discoveries, and his intelligence efforts in the interests of the various colonial Germany at that stage? How did religious doctrine and national affiliation in the East serve as a weapon against Germany's enemies? The researcher tried to answer these questions through the thesis.

The thesis consisted of an introduction and four chapters, followed by a conclusion and a list of sources.

Chapter I: (Max von Oppenheim: his origins and scientific travels 1860 - 1895). Three topics were presented. The first topic: His birth - his birth - was studied in 1860 - 1893. The second topic focused on: The Journey of Oppenheim to Lebanon, Syria, Diyar Shamr 1893. The third topic: the journey of Oppenheim to Iraq, the Arabian Gulf and Istanbul, and included three points, first: the journey of Oppenheim from Mosul to Bombay, the second: the end of his journey and return to Germany, the third: the journey of Oppenheim to Istanbul 1895 .

The second chapter, entitled (Oppenheim political and archaeological activity 1896-1913), two sections, studied the first topic: his role in the German consulate in Cairo, The second topic: the role of the official Oppenheim in the project of the Baghdad-Berlin railway and exploration in Tel-Hill 1902-1913, and this topic on two points, first: the evolution of the work of Oppenheim in Cairo and its consequences, Second: Exploration in Tell Halaf .

The third chapter, entitled "The Role of Oppenheim in German Propaganda during the First World War, 1914-1918", is located in three sections. The first topic: Oppenheim's proposals and plans for the dissemination of German propaganda 1914, It included three points. First: the circumstances and reasons for the selection of Oppenheim to take over the propaganda, second: his note to the German Prime Minister 1914, third: the declaration of the Ottoman Jihad and the evolution of the work of Oppenheim; Fourth: the role of Oppenheim in the work of German missions to the Islamic world. The second topic: the role of the News Agency of the East in the dissemination of German propaganda, came in two points, first: the internal organization of the News Agency of the East, Second: the activities and functions of the Agency. The third topic: The role of Oppenheim in the propaganda of the Holy War 1915 - 1918 and came in two points, first: the meeting of Oppenheim with Prince Faisal ibn al-Hussein 1915, Second: the journey of Oppenheim to the Levant and the fate of German propaganda until 1918 .

Chapter Four: (Oppenheim's archaeological and scientific products and political positions 1918-1946), Two topics included: The first topic: his archaeological and scientific achievements in light of the political changes 1918-1939, The second topic focused on: The contribution of Oppenheim to the formulation of the policy of Nazi Germany towards the Middle East, and came in two points: First: his proposals for the Middle East in the Second World War, Second: his death .

The Ministry of Higher
Education and Scientific Research
Qadisiyah University - College of Education
Department of History

The German Orientalist Von Oppenheim Historical study 1860-1946

A thesis presented by

Mustafa Haider M. AL Zabhawi

To the Council of the College of Education - University of Qadisiyah
A partial fulfillment degree of master in modern and contemporary history

supervised by

Assist. Prof. Dr. Furqan Faisal G. AL Ghanimy

2017 A.D **1438 A. H**